(سلسلة تقريب التراث الإسلامي إلى القارئ المعاصِر ٢٧)

كتاب

غَرِيب الحَدِيث

للإمام الخَطَّابي رحمه الله (٣١٩ - ٣٨٨هـ)

الجزء الأول (غريب حديث النبي صلى الله عليه وسلم)

خَدَمَه وعلَّق عليه

محمَّد علي أبو زَهْرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كُتُب أبي عبيد وابن قتيبة والخطّابي
في غريب الحديث والأثر
أمّهاتُ الكتب

ابن الأثير

تمهيد

يراد بغريب الحديث: الألفاظ اللُّغوّية البعيدة المعنى والغامضة التي تحتاج إلى شرح وإيضاح وتفسير، أو بعبارة الخطَّابي نفسِه: "الغريبُ من الكلام إنما هو الغامضُ البعيدُ مِن الفَهم،كالغريب مِن الناس، إنما هو البعيدُ عن الوطن المنقطِعُ عن الأهل، ومنه قولُك للرجل إذا نحَّيتَه وأقصَيتَه: اغرُبْ عني: أي ابْعُد، ومن هذا قولُهم: نوى غُربة: أي بعيدة".

وعلمُ غريب الحديث فنٌّ قائمٌ بذاته أُلِّفتْ فيه مؤلفاتٌ عديدة. وأول من جمع في هذا الفن أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ – ٢٠٩ هـ)، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كُتيِّباً صغيراً، ولم تكن قِلَّتُه لجهله بغيره من غريب الحديث، وإنما كان ذلك لأمرين: أحدهما أن كلَّ مَن بدأ في فن لم يُسبق إليه فإنه يكون قليلاً ثم يكبُر، والثاني أن الناس يومئذ كان عندهم معرفة بلغة العرب، ولم يكن الجهل باللغة قد عم كما حصل في العصور المتأخرة[١].

ثم جاء من بعده أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلَّامٍ (١٥٧ – ٢٢٤ هـ)، "فإنه قد انتظم بتصنيفه عامةَ ما يُحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث، فصار كتابُه إمامًا لأهل الحديث، به يتذاكرون، وإليه يتحاكمون، ثم انتهج نهجَه

---

[١] انظر: إسلام ويب islamweb.net مقال: المؤلفات في غريب الحديث، تاريخ النشر ٢٠٠٢/٧/١.

ابنُ قتيبةَ أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢١٣ – ٢٧٦ هـ)، فتتبع ما أغفله أبو عبيد من ذلك، وألف فيه كتابًا لم يألُ أن يبلغ به شأوَ المبرِّز السابق"[١].

ثم وضع الإمام الخطَّابي هذا الكتابَ الذي بين أيدينا، وقال في سبب تأليفه: "وبقيَتْ بعدَهما[٢] صُبابةٌ للقول فيها مُتَبَرَّض[٣]، توليتُ جمعَها وتفسيرَها[٤]، مستعينًا بالله، ومسترسلًا إلى ذلك بحسن هدايتِهما وفضل إرشادِهما، وبما

---

[١] انظر مقدمة الخطّابي.

[٢] أبو عبيد وابن قتيبة.

[٣] متبرض: قليل. وهذا القول من الخطابي يدل على تواضعه، فإنه قد استدرك على من سبقوه هذا الكتاب في نحو ثلاثة آلاف صفحة.

[٤] جرت عادة الخطّابي في هذا الكتاب ألا يعيد لفظًا سبق عند أبي عبيد أو ابن قتيبة إلا أن يكون له مزيد تفسير عليهما، أو اختلاف معهما، وهو قليل (استدرك على ابن قتيبة وأبي عبيد كما في لفظة مئنّة ومندوحة). ولم يكتف الخطابي في إيراد الحديث بتفسير اللفظ، وإنما كان يذكر أحيانًا بعض ما يستفاد من الحديث من الفقه، بل في أحيان قليلة كان يورد الحديث لا لتفسير لفظ فيه؛ بل فقط لذكر ما يُستفاد منه، كما في حديث: "أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُنْفَخَ فِي الإناء أو يُنفس فِيهِ"؛ فقال فيه: نَهْيُه عَنِ النَّفْخ في الإناء لِمعْنَيَيْن: أحَدهُما أنَّه إنّما يَنفُخُ فيه لشِدَّة حرارته، والطَّعامُ الحارُّ الشَّديدُ الحرارة ضَارٌّ، ثُمَّ إنّه بَعْدُ من أمَاراتِ الجشَع وَقِلّة مَلَكَةٍ النفس، والآخرُ من أجْل أنَّهُ لا يُؤمَنُ أن يَقَع فيه شيء من رِيقِه فيَعافَه الطّاعِمُ لَهُ ويَسْتَقذره مؤاكِلُه.

نحوتُه من التيمُّم لقصدِهما والتقيُّل لآثارهما[١]، وكان ذلك مني بعد أن مضى عليَّ زمانٌ وأنا أحسبُ أنه لم يبقَ في هذا الباب لأحد متكلَّم، وأن الأول لم يترك للآخر شيئًا، وأتَّكل مع ذلك على قولِ ابن قتيبة حين يقول في آخر الخطبة من كتابه: "وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريبِ الحديث ما يكون لأحدٍ فيه مقال"[٢]. ثم إنه لما كثر نظري في الحديث، وطالت مجالستي أهلَه، ووجدتُ فيما يمرُّ بي ويَرِدُ عليَّ منه ألفاظًا غريبةً لا أصلَ لها في الكتابين، علمتُ أن خلاف ما كنتُ أذهب إليه من ذلك مذهبًا، وأن وراءه مطلبًا؛ فصرفتُ إلى جمعِها عنايتي، ولم أزل أتتبع مظانَّها وألتقط آحادَها وأضمّ نشرَها، وألفّق بينَها، حتى اجتمع منها ما أحبَّ اللهُ أن يوفِّق له، واتسق الكتاب، فصار كنحوٍ من كتابِ أبي عبيدٍ أو كتابِ صاحبِه"[٣].

فكانت هذه الكتب الثلاثة[٤] في غريب الحديث والأثر أمَّهاتِ الكتب، وهي الدائرة في أيدي الناس والتي يُعَوِّلُ عليها علماء الأمصار[٥].

---

[١] ويسمو الخطابي إلى ذروة التواضع وإنكار الذات فيقول: (ولعل ما نأثره منها لو بلغ أبا عبيد وصاحبه ـ يعني ابن قتيبة ـ لقالا به، وانتهيا إليه وذلك الظن بهما يرحمهما الله).

[٢] كيف يكون هذا وحديث رسول الله بحر لا ساحل له ولا يحويه كتاب واحد.

[٣] انظر مقدمة الخطّابي.

[٤] كتاب أبي عبيد وكتاب ابن قتيبة وكتاب الخطابي.

[٥] انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

التعريف بالمؤلف

أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخَطَّاب البُسْتي الخَطَّابي الشافعي (٣١٩ – ٣٨٨ هـ)، المشهور باسم الخَطَّابي، محَدِّث وفقيه وعالم من كبار أئمة الشافعية، ولد في مدينة بُسْت (لشكر كاه حاليًا)، وارتحل وطلب العلم والحديث، فذهب إلى بغداد والبصرة ومكة وخراسان وبلاد ما وراء النهر، وتفقه على المذهب الشافعي، ولقد صنف التصانيف وألف كتابًا في شرح الأسماء الحسنى سمَّاه "شأن الدعاء"، وشرح سنن أبي داود في "معالم السنن"، وله شرح لكتاب صحيح البخاري اسمه "أعلام السنن"، وله كتاب ينهى فيه عن علم الكلام اسمه "الغُنية عن الكلام وأهله"، وكتاب "غريب الحديث" وكتاب "إصلاح غلط المحدِّثين"، وغيرها من الكتب والتصانيف، وكان لغويًا له قصائد شعر، توفي سنة ٣٨٨ بمدينة بُست.

مولده

ولد أبو سليمان الخطابي في مدينة بُست (لشكر كاه حاليًا) وهي مدينة تقع في أفغانستان على شاطئ نهر هلمند، وهي عاصمة ولاية هلمند،، وكان ميلاده في شهر رجب سنة ٣١٩ هـ، ينسب لقبُهُ الخطَّابي إلى جدهِ الخطَّاب، وقيل إنه من نسل الصحابي زيد بن الخطَّاب، إلا أن المؤرخ ابن كثير ذهب إلى القول بعدم ثبوت ذلك.

طلبه للعلم

أخذ الخطَّابي العلمَ عن علماء بلده، ثم ارتحل طلبًا للاستزادة وسماعًا للحديث، فكان ينتقل بين بُسْت وسِجِسْتان، ثم رحل إلى نيسابور وأقام بها سنتين، وأخذ عن عالمها أبي العباس الأصمّ (المتوفى ٢٧٧ هـ)، وزار بُخارَى، ورحل إلى بغداد وسمع من إسماعيل بن محمد الصفار (المتوفى ٣٤١ هـ)، وأبي عمر الزاهد المعروف بغلامِ ثعلب (المتوفى ٣٤٥ هـ).

ثم ذهب إلى البصرة، وسمع من أبي بكر بن داسة[١] (المتوفى ٣٤٦ هـ)، وذهب إلى مكة وسمع من أبي سعيد بن الأعرابي (المتوفى ٣٤٠ هـ)، ثم عاد إلى بُسْت واستقر بها. وأخذ الفقه على مذهب الشافعي عن أبي بكرٍ القفَّال الشاشي (المتوفى ٣٦٥ هـ)، وأبي علي بن أبي هريرة (المتوفى ٣٤٥ هـ).

روى عنه الحاكم النيسابوري، وأبو حامد الإسفراييني، وأبو نصر محمد بن أحمد البلخي الغزنوي، وأبو مسعود الحسين بن محمد الكرابيسي، وأبو عمرو محمد بن عبد الله الرزجاهي، وأبو ذر عبد بن أحمد الهروي، وأبو عبيد الهروي اللغوي، وأبو الحسين عبد الغافر الفارسي، وجعفر بن محمد بن علي المروذي المجاور، وأبو بكر محمد بن الحسين الغزنوي المقرئ، وعلي بن الحسن السجزي الفقيه، ومحمد بن علي بن عبد الملك الفارسي الفسوي.

---

[١] معظم أسانيد الخطابي هي عن ابن داسة.

توفي في مدينة بُست في يوم السبت ٧ ربيع الآخر سنة ٣٨٨ هـ رحمه الله.

هذا الكتاب

وقد كتب الخطابي لكتابه هذا مُقدمةً وافيةً بيَّن فيها فضل أئمة القرون الثلاثة الأولى على عِلم السُّنة، وأنه لما ذهب هؤلاء الأعلام، وتناقل الحديثَ العجمُ، وكثرتْ الرواة، وفشا اللحن، ومرنتْ عليه الألسُن، رأى أولو البصائر والعقول أن يُعنَوا بجمع الغريب من ألفاظه، وتفسير المشكِل من مَعَانيه، وأن يُدوِّنُوها في كتب تبقى على الأبد؛ لتكون لمن بعدهم قدوة وإماماً، ومن الضلال عصمة وأماناً.

وقسَّم الخطابي كتابه ثلاثة أقسام[١]، تناول في القسم الأول تفسيرَ غريب حديث رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، وفي القسم الثاني غريبَ أحاديث الصحابة رضي الله عنهم، بدءًا بأبي بكرٍ ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم سائر الصحابة[٢] وانتهاءً بأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وفي القسم

---

١ أعدت تقسيم الكتاب إلى أربعة أجزاء، خصصت الجزأين الأول والثاني لغريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والجزء الثالث لغريب حديث الصحابة، والجزء الرابع لغريب حديث التابعين.

٢ ترتيب الخطابي أسماء الصحابة عند تفسيره غريب حديث كل منهم دليلٌ على فقهه وسعة علمه.

الثالث غريب حديث التابعين وتابعيهم، بدءًا بكعب الأحبار وانتهاء بحديث أبي بكرِ بنِ عيّاش.

وقد جرى الخطّابي فيه على ذكر الحديث، ثم بيان مَن حدَّثه به، وتفسير الغريب، والاستشهاد بالقرآن الكريم وبكلام الشعراء الذي يفسر من خلاله هذا الغريب، ثم توثيق التفسير بكلام أئمة اللغة من أمثال: أبي عمر الزاهد وأستاذه ثعلب، وابن الأعرابي، وابن السّكّيت، والفرّاء، والأصمعيّ، وغيرهم. وأحيانًا كان – بحسّه الفقهي – يذكر ما في الحديث من فوائد فقهية. كما كانت للخطابي تصويبات كثيرة على رواة الحديث وتصحيح بعض ألفاظ الرواية، فكان يقول: هكذا رووه وهو غلط، والصواب كذا.

وقد روى الخطّابي أحاديثَ هذا الكتاب بإسناده الخاص، وهو إسناد ذو شأن عند علماء الحديث، والدليل على ذلك أن منهم من روى عن الخطّابي كثيرًا من أحاديثه التي رواها هو في كتابه هذا بإسناده.

وقد لفت نظري أن كثيراً من ألفاظ الخطّابي التي تعرض لتفسير غريبها في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد في روايات مشهورة كرواية البخاري ومسلم وغيرهما، وإنما ورد بمترادفات لها المعنى نفسُه، ولعل ذلك كان بسبب أن بعض الرواة كان يروي الحديث بالمعنى، وهو أن يعمِدَ الراوي إلى تأدية معاني الحديث بألفاظ من عنده، وعلى حين كان بعض الصحابة والتابعين ومَن بعدهم يتشددون في رواية الحديث بالمعنى ويمنعون ذلك، كان

جمهرة أهل العلم من الصحابة والتابعين يجوّزون رواية الحديث بالمعنى، وهذا الذي رجَّحه البخاري، وقبلَه شيخُه عليّ بن المديني، ويحتجُّون على ذلك بأدلة؛ منها: عن واثلة بن الأسقع قال: "إذا حدثناكم على المعنى، فحسبكم"؛ قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري، ج ١، ص ٢٨٣) عن الإمام البخاري: "ربما كتبَ الحديثَ من حفظه، فلا يسوق ألفاظَه برمَّتها، بل يتصرف فيه ويسوقه بمعناه". وقال الترمذي: "فأمَّا من أقام الإسناد وحفظه، وغيَّر اللفظ، فإن هذا واسع عند أهل العلم إذا لم يتغير به المعنى"، وهو قول كثير من العلماء، ونص عليه أحمد، وقال: ما زال الحفَّاظ يحدِّثون بالمعنى".

أو كما قال الخطابي نفسه في تفسير ذلك في مقدمة كتابه: وقد يتكلم صلى الله عليه في بعض النوازل، وبحضرته أخلاطٌ من الناس، قبائلُهم شتى، ولغاتُهم مختلفة، ومراتبُهم في الحفظ والإتقان غير متساوية، وليس كلهم يتيسر لضبط اللفظ وحصره، أو يتعمَّد لحفظه ووعيه، وإنما يَستدرِك المرادَ بالفحوى، ويتعلق منه بالمعنى، ثم يؤديه بلغته ويعبِّر عنه بلسان قبيلته، فيجتمع في الحديث الواحد إذا انشعبتْ طرقُه عدةُ ألفاظ مختلفة، موجبُها شيء واحد.

ونظراً إلى أهمية كتاب "غريب الحديث" للخطَّابي في التراث اللغوي والحديثي؛ فقد رغبتُ في إعادة نشره وتقريبه إلى القارئ المعاصر.

وكان من عملي في خدمة كتاب "غريب الحديث" للخطّابي:

- اعتماد نسخة (الشاملة) لكتاب "غريب الحديث" للخطابي عن طبعة دار الفكر - دمشق – بتحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي - وخرَّج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي - والكتاب موافق للمطبوع.

- حذف أسانيد الخطابي[١]، والاكتفاء بذكر راوي الخبر فقط.

- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، من كتب الأحاديث التي ورد بها ما عرض الخطابي لتفسير غريبه.

- التعريف بالأعلام والشعراء، والأماكن والبلدان التي ورد ذكرها في عند الخطابي.

- عزو الشواهد الشعرية التي استشهد بها الخطابي إلى أصحابها، وذكر مطلع القصيدة. وقد لفت نظري أن كثيراً من الشعراء لم يتوصل إليهم محقق النسخة المطبوعة.

- تخريجُ الأمثال من كتب الأمثال، وشرحُها.

---

[١] حذفت أسانيد الخطابي - مع أهميتها – اكتفاء بأنها مذكورة في الطبعة الكاملة؛ وذلك تخفيفًا عن القارئ غير المتخصص في علوم الحديث والأسانيد.

- إيضاح معاني الكلمات والألفاظ والعبارات التي تحتاج إلى بيان وشرح وتفسير، من خلال كتب اللغة والمعاجم.

- ضبط الضروريّ من ألفاظ الكتاب، تيسيراً على القارئ المعاصر ومساعدةً له في إقامة اللغة التراثية المرويَّة في الكتاب.

- تصويب أخطاء "المطبوعة"، من خلال المصادر التي ورد فيها ذكر هذه الأخبار.

- وضع شرطة (-) أمام الأحاديث الأصلية التي عرض الخطابي لشرح غريبها، أمّا ما ورد من أحاديث استشهد بها في شرحه وتفسير فقد تركتها بدون هذه العلامة (-).

- تقسيم الكتاب أربعة أقسام (أجزاء) خصصتُ الجزء الأول والثاني لغريب حديث النبي صلى الله عليه وسلم، والجزء الثالث لغريب حديث الصحابة، والجزء الرابع لغريب حديث التابعين.

- جاءت تعليقاتي والمصادر التي استشهدت بها ورجعت إليها منثورةً في الهوامش من كل صفحة. وكل ما في الهوامش من عملي في خدمة الكتاب.

وهو المنهج الذي التزمتُه وأخذتُ به نفسي فيما وفَّقني الله في إخراجه من كتب التراث، في المشروع الذي تبنَّيتُه وسميتُه (سلسلة تقريب التراث الإسلامي

إلى القارئ المعاصر) وهذا هو الكتابُ السابع والعشرون – بفضل الله – في هذه السلسلة[١].

هذا فإن كان من صواب فهو من توفيق الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان الرجيم. رحم اللهُ الشيخَ العالمَ الجليلَ الإمامَ أبا سليمان الخطّابيَّ، وجزاه عنا خيراً، ونفعنا بعلمه، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو زهرة

الكويت – سبتمبر ٢٠٢٤م

---

[١] وقد سبقه لي ستة وعشرون عملاً في الجمع والدراسة والاختصار هي: (مختصر كتاب العزلة للخطّابي — التوبة وقصص التوابين – هذا نبينا كأننا نراه – دولة بني العباس – دولة بني أمية – الثائران: الحسين وابن الزبير – معاوية كسرى العرب — خلافة علي بن أبي طالب – خلافة ذي النورين عثمان بن عفان – خلافة الصِّدِّيق والفاروق – محمد رسول رب العالمين – علي ومعاوية يوم صفين – الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر – التعازي والمراثي للمبرد – محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني – الداء والدواء لابن القيم — أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي – النساء لابن قتيبة – بهجة المجالس لابن عبد البر – تهذيب تاريخ ابن خياط – مختصر زاد المعاد لابن القيم — قصة الإيمان منذ آدم حتى محمد — تحقيق العواصم من القواصم لابن العربي — حقوق آل البيت في مفهوم ابن تيمية — الشواهد الشعرية في معجم البلدان لياقوت الحموي — مختصر فضائل القرآن لأبي عبيد) إضافة إلى كتابين آخرين خارج السلسلة هما: "علماء معاصرون نصروا الإسلام"، وكتاب "غرباء". وكلها كتب منشورة على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع: نور، وموقع فولة بوك (في صفحة: محمد علي أبو زهرة).

بداية الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ ولا تُعَسِّرْ.

الحمدُ لله بارئ النَّسَم، رازقِ القَسَم[١]، الحكيمِ فيما أنشأ ودبَّر، الخبيرِ بما قدَّم وأخَّر، الذي وسِع خَلْقَه علمُه، وعدل فيهم حكمُه، يخلق ويختار، وكلُّ شيء عنده بمقدار، اختص بالأَثَرة الإنسانَ فأكرمَه بتعليم البيان، ويسَّره للنطق والكلام، والفهْم والإفهام، ليبلوَ فيها طاعتَه، ويُكمِل بها سعادتَه، أحمدُه على ما عمَّ مِن نعمِه، وخصَّ مِن مننِه، وأشكره على حسن ما اختار لنا من دينِه، وأكرمنا به من سُنةِ نبيِّه، وأُخْلِصُ القولَ بأن لا إله إلا الله، شهادةَ الموحِّد المستبصِر، غير المتوقِّف المتحيِّر، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه الأمينُ على وحْيِه، ورسولُه الصادعُ بأمرِه ونهيِه، المؤيَّدُ بجوامع الكَلِم، المبيِّن للناس ما نزل إليهم بلسانٍ عربيٍّ مبين، فيه واضحٌ يعرفه السامعون، وغامضٌ لا يعقلُه إلا العالمون، لتكون آثارُ الحكمة فيها قائمة، ودلائلُ الاعتبار عليها شاهدة، وليرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلمَ درجات.

وكان أرفعَهم في العلم درجةً، وأعلاهم قدرًا ورُتبةً، أئمةُ القرونِ الثلاثة، الذين نالتهم الخِيَرةُ، ولحقتهم الدعوةُ في قوله صلى الله عليه وسلم: (خيرُ القرونِ

---

[١] القَسْم والقَسَم: العطاء.

قرْني، ثمَّ الَّذين يَلونَهم، ثمَّ الَّذين يَلونَهم)[١]. وهم الصدرُ الأول، والنمطُ الأفضل، ورثةُ عِلْم السُّنة، والحافظون لها على مَنْ بَعْدَهم مِنَ الأمَّة، ثم لم يزل أولٌ منهم يُلقيه إلى آخِر، ويتلقاه خالِفٌ عن سالِف، ليكون دينُ الله بهم محروسًا عن تحريفِ الغالين، وانتحال الْمُبطلين، وتأويل الجاهلين، فصلى الله عليه وعلى المصطَفَين من آلِه، ورضي الله عن الغُرِّ المنتخَبِين من أصحابِه، وغفر للتابعين لهم بإحسان.

ثم إن الحديثَ[٢] لما ذهب أعلامُه بانقراض القرونِ الثلاثة، واستأخر به الزمان، فتناقلتْه أيدي العَجَم، وكثرتِ الرواةُ، وقلَّ منهم الرعاةُ، وفشا اللحنُ، ومرنتْ عليه الألسُنُ اللُّكْنُ، رأى أولو البصائر والعقول، والذابُّون عن حريمِ الرسول، أنَّ من الوثيقة في أمر الدين، والنصيحة لجماعة المسلمين، أن يُعْنَوا بجمع الغريبِ من ألفاظِه، وكشفِ الْمُغدَف[٣] من قناعِه، وتفسيرِ الْمُشكِل من معانيه، وتقويم الأَوَدِ[٤] من زَيغ ناقليه، وأنْ يدوِّنوه في كتبٍ تَبقى على الأبد،

---

[١] رواه البخاري.

[٢] الحديث النبوي الشريف.

[٣] المغدف: المستور.

[٤] الاعوجاج.

وتَخلُد على وجه السَّنَد[١]، لتكون لمن بعدَهم قدوةً وإمامًا، ومن الضلال عِصمةً وأمانًا.

فكان أولَ مَن سبق إليه ودلَّ مَن بعده عليه أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلَّامٍ[٢]، فإنه قد انتظم بتصنيفه عامةَ ما يُحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث، فصار كتابُه إمامًا لأهل الحديث، به يتذاكرون، وإليه يتحاكمون، ثم انتهج نهجَه ابنُ قتيبةَ أبو محمد عبد الله بن مسلم[٣]، فتتبع ما أغفله أبو عبيد من ذلك، وألَّف فيه كتابًا لم يألُ أن يبلغَ به شأوَ المبرِّز السابق، وبقيتْ بعدَهما صُبابةٌ للقول فيها مُتَبَرَّض[٤]، توليتُ جمعَها وتفسيرَها، مستعينًا بالله ومسترسلًا

---

[١] السَّنَدُ: ما ارتَفَعَ من الأَرض في قُبُل الجبل أَو الوادي، والجمع أَسْنادٌ.

[٢] أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي (١٥٧ – ٢٢٤ هـ): عالم لغة وفقيه ومحدّث وإمام من أئمة الجرح والتعديل عاش في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وترك عددًا من الكتب أشهرها «الغريب المصنّف» و«غريب الحديث» إضافة إلى كتاب «الأموال» الذي يعد من أمهات الكتب في الاقتصاد الإسلامي.

[٣] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِيُّ (٢١٣ – ٢٧٦ هـ): أديب لغوي فقيه محدّث مؤرخ مسلم. عاش في زمن دولة بني العباس، له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها. وكان يعد خطيب أهل السنة والجماعة. فقد سخَّر قلمه لإعلاء منزلة السنّة، وتفنيد الحجج التي ظهر بها خصومها، وقِيل فيه إنّه في أهل السنة بمنزلة الجاحظ عند المعتزلة.

[٤] متبرض: قليل. وهذا القول من الخطابي يدل على تواضعه، فإنه قد استدرك على من سبقوه في هذا الكتاب في نحو ثلاثة آلاف صفحة.

إلى ذلك بحُسن هدايتِهما وفضْلِ إرشادِهما، وبما نحوتُه من التيمُّم لقصدِهما والتقيُّل لآثارِهما، وكان ذلك منّي بعد أن مضى عليَّ زمانٌ وأنا أحسِب أنه لم يَبق في هذا الباب لأحدٍ متكلَّم، وأن الأول لم يترك للآخر شيئًا، وأتَّكِل مع ذلك على قولِ ابنِ قتيبة حين يقول في آخر الخطبة من كتابه: (وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريبِ الحديث ما يكون لأحدٍ فيه مقال).

ثم إنه لما كثر نظري في الحديث، وطالت مجالستي أهلَه، ووجدتُ فيما يمرُّ بي ويرِدُ عليَّ منه ألفاظًا غريبةً لا أصلَ لها في الكتابين، علمتُ[١] خلافَ ما كنتُ أذهب إليه من ذلك مَذهبًا، وأنَّ وراءه مَطلبًا؛ فصرفتُ إلى جمعِها عنايتي، ولم أزل أتتبع مظانَّها وألتقط آحادَها وأضم نَشَرَها[٢]، وألفِّق بينَها، حتى اجتمع منها ما أحبَّ اللهُ أن يوفِّق له، واتَّسقَ الكتاب، فصار كنحوٍ من كتاب أبي عبيدٍ أو كتابِ صاحبِه[٣]، ونحَوتُ نحوَهما في الوضع والترتيب، وابتدأتُ أولًا بتفسير حديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ثنيتُ بأحاديثِ الصحابة، وأردفتُها أحاديثَ التابعين، وألحقتُ بها مقطعاتٍ من الحديث، لم أجد لها في الرواية سَندًا، إلا أنها قد أُخذت عن الْمَقانِع[٤] من أهل العلم، والأَثْبات من

---

[١] في المطبوعة: علمت أن.

[٢] المتفرق منها.

[٣] ابن قتيبة.

[٤] المقانع: جمع مَقنع، والمِقْنَعُ: الشاهدُ العَدْلُ يُرضَى بشهادته.

أصحاب اللغة، وختمتُ الكتابَ بإصلاح ألفاظٍ من مشاهير الحديث، يَرويها عوامُّ النَّقَلة ملحونةً ومحرَّفةً عن جهة قصدِها، رأيتُ داعيةَ الحاجة منهم إلى ذكرِها شديدةً، والفائدةَ في تقويمها لهم عظيمةً، ولم أعرِض لشيء فُسِّر في كتابَيهما إلا أن يتصل حرفٌ منه بكلام، فيُذكَر في ضِمنه، أو يقع شيء منه في استشهادٍ أو نحوه، وإلا أحاديث وجدتُ في تفسيرها لمتقدمي السلف أو لمن بعدهم من أهل الاعتبار والنظر أقاويلَ تخالف بعضَ مذاهبهما[١]، وتعدِل عن سَنن اختيارِهما، اقتضى حقُّ هذا الكتاب، وشرطُ ما هو ضامنه من استيفاء هذا الباب أن يكون مشتملًا عليها ومحيطًا بها، ويكفي من العذر فيما أَورَده منها أن الغرضَ فيه أن يظهرَ الحقُّ وأن يَبِينَ الصوابُ، دون أن يكون القصدُ به الاعتراض على ماضٍ أو الاعتداد على باقٍ، ولعل بعضَ ما نَأْثُرُه[٢] منها لو بَلَغَ أبا عبيدٍ وصاحبَه لقالا به وانتهيا إليه، وذلك الظنُّ بهما يرحمهما الله، فأما سائر ما تكلمنا عليه مما استدركناه بمبلَغِ أفهامِنا وأخذناه عن أمثالِنا فإنا أحقَّاءُ بألا نزَكِّيَه وألا نؤكد الثقة به، وكلُّ من عثر منه على حرف أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده اللهَ في إصلاحِه وأداء حقِّ النصيحة

---

[١] أبو عبيد وابن قتيبة.

[٢] نورده وننقله إلى اللاحقين.

فيه، فإن الإنسانَ ضعيف لا يسلَمُ من الخطأ إلا أن يعصمَه الله بتوفيقه، ونحن نسألُ اللهَ ذلك ونرغبُ إليه في دَرَكه إنه جَوادٌ وَهُوب.

وقد بقي في هذا البابِ كتبٌ غيرُ ما ذكرناه، منها كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى[١]، وكتاب يُنسب إلى الأصمعي[٢] يقع في ورقات معدودة، وكتاب محمد بن المستنير[٣] الذي يعرف بقُطْرُب، وكتاب النضر بن شميل[٤]، وكتاب إبراهيم

---

[١] أبو عُبَيدة مَعْمَر بن المثنّى (١١٠ – ٢٠٩ هـ): أديب، لغوي، أخباري، ولد في البصرة عام ١١٠ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك الأموي، وتوفي ودفن فيها عام ٢٠٩ هـ في خلافة المأمون العباسي، زار بغداد ودرس على يد أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة وعلى يونس بن حبيب، فصار أحد ثلاثة تعاصروا وتنافسوا فيما بينهم: هو، وأبو زيد، والأصمعي، وقد امتاز عنهما أبو عبيدة بمعرفة أيام العرب وأخبار العرب في الجاهلية، وقد صنف كتباً في أيام العرب وأخبارهم وأشعارهم في الجاهلية، وهو أول من صنف في غريب الحديث، وتوفي وله أكثر من مائتي كتاب، ومن أشهر تلاميذه أبو عبيد القاسم بن سلام، وعمر بن شبة، وأبو نواس الشاعر وغيرهم.

[٢] أَبُو سَعِيدْ عَبْدِ اَلْمَلِكْ بْنْ قَرِيبِ بْنْ عَبْدِ اَلْمَلِكْ بْنْ عَلِي بْنْ أَصْمَعْ اَلْبَاهِلِي اَلْبَصَرِيَّ المعروف بَالْأَصَمَعِي (١٢٣ – ٢١٦ هـ): راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان.

[٣] أَبُو عَلِي مُحَمَّدْ بْنْ اَلْمُسْتَنِيرِ بْنْ أَحْمَدْ اَلْبَصَرِيّ المعروف بِقُطْرُبْ (ت ٢٠٦ هـ): أحد من اختلف إلى سيبويه وتعلم منه، وكان يدلج إليه، وإذا خرج رآه على بابه غدوة وعشية، فقال له: ماأنت إلا قطرب ليل! فلقب به. واشتهر بمثلثات قطرب.

[٤] أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم المازني التميمي البصري (١٢٢– ٢٠٣ هـ): قاضٍ ولغوي وراوٍ للحديث وفقيه، ولد بمرو ونشأ بالبصرة ثم غادرها إلى خراسان وأقام في نيسابور قليلاً. أخذ عن الخليل بن أحمد ولازمه مُدةً طويلةً، وأقام بالبادية زمناً فأخذ عن فصحاء

بن إسحاق الحربي[١]، وكتاب أبي معاذ المروزي[٢] صاحب القراءات، وكتاب شمر بن حمدويه[٣]، وكتاب الباجُدَّائي[٤]، وكتاب آخر ينسب إلى رجل يعرف بأحمد بن الحسن الكندي[٥]، إلا أن هذه الكتب على كثرة عددِها إذا حُصِّلت كانت كالكتاب الواحد؛ إذ كان مصنِّفوها لم يقصدوا بها مذهبَ التعاقب،

العرب كأبي خيرة الأعرابي وأبي الدقيش وغيرهُما. وكان النضر من أهل السنة النبوية وهو أول من أظهرها بخراسان ومرو. وليَ القضاء بمرو وكان مُتقللاً مُتقشفاً زاهِداً. وله مع المأمون حكايات ونوادر لأنه كان يجالسه وأمَرَ له في وقت بخمسين ألف درهم.

[١] أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي البغدادي، صاحب التصانيف: كان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مميزاً لعلله، قيماً بالأدب، جمَّاعة للغة، صنف غريب الحديث، وكتباً كثيرة. قال أبو العباس ثعلب: ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة ولا نحو، من خمسين سنة.

[٢] الفضل بن خالد الباهلي المروزي النحوي، توفي عام: ٢١١ هـ.

[٣] شمر بن حمدويه الهروي، أبو عمرو: لغويّ أديب. من أهل هراة (بخراسان) زار بلاد العراق في شبابه، وأخذ عن علمائها. له كتاب كبير في اللغة، ابتدأه بحرف الجيم، غرق في النهروان، ورأى منه الأزهري تفاريق أجزاء غير كاملة.

[٤] الحسين بن عياش بن حازم السلمي، الجزري الباجدائي الرقي: فاضل، من رجال الحديث. من أهل باجداء (قرية بقرب بغداد) نسبته إليها ووفاته فيها. له كتاب في (غريب الحديث).

[٥] أحمد بن الحسن الكندي قدم الري روى عن حجاج بن نصير وأبي عبيدة معمر بن المثنى روى عنه الفضل بن شاذان المقرئ والحسن بن الليث.

كصنيع القتيبيّ[١] في كتابه، إنما سبيلُهم فيها أن يتوالَوا على الحديث الواحد فيعتوِرُوه فيما بينهم، ثم يتبارَون في تفسيره، يدخل بعضهم على بعض، ولم يكن من شرط المسبوق منهم أن يُفرج للسابق عما أحرزَه، وأن يقتضبَ الكلامَ في شيء لم يفسَّر قبلَه، على شاكلة مذهب ابن قتيبة وصنيعه في كتابه الذي عقَّبَ به كتابَ أبي عبيد، ثم إنه ليس لواحدٍ من هذه الكتب التي ذكرناها أن يكون شيء منها على منهاج كتابِ أبي عبيد في بيان اللفظ وصحَّة المعنى وجَوْدة الاستنباط وكثْرة الفِقه، ولا أن يكون من شرْح كتاب ابنِ قتيبة في إشباع التفسير وإيراد الحُجة وذكْر النظائر والتخلُّص للمعاني، إنما هي أو عامتُها إذا انقسمتْ وقعتْ بين مُقْصِر لا يورِد في كتابه إلا أطرافًا وسواقط من الحديث، ثم لا يوفّيها حقَّها من إشباع التفسير وإيضاح المعنى، وبين مُطيلٍ يسرد الأحاديثَ المشهورةَ التي لا يكاد يُشكِل منها شيء، ثم يتكلَّف تفسيرَها ويُطنِب فيها.

وفي بعض هذه الكتب خَللٌ من جهة التفسير، وفي بعضها أحاديثُ منكَرَة، لا تدخل في شرط ما أنشئتْ له هذه الكتب، وكتاب شَمِر أشفاها وأوفاها.

---

[١] ابن قتيبة.

وفي الكتابين[١] غِنًى ومَندوحةٌ عن كل كتاب ذكرناه قبْل، إذ كانا قد أتيا على جماع ما تضمَّنه من تفسير وتأويل، وزادا عليه فصارا أحقَّ به وأملَكَ به، ولعل الشيء بعد الشيء منها قد يفوتُهما، إلا أن الذي يُفلتهما من جملة ما فيها إنما هو النَّبْذُ اليسيرُ الذي لا يُعتد به ولا يُؤبَه له.

ولابن الأنباري[٢] من وراء هذا مذهبٌ حسنٌ في تخريج الحديث وتفسيره، وقد تكلم على أحاديثَ معدودة وقع إليَّ بعضُها، وعامَّتُها مفسَّرة قبلُ، إلا أنه قد زاد عليها وأفاد، وله استدراكاتٌ على ابن قتيبة في مواضع من الحديث، ربما نذكر الشيء منها في أضعافِ[٣] كتابِنا هذا وننسبُه إليه، وسيمرُّ بك ذلك في مواضعه إن شاء الله.

وأما كتابُنا هذا فقد كان خَرَج لي بعضُه وأنا إذ ذاك ببخارَى في سنة تسع وخمسين وثلاثمئة، فطلب إليَّ إخوانُنا بها أن أمكِّنهم من انتساخِه، وأحَبُّوا أن يتعجَّلوا فائدتَه من غير تعريج عليَّ في إتمامه وتَلوّمٍ[٤] في النظِرة لأن يبلغ إناه،

---

[١] كتاب أبي عبيد وكتاب ابن قتيبة.

[٢] أبو بكر بن الأنباري: الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطة بن دعامة(٢٧١ – ٣٢٨هـ) المقرئ النحوي.

[٣] ثنايا.

[٤] انتظار.

فأفرجتُ لهم عنه ولَمَّا يأتِ النظرُ بعدُ على استيفاء ملاحظته، ولم يقع الاحتشادُ[١] مني لتهذيبه، وقد قال الحكيم: "دَعُوا الرأي حتى يَغِبَّ"[٢].

وعن أبي زيدٍ[٣] قال: "لا يَبْيَضُّ الكتابُ حتى يَسْوَدَّ".

فلم تكن أيضًا كتبي التي أعتمدُها معي، ولعلي مع ذلك لم أكن من فراغ البال وزوال تقسُّم القلب بحيث كنتُ أتسِع لتهذيب ما كان سبيلُه أن يهذَّب منه.

ولما تنَّفس الوقت، ورزق اللهُ التوفيق لِمَا أحَبَّ أن يوفِّق منه، وتصفحتُ ما في تلك النسخة، تبينتُ في أحرفٍ منها خَللًا، فغيرتُ وأصلحتُ، وزدتُ وحذفتُ، ورتبتُ الكتابَ على الوجه الذي استقر الآن عليه، فمَن وقفَ

---

[١] الاحتشاد: الاجتهاد وبذل الوسع.

[٢] كان عامر بن الظرب حكيم العرب يقول: "دعوا الرأي يغبّ – حتى يختمر – وإياكم والرأيَ القَطير". يريد الأناةَ في الرأي والتثبّتَ فيه. انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، والشكوى والعتاب للثعالبي.

[٣] أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري البصري (١٢٢ – ٢١٥ هـ): لغوي من أئمة الأدب. غلب عليه اللغات والنوادر والغريب. حدث أبو عثمان المازني قال: «رأيت الأصمعي وقد جاء إلى حلقة أبي زيد المذكور، فقبل رأسه وجلس بين يديه وقال: أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة».

على شيء من تلك النسخة فليقفْ على السبب فيه، والله الموفق للصواب. ولا حول ولا قوة إلا به.

وقد رأيتُ أن أقدِّم هذه الفصول بين يديْ ما أنا مفسِّره من غريب الحديث في كتابنا هذا؛ ليمتثلَها أصحابُ الحديث وطلّابُ الأثر، فتكون تقدِمةً للمعرفة وتوطئةً للصناعة، وأجعلها رفدًا للمسترفدين وزادًا للمُقوِين[1]، والله ينفعنا وإياهم بمنّه.

[1] المحتاجين.

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فيما يجب على مَن طلب الحديث مِن تعلُّم كلام العرب وتعرُّف مذاهبِها ومصارفِ وجوهها

إنَّ بيان الشريعة لَمَّا كان مصدرُه عن لسان العرب، وكان العملُ بموجبه لا يصحُّ إلا بإحكام العلم بمقدِّمتِه، كان من الواجب على أهل العلم وطلاب الأثر أن يجعلوا أولًا عُظْم اجتهادِهم، وأن يصرفوا جُلَّ عنايتِهم إلى علم اللغة والمعرفة بوجوهها، والوقوف على مُثُلها ورسومِها.

ثم إنَّ فنونَها كثيرة، ومنادِحَها[1] واسعة، والطمعَ عن الاستيلاء عليها منقطِع، والإمعانَ في طلبها يستغرق العمرَ، ويصد عما وراءها من العلم، ومِلاك الأمر فيما تمس بهم إليه الحاجةُ منها معرفةُ أبوابٍ ثلاثةٍ: وهي أمثلةُ الأسماء، وأبنيةُ الأفعال، وجهاتُ الإعراب، فإنّ من لم يُحكِم هذه الأصول لم يَكمُل لأن يكون واعيًا لعلم أو راويًا له، وبالحَرِيّ أن يكون ما يفسدُه منه أكثر مما يُصلحُه، وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ مقالتي فبلَّغَها، فرُبَّ حاملِ فِقهٍ غيرُ فَقيهٍ، وربَّ حاملِ فِقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منهُ)[2]. فالذاهب عن طريق الصواب فيها كيف يؤديها كما سمعَها وهو لم يُتقن

---

[1] جمع مندوحة، وهي الفسحة والسعة.

[2] رواه ابن ماجه وصحح الألباني إسناده.

حفظَها ولم يُحسِن وعيَها؟ وكيف يبلّغها مَن هو أفقهُ منه وهو لا يملك حملَها ولا ينهض بعبئها؟ فهو إذن مغتصبٌ على الفقيه حقَّه، قاطعٌ لطريق العلم على من بعدَه، والله المستعان.

وأنا ممثِّلٌ لك يا طالبَ الحديث في كل باب من هذه الأبواب الثلاثةِ مُثُلًا من الحديث تَستدِلُّ بها على ما أردتُ بيانَه لك منها إن شاء الله:

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يحمِلُ هذا العلمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدولُه؛ ينفونَ عنهُ تحريفَ الغالِينَ وانتحالَ المبطِلينَ وتأويلَ الجاهلينَ)[١].

الرواية بتحريك اللام في الخَلَف، وقد رواه بعضُهم بسكون اللام، فأزال الخبرَ عن جهتِه، وأحال معناه؛ لأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد بقوله هذا ذمَّ عدولِ حملةِ العلم، إنما أراد به مدحَهم والثناءَ عليهم. وإنما الخَلْف بسكون اللام خَلْفُ السوء، قال الله تعالى: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ}، ومنه قولُ لبيدِ بنِ ربيعةَ العامريّ[٢]:

---

[١] أخرجه أحمد بإسناد صحيح.

[٢] لبيد بن ربيعة العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً وسكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات.

ذَهَبَ الَّذينَ يُعاشُ في أَكنافِهِم وَبَقيتُ في خَلْفٍ كَجِلدِ الأَجرَبِ[١]

ويقال: فلانٌ خَلَفُ صِدْق من أبيه، وخَلَفُ سُوء - متحركة اللام - فإذا لم تذكرْ خيرًا ولا شرًّا قلتَ في الخير: خَلَف، وفي الشر: خَلْف.

ومن هذا الباب حديثُه الآخر، أنه قال: (مَن تزوَّج ذاتَ جَمال ومال، فقد أصاب سِدادًا من عَوَز)[٢]، رواه هُشَيْمُ بنُ بَشير[٣]: سَدادًا - بفتح السين - فأزال المعنى، وإنما هو السِّداد - مكسورة السين - من سَدِّ الخَلَّة، وكلُّ شيء سددتَ به فُرجة، أو ردمْتَ به ثُلْمة فهو سِداد، ولذلك سُمِّي صِمَامُ القارورة سِدادًا، فأما السَّداد - بفتح السين - فهو مصدر سَدَّ رأيُ فلانٍ، يَسِدّ سَدادًا. وكان المأمونُ قد سمع هذا الحديثَ من هُشَيْمٍ، فرواه ملحونًا كما سمعه اتباعًا للرواية، فراجعه النضرُ بنُ شُمَيلٍ[٤] في ذلك، فامتعض من هُجْنة اللحن،

---

[١] في ديوانه وهو أحد بيتين وبعده: (يَتَأَكَّلونَ مَغالَةً وَخِيانَةً وَيُعابُ قائِلُهُم وَإِن لَم يَشغَبِ).

[٢] ضعيف، أخرجه ابن النجار عن ابن عباس والشيرازي في الألقاب عن ابن عباس.

[٣] هُشَيْمُ بن بشير بن أبي خازم: من حفاظ الحديث الثقات، روى له أصحاب الكتب الستة ولد سنة ١٠٤ هـ، وسكن بغداد، وصنف التصانيف، قال يعقوب الدورقي :«كان عند هشيم عشرون ألف حديث».

[٤] النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم المازني التميمي البصري (١٢٢ - ٢٠٣ هـ): قاضٍ ولغوي وراوٍ للحديث وفقيه، ولد بمرو ونشأ بالبصرة ثم غادرها إلى. أخذ عن الخليل بن أحمد ولازمه مُدةً طويلةً، وأقام بالبادية زمناً فأخذ عن فصحاء العرب كأبي خيرة الأعرابي وأبي الدقيش وغيرهُما. وكان النضر من أهل السنة النبوية وهو أول من أظهرها بخراسان ومرو. ولي القضاء بمرو وكان

فعن النَّضِر بنِ شُمَيل قال: لَمَّا قدم علينا المأمونُ خُراسانَ دخلْنا عليه فحدَّثنا عن هُشَيْم بْن بَشِيرٍ عَنْ مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لِدِينِهَا وَجَمَالِهَا كَانَ ذَلِكَ سَدَادًا مِنْ عَوَزٍ)، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صَدَقَ هُشَيْمٌ، حَدَّثَنَا عَوْفُ بْنُ أَبِي جَمِيلَةَ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لِدِينِهَا وَجَمَالِهَا كَانَ ذَلِكَ سِدَادًا مِنْ عَوَزٍ)، فقال: أتلَحِّنونني؟ فقلتُ: لَحَنَ هُشيمٌ، وكان لحّانًا، فقال: وما حُجَّتُك؟ قلتُ: قولُ العَرْجي[١]:

أَضاعُوني وَأَيَّ فَتىً أَضاعُوا لِيَومِ كَريهَةٍ وَسِدادِ ثَغرِ[٢]

مُتقلِلاً مُتقشفاً زاهِداً. وله مع المأمون حكايات ونوادر لأنه كان يجالسه وأمَرَ له في وقت بخمسين ألف درهم.

[١] العرجي عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي: شاعر، غزِل مطبوع، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة. كان مشغوفاً باللهو والصيد. وكان من الأدباء الظرفاء.

[٢] في ديوانه وهو مطلع القصيدة، وبعده:

وَخَلَّوني لِمعتَرَكِ المنايا وَقَد شَرَعَت أَسِنَّتُها لِنَحري

كَأَنّي لَم أَكُن فيهِم وَسِيطاً وَلا لِي نِسبَةٌ في آل عَمْرِي

قال: فسَكَتَ[١].

وأما الغلطُ في التصريف وأبنيةِ الفِعل فكالحديثِ الذي رُوي أنه (أُتِيَ بأسيرٍ يُرعَدُ فقال لهم أَدْفُوه)[٢]، يريد أَدفئوه، مِن الدَّفاء، ولم يكن من لغته الهمز، فذهبوا به فقتلوه، فوَداه[٣] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان يريد به معنى القتل لقال: دافُوه أو دافُّوه بالتثقيل، يقال: دافيتُ الأسيرَ ودافففتُه، إذا أجهزتَ عليه.

ومما نُقل مِن هذا الباب معدولًا به عن سَمْته حديثُه الآخر، حين أتاه قومٌ من العرب كان لهم طَوْل[٤] على آخرين، فقالوا: لا نَرضى إلا بأن يُقتل بالعبد منا الحرُّ منهم، فأمَرَهم صلى الله عليه وسلم أن يتباوَؤوا[٥]، يرويه المحدِّثون: يتباأوْا،

---

[١] وفي رواية للنضر قَالَ: فَاسْتَوَى جَالِسًا ثُمَّ قَالَ: يَا نَضْرُ، كَيْفَ قُلْتَ سِدَادًا بِالْكَسْرِ وَلَمْ تَقُلْ سَدَادًا، مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّدَادُ: الْقَصْدُ فِي الدِّينِ وَالسَّبِيلِ وَالطَّرِيقِ، وَالسِّدَادُ لِلثَّلْمَةِ، وَكُلُّ مَا سَدَّدْتَ فَهُوَ سِدَادٌ بِالْكَسْرِ.

[٢] أورده أبو عبيد في غريب الحديث: ٤/ ٣٣. وانظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد للبسيلي، وكنز الكتب ومنتخب الأدب للبونسي.

[٣] دفع ديته لأولياء الدم.

[٤] الطَّوْلُ: الفضلُ والغنى واليسر.

[٥] أورده أيضًا أبو عبيد في غريب الحديث. وقال: وحَدِيثٌ آخر أَن النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ: الجِراحات بَوَاء، يَعْنِي أَنَّهَا مُتَسَاوِيَة فِي الْقصاص وَأَنه لَا يقْتَصّ للمجروح إِلَّا من جارحة الْجَانِي عَلَيْهِ بِعَيْنِه وَأَنه

وكذلك رواه هُشَيم وغيرُه من الرواة، والصوابُ يتباوَؤوا، على مثال: يتقاوَلوا، من البَواء، وهو التساوي في القِصاص؛ قال الأعشى[١]:

إمّا يُصِبْكَ عدوٌّ في مُباوَأةٍ يومًا فقد كنتَ تستَعْلي وتَنْتَصِرُ[٢]

فأمَّا يتباأَوا فإنما يكون من بَأْو الكِبر والزَّهْو، وهو ضد المعنى الذي أمرهم به من التساوي.

وأما الإعراب وما يختلف من معاني الحديث باختلافه فكقوله: (ذَكَاةُ الْجَنِينِ ذَكَاةُ أُمِّهِ)[٣]. الروايةُ بضمِّ الذَّكاتين على مذهب الخَبَر[٤]، وقد حرَّفه بعضُهم

مَعَ هَذَا لَا يُؤْخَذ إِلَّا مثل جراحته سَوَاء، فَذَلِك البواء، قَالَت ليلى الأخيلية فِي مقتل تَوْبَة بن الْحمير: فَإِن تكن الْقَتْلَى بَوَاء فَإِنَّكُم ... فَتى مَا قتلتم آل عَوْف بْن عَامر.

[١] أعشى باهلة: شاعر جاهلي. يكنى (أبا قحفان) أشهر شعره رائية له، في رثاء أخيه لأمّه (المنتشر بن وهب) أوردها البغدادي برمتها. وقيل: اسمه عمر.

[٢] في ديوانه من قصيدته الرائية الشهيرة التي يرثي فيها أخاه المنتشر، ومطلعها: (إنّي أَتَتني لِسانٌ مَا أُسَرُّ بها من عُلوَ لا عَجَبٌ فِيهَا ولا سَخَرُ).

[٣] صححه النووي في "المجموع" (٢ /٥٦٢) وابن دقيق العيد في "الإلمام" (٢ /٤٣٢) والألباني في "الإرواء".

[٤] معنى الحديث أن الجنين إذا خرج ميتًا من بطن أمه بعد ذبحها، أو وجد ميتًا في بطنها، فهو حلال لا يحتاج إلى استئناف ذبح؛ لأنه جزء من أجزائها، فذكاتُها ذكاةٌ له.

فنصب الذكاةَ على مذهب الأمْر، لينقلبَ تأويلُه فيستحيلَ به المعنى عن الإباحة إلى الحظْر.

وكقوله: (احتجَّ آدمُ وموسى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى)[١]، الوجهُ أن ترفعَ آدمَ لأن الفعلَ له، وتنصبَ موسى لأنه المحجوج، فمن أغفلَ مراعاةَ الإعراب ونصبَ آدمَ أحال في الرواية وأنكر القَدَر.

ومَن تتبَّع هذا البابَ في الحديث وجد منه الكثيرَ، وفيما أوردتُ دليل على ما أردتُ، فواجبٌ على من دأب في طلب الحديث ولَهِج بتتبُّع طُرقِه أن يُعنى أولًا بإصلاح ألفاظِه وإحكامِ متونِه لئلا يكونَ حظُّه من سعيه عناءً لا غناءَ معه، وتعبًا لا نُجحَ فيه.

التصحيف وسوء التأويل

إن طالبَ الحديث إذا أغفل معرفةَ الأبواب الثلاثة التي قدمنا ذكرَها[٢] لم يكد يسلَم من التصحيف وسوء التأويل؛ وذلك لأن فيما يرد من الحديث ألفاظًا كثيرة متشابهة في الصورة والخط، متنافية في المعنى والحُكم، فحقٌّ على طالب

---

[١] رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى؛ فَقَالَ له مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ؟! فَقالَ له آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي علَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟! فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، مَرَّتَيْنِ.

[٢] أمثلةُ الأسماء، وأبنيةُ الأفعال، وجهاتُ الإعراب.

الحديث أن يرفُق في تأمُّل مواضع الكلام، ويُحسِن التأتّي لمحنة اللفظ، ومعرفة ما يليق به من المعنى، ليستوضحَ به قصدَه، ويصيبَ جهتَه، فإن قومًا أغفلوا تفقُّدَ هذا الباب فلحقتْهم سِمَة التحريف ولزمتْهم هُجنةُ التقصير، وصاروا سُبَّة على أهل الحديث، تُنْثَى[١] زلاتُهم وتُذكَر عثراتُهم.

عن عبد الله بن أبي عمّار[٢] قال: سُرِقتْ لي عَيْبَةٌ[٣] ومعنا رجلٌ يُتَّهم، فقال أصحابي: يا فلانُ، اردُدْ عليه عَيبتَه، فقال: ما أخذتُها، فجئتُ إلى عمرَ بنِ الخطابِ، فأخبرتُه القصةَ وقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، لقد هممتُ أنْ آتيَ به مصفودًا، قال: تأتيني به مصفودًا (بغير بَيِّنة!) وغضِبَ، فما كَتَبَ لي فيها وما سَأَلَ[٤].

قال الخليلُ: هذا مما صحَّف فيه الراوي، إنما قال له عمر: تَعْتَرِسُه[٥]، بمعنى تقهرُه وتظلمُه، وذلك لأنه لو أقام عليه البينةَ لم يكن في الحكم أن يكتِفه.

---

[١] تُروَى وتُذكر، من نثا الحديثَ يعني رواه.

[٢] هكذا، وفي مصنف عبد الرزاق: عبد الله بن أبي عامر، وليس عمار:

[٣] العيبة: حقيبة من الجلد توضع فيها الأشياء الثمينة.

[٤] رواه عبد الرزاق في المصنف باب التهمة: ١٨٨٩٣.

[٥] وعلى هذا تكون روايتها: تأتيني به مصفودًا تعترسُه.

وفي حديثِ أبي الدرداء[١] (أَتْقَنُوا عَلَيْكَ الْبُنْيَانَ وَتَرَكُوكَ لِمَتَلِّكَ)[٢] أي لمصرعِك[٣].

قال يحيى بنُ مَعين[٤]: صحَّفه فلانٌ فرواه: لِمِثْلِك.

قال يحيى: وصحّف فلانٌ حديثَ أبي عبيدة: (أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ كَان يَوْمَ الفَتْح على الحُسَّرِ)[٥] فرواه: على الجِسْر. والحُسَّر: جمعُ حاسِر، وهو الذي لا دِرْع عليه.

---

[١] أبُو الدَّرْدَاءِ الأنصَارِيُّ: صحابي وفقيه وقاضٍ وقارئ قرآن وأحد رواة الحديث النبوي، وهو من الأنصار من بني كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. أسلم متأخرًا يوم بدر، ودافع عن النبي يوم أحد، وشهد ما بعد ذلك، وكان من المجتهدين في التعبد وقراءة القرآن. رحل إلى الشام بعد فتحها ليُعلّم الناس القرآن، وليُفقّههم في دينهم، وتولى قضاء دمشق، ظل بها إلى أن مات فيها في خلافة عثمان بن عفان.

[٢] أخرجه ابن معين في تاريخه "٣٧٥/٤" وابن أبي شيبة في مصنفه "٣٧١/٣"، وتمامه: أَيْنَ أَنْتَ مِنْ يَوْمٍ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَرْضِ إلا عَرْضَ ذِرَاعَيْنِ فِي طُولِ أَرْبَعِ أَتْقَنُوا عَلَيْكَ الْبُنْيَانَ وَتَرَكُوكَ لِمَتَلّك.

[٣] تَلَّ خَصْمَهُ: صرعه وأَلْقاهُ على عُنُقِهِ وَخَدِّهِ، قال تعالى: "وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ".

[٤] يحيى بن مَعِين الإمام الحافظ، إمام الجرح والتعديل، شيخ المحدّثين (ولد سنة ١٥٨ هـ) أحد كبار علماء الحديث النبوي عند أهل السنة والجماعة.

[٥] أخرجه مسلم من حديث أبي عُبَيْدَةَ.

قال: وصحَّف في حديثٍ يرويه شَبَابَةُ عن ورقاءَ فيه (عِبْر الوادي)، فقال: عَبَر الوادي، وإنما هو العِبْر، يريد شاطئ الوادي، قال النابغة[١]:

فَما الفُراتُ إذا جاشَتْ غَوارِبُهُ تَرمي أَواذِيُّهُ العِبْرَينِ بِالزَّبَدِ[٢]

ومن تصحيفِ بعض الرواة في الحديث الذي يُروى[٣] (إنْ صُمتم حتى تكونوا كالأوتار، وصَلَّيتم حتى تكونوا كالحنائر).

رواه: الجنائز، وإنما هي الحنائر، جمع حَنيرة، وهي القَوْس لا وَتَر عليها، والحَنيرة أيضًا: الطاقُ المعقود من طيقان البِناء.

---

[١] النابغة الذبياني: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو بن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظياً عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمناً. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه.

[٢] والبيت من معلقته: (يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلياءِ فَالسَنَدِ أَقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ).

[٣] يروى عن أبي ذر: (لَو صَلَّيْتُم حَتَّى تَكُونُوا كالأَوتار، أَو صُمْتُم حتَّى تَكُونُوا كالحَنائر، مَا نَفَعَكم ذلك إلا بنِيَّةٍ صادقَة ووَرَعٍ صَادِق).

وفي حديث يأجوجَ ومأجوجَ (أنها إذا هَلكتْ أَكلتْ منها دوابُّ الأرض، فتَسمنُ وتَشكَرُ شَكَرًا)[١]، بلغني عن بعضهم أنه كان يقول: تسكر سُكرًا، من سُكر الشراب، وإنما هي تَشْكَر، أي تمتلئ شِبَعًا، قيل لمحمد بن واسع[٢]: ما للقُرّاء أغلمُ الناس؟[٣] قال: لأنهم لا يَزنُون، قال: فما بالُهُمْ آكَلُ الناس؟ قال: لأنهم لا يَشكَرون؛ أي لا يمتلئون شِبعًا.

---

[١] رواه ابن ماجه وصححه عنه الألباني، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ يحفُرونَ كلَّ يومٍ حتَّى إذا كادوا يَرونَ شُعاعَ الشَّمسِ قالَ الَّذي عليهم ارجِعوا فسنَحفرُهُ غدًا فيعيدُهُ اللَّهُ أشدَّ ما كانَ حتَّى إذا بلَغت مُدَّتُهم وأرادَ اللَّهُ أن يبعثَهُم علَى النَّاسِ حفروا حتَّى إذا كادوا يَرونَ شعاعَ الشَّمسِ قالَ الَّذي عليهِم ارجِعوا فستحفُرونَهُ غدًا إن شاءَ اللَّهُ تعالى واستَثنَوا فيعودونَ إليهِ وَهوَ كَهَيئتِهِ حينَ تَركوهُ فيحفُرونَهُ ويخرجونَ علَى النَّاسِ فيُنشِفونَ الماءَ ويتحصَّنُ النَّاسُ منهم في حصونِهِم فيرمونَ بسِهامِهِم إلى السَّماءِ فترجِعُ عليها الدَّمُ الَّذي اجفَظَّ فيقولونَ قَهَرنا أهْلَ الأرضِ وعلَونا أهْلَ السَّماءِ فيبعثُ اللَّهُ نَغَفًا في أقفائِهِم فيقتلُهُم بِها قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ والَّذي نفسي بيدِهِ إنَّ دوابَّ الأرضِ لتَسمنُ وتَشكَرُ شَكَرًا من لحومِهِم.

[٢] محمد بن واسع الأزدي (٤٠ – ١٢٣ هـ): تابعي، فقيه، من الزهاد. من أهل البصرة، عرض عليه ابن الجارود مالك بن المنذر قضاؤها، فأبى. شهد محمد بن واسع حرب الخوارج مع المهلب بن أبي صفرة، وذلك أيام دولة ابن الزبير سنة ٦٥ هـ.

[٣] يعني أكثرهم غلمة وأشدهم شهوة للجِماع.

واستقصاءُ هذا الباب يَطول، وإنما أردتُ التنبيهَ لمنتحلي الحديث[١]؛ لئلا يُضاهوا مذهبَ مَن ذَكَرناهم، فيخرجوا به من جُملة من عدَّله الرسولُ في قوله (يَحمِل هذا العلمَ من كل خَلَف عدولُه ...)[٢] الحديث.

ما درج عليه الصدر الأول من لزوم الإعراب

وما أنكروه من اللحن وعابوه من أهله

مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى قَوْمٍ يَرْمُونَ رَشْقًا، فَقَالَ: «بِئْسَ مَا رَمَيْتُمْ» فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا قَوْمٌ مُتَعَلِّمِينَ[٣]، فَقَالَ: "وَاللَّهِ لَذَنْبُكُمْ فِي لَحْنِكُمْ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ لَحْنِكُمْ فِي رَمْيِكُمْ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ»[٤].

وقالَ عُمرُ بنُ الخَطّابِ: "تَعلَّمُوا العَربيّةَ؛ فَإنَّها تُثَبِّتُ العَقلَ وتَزيدُ في الْمُروءَةِ"[٥].

---

[١] اِنْتَحَلَ مَذْهَباً جَديداً: اِنْتَسَبَ إِلَيْهِ، تَبَنَّاهُ، اِتَّخَذَهُ.

[٢] سبق تخريجه.

[٣] خطأ نحوي، وصوابه: متعلمون.

[٤] حكم عليه الألباني بالوضع في "ضعيف الجامع ٣/ ١٨٣"، و"السلسلة الضعيفة رقم ٢٤١٤.

[٥] انظر: التاريخ الكبير للبخاري.

وكَانَ زِرُّ بنُ حُبَيشٍ الأسديُّ[١] مِنْ أَعْرَبِ النَّاسِ، وكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَسْأَلُهُ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ «أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ وَلَدَهُ عَلَى اللَّحْنِ»[٢].

وكان عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يُسأل عَنْ عَرَبِيَّة القرآن، فيُنْشِد الشِّعرَ[٣].

قِيلَ لِلْحَسَنِ[٤]: إِنَّ لَنَا إِمَامًا يَلْحَنُ؟ فَقَالَ: «أَخِّرُوهُ»[٥].

قال عطاءٌ[٦]: وددتُ أني أحسنُ العربيةَ، وهو يومئذٍ ابنُ تسعينَ سنةً[٧].

---

[١] زر بن حبيش الأسدي (ت ٨١ هـ): تابعي كوفي، وأحد رواة الحديث النبوي.

[٢] انظر: المصنف لابن أبي شيبة ٢٩٩١٩.

[٣] انظر: سنن سعيد بن منصور ٩١.

[٤] الحسن بن يسار البصري (٢١ – ١١٠ هـ): إمام وقاضٍ ومحدّث من علماء التابعين ومن أكثر الشخصيات البارزة في عصر صدر الإسلام. سكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم.

[٥] انظر: التاريخ الكبير للبخاري.

[٦] عطاء بن أبي رباح (٢٧ – ١١٤ هـ): فقيه وعالم حديث، وهو من الفقهاء والتابعين في القرن الأول والثاني الهجري.

[٧] انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة عطاء بن أبي رباح.

قَالَ هَمَّامٌ[١]: مَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ قَتَادَةَ مَلْحُونًا فَأَعْرِبُوهُ؛ فَإِنَّ قَتَادَةَ كَانَ لَا يَلْحَنُ[٢].

ولَحَنَ أَيُّوبُ[٣] فِي حَرْفٍ، فَقَالَ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»[٤].

وعن الأصمعيّ قال: سمعتُ حمادَ بْنَ سَلَمَةَ[٥] يقولُ: «مَنْ لَحَنَ فِي حَدِيثِي فَلَيْسَ يُحَدِّثُ عَنِّي»[٦].

,عن الأصمعي قال: قال لي شُعبة[٧]: إني وصفتُك لحمادِ بنِ سلمة، وهو يحبُّ أنْ يراك، قال: فوعدتُه يومًا فذهبتُ معه إليه فسلمتُ عليه، فحيَّا ورحَّبَ، فقال له شُعبة: يا أبا سلمة، هذا ذاك الفتى الأصمعيُّ الذي ذكرتُه لك، قال: فحيَّاني بعدُ وقَرَّب، ثم قال لي: كيف تُنشِد هذا البيتَ:

---

[١] همام بن يحي بن دينار: من علماء الحديث النبوي، وُلِدَ ٨٠ هـ وتُوفِيَ عام ١٦٣ هـ.

[٢] انظر: مسند ابن الجعد، حديث همام بن يحي.

[٣] أيوب السختياني العنزي البصري (٦٦ – ١٣١ هـ): فقيه عراقي، وسيد من سادات التابعين.

[٤] انظر: مسند ابن الجعد، حديث أيوب السختياني.

[٥] حماد بن سلمة بن دينار البصري (٩١ – ١٦٧ هـ): محدث، يصفه الذهبي في ترجمته، بقوله: «الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصري، النحوي». توفي سنة ١٦٧ للهجرة وعمره ٧٦ سنة.

[٦] انظر: المحدث الفاصل للرامهرمزي، والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي.

[٧] شعبةُ بْنُ الحَجَّاج بن الورد (٨٥ –١٦٠ هـ): من التابعين، واسطي الأصل عالم أهل البصرة وشيخها. سكن البصرة منذ الصغر وفيها توفي.

أولئك قومٌ إن بَنَوا أحسنوا ... فقلتُ:

أُولئِكَ قَومٌ إنْ بَنَوا أحسَنوا البِنَا وإنْ عاهَدُوا أوفَوا وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا[1]

يعني بكسر الباء، فقال لي: انظر جيدًا، فنظرتُ فقلتُ: لستُ أعرفُ إلا هذا، فقال: يا بُني، أولئك قومٌ إن بَنَوا أحسنوا البُنا بضم الباء، القوم إنما بَنَوا المكارمَ، ولم يبنوا باللبِن والطين، قال: فلم أزل هائبًا لحمادِ بنِ سلمة ولزمتُه بعد ذلك.

وأنشدنيه بعض الأثبات، عن محمد بن حاتم المظفري، أنشدناه الرياشي فقال: البُنا بالضم، قال: وواحدتها بُنية، قال أبو العباس محمد بن يزيد: واحدتها بِنية وبُنية، فجمع بِنية بِنى، مثال كِسرة وكِسر، وجمع بُنية بُنى، مثل ظُلمة وظُلَم، فأما المصدر من بَنَيتُ بناءً فممدود، ويشبه أن يكون حمادٌ إنما اختار الضمة وأنكر الكسرة فيها لئلا يُلتبَس بالبناء الذي هو باللبِن والطين، إذ كان من مذهبهم أن يستجيزوا قصْرَ الممدود في الشعر.

وكان شُعْبةُ صاحبَ عربية وشِعر[2].

---

[1] البيت للحطيئة، من قصيدته التي مطلعها (أَلا طَرَقَتنا بَعدَما هَجَدوا هِندُ وَقَد سِرنَ خَمساً وَاتلَأَبَّ بِنا نَجدُ).

[2] انظر: تاريخ ابن معين.

وكَانَ زُرَيْعٌ أَبُو يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ عَلَى عَسَسِ بِلالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، فَقَالَ لَهُ: بَلَغَنِي أَنَّ أَهْلَ الأَهْوَاءِ يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَسْجِدِ وَيَتَنَازَعُونَ؛ فَاذْهَبْ فَتَعَرَّفْ ذَلِكَ، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا وَجَدْتُ فِيهِ إِلا أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ حَلَقَةً حَلَقَةً، فَقَالَ: أَلا جَلَسْتَ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَا تَقُولَ حَلَقَةً حَلَقَةً.

وَإِنَّمَا هِيَ الْحَلْقَة، حَلْقَةُ الْقَوْم وحَلْقَة القُرْط وَنَحْوها[١].

عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَا أَقُولُ حَلَقَةً إِلا فِي جَمْعِ حَالِقٍ.

قال الأَصمعيُّ: "إنَّ أخوفَ ما أخافُ على طَالِب العِلم إذا لم يَعرِفِ النَّحْوَ أنْ يَدخُلَ في قَولِهِ – صلى الله عليه وسلم –: "مَنْ كَذَب عَليّ متعمّدًا فلْيَتبوّأ مَقعدَه مِنَ النَّار"[٢]؛ لأنه لم يكن يَلْحَن، فمهما رويتَ عنه ولحنتَ فيه كذبتَ عليه.

فهؤلاء الصحابةُ والتابعون ومَنْ بعدَهم مِن أعلام الحديث وحفّاظ الأثر كلٌّ منهم يحضُّ على تقويم اللسان وإعراب الكلام، ويذمُّ اللحنَ ويُهَجِّن أهلَه[٣]، وعلى هذا مضى مَنْ لم نذكرْه منهم، حيث كانوا في كل عصر وزمان، وفي

---

[١] قال طرَفة: (فَإِن تَبغِني في حَلْقَةِ القَومِ تَلقَني وَإِن تَقتَنِصني في الحَوانيتِ تَصطَدِ).

[٢] رواه البخاري في صحيحه.

[٣] هجَّن الأمرَ: قبَّحه وعابه.

كل مِصر ومكان، إلا عوامّ الغُثْر[١] الذين لا نظامَ لهم ولا اعتبارَ بمذاهبهم، فإن فسادَ كل صناعة من كثرة الأدعياء وقلة الصّرحاء، وطلاب الحديث كثيرٌ وأصحابه قليلٌ.

وعن العباسِ بنِ محمدٍ الدوريّ[٢] قال: أردتُ الخروجَ إلى البصرة فصرتُ إلى أحمدَ بنِ حنبلٍ، وسألتُه الكتابَ إلى مشايخها، فكلما فرغ من كتاب قرأتُه فإذا فيه: وهذا فتى ممن يطلبُ الحديث، ولم يكتب: من أصحاب الحديث.

فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما يؤثر من حُسْن بيانه

إنَّ اللهَ جلَّ وعزَّ لما وضع رسولَه موضعَ البلاغ مِن وَحيِه، ونصبه منصبَ البيان لدينِه، اختار له من اللغات أعربَها، ومن الألسُن أفصحَها وأبينَها، ثم أمدَّه بجوامع الكلم التي جعلها رِدْءًا لنبوَّته وعَلَمًا لرسالته؛ لينتظمَ في القليل منها علمُ الكثير، فيسهلَ على السامعين حفظُه، ولا يؤودُهم حملُه، ومن تتبع الجوامعَ من كلامه لم يعدِم بيانَها، وقد وصفتُ منها ضُروبًا، وكتبتُ لك من

---

[١] السِّفلة.

[٢] الإمام المحدّث الثقة الناقد العباس بن محمد بن حاتم الدوري البغدادي: من أصل خراساني أحد أئمة أهل الحديث، صاحب الإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبي داود الطيالسي، قال عنه الأصم: لم أرَ في مشايخي أحسن حديثاً مِنه، وُلد في بغداد سنة ١٨٥ للهجرة، وتوفي فيها سنة ٢٧١ للهجرة.

أمثلتها حروفًا تدل على ما وراءها من نظائرها وأخواتها، فمنها في القضايا والأحكام قوله: "المسلمونَ تتكافأُ دماؤهُم ويسعى بذمَّتِهم أدناهُم وهم يدٌ على من سواهم"[١]، وقوله: "العاريَّةُ مؤدَّاةٌ، والْمِنحةُ مردودةٌ، والدَّينُ مَقضيٌّ، والزعيمُ غارمٌ"[٢]، فهذان الحديثان على خِفَّة ألفاظهما يتضمَّنان عامةَ أحكام الأنفُس والأموال.

ومنها قولُه صلى الله عليه وسلم: "سَلُوا اللهَ اليقينَ والعافية"[٣]، فتأمل هذه الوصيةَ الجامعةَ تجدْها محيطةً بخير الدنيا والآخرة؛ وذلك أن مِلاك أمر الآخرة اليقين، ومِلاك أمر الدنيا العافية، فكل طاعة لا يقين معها هَدَر، وكل نعمة لم تصحبْها العافية كَدَر، فصار هذا الكلامُ على وَجَازته وقلة حروفه أحد شطريه محيطًا بجوامع أمر الدين، وشطره الآخر متضمنًا عامة مصالح الدنيا.

---

[١] رواه أبو داود وصحح الألباني إسناده.

[٢] رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

[٣] رواه الترمذي وصحح الألباني إسناده.

ضربٌ آخر:

ومن فصاحتِه وحسْنِ بيانِه أنه قد تكلم بألفاظ اقتضبَها لم تُسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدِّم كلامها، كقوله: "مات حتفَ أنفِه"[١]، وقوله: "هذا حِينَ حَمِيَ الوَطيس"[٢]، وقوله في المسلم والكافر: "لا تَراءَى ناراهُما"[٣].

في ألفاظٍ ذاتِ عدد من هذا الباب تجري مجرى الأمثال، وقد يدخل في هذا النوع إحداثُه الأسماءَ الشرعية[٤]، ولِذِكرها موضعٌ غير هذا.

---

[١] لم أجده حديثاً ووجدته في الأمثال. والمعنى: مات ولم يُقْتل، وأصلُهُ أن يموت الرجل على فراشه فتخرج نفسه من أنفه وفمِه، قَالَ خالد بن الوليد عند موته: لقد لقيتُ كذا وكذا زَحْفاً، وما في جسدي موضعُ شِبْرٍ إلاَ وفيه ضربة أو طعنه أو رَمْيَة، وهأنذا أموتُ حَتْفَ أنْفِي كما يموت العَيْرُ فلاَ نامَتْ أعْيُنُ الجُبَنَاء.

[٢] رواه مسلم ١٧٧٥. والوطيس القتال. وهو في الأصل حجارة مدورة يحمى عليها حتى تصير كالجمر فلا يطيقها أحد.

[٣] رواه الترمذي وصححه الألباني. وفيه: " أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وسلم بعثَ سريَّةً إلى خثعمٍ فاعتصمَ ناسٌ بالسُّجودِ فأسرعَ فيهمُ القتلُ فبلغَ ذلِكَ النبي صلَّى اللَّه عليه وسلم فأمرَ لَهم بنصفِ العَقلِ وقال: أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يقيمُ بينَ أظْهُرِ المشرِكينَ. قالوا يا رسولَ اللَّهِ ولِمَ؟ قالَ لاَ تَراءَى ناراهُما". والمعنى: لا تتَماثَلُ نارُهما ولا تتَقارَبُ، فلا يُمَيَّزُ المسلِمُ ولا يُعرَفُ إذا قام بأرضِ المشرِكين، واختلَط بهِم؛ بحيث تتَقارَبُ هيئتُه وأفعالُه به.

[٤] المصطلحات الفقهية.

ضرب آخر:

ومن فصاحتِه وسَعة بيانه أنه قد يوجد في كلامه الغريبُ الوحشيُّ الذي يعيا به قومُه وأصحابُه، وعامتُهم عربٌ صُرَحاء، لسانُهم لسانُه، ودارُهم دارُه؛ فعَنْ أَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ[1]، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ؛ كُلُّ شَدِيدٍ قَعْبَرِيٍّ»، فَقَالَ: وَمَا الْقَعْبَرِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الشَّدِيدُ عَلَى الْأَهْلِ، وَالشَّدِيدُ عَلَى الْعَشِيرَةِ، وَالشَّدِيدُ عَلَى الصَّاحِبِ»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ «كُلُّ جَظٍّ جَعْظٍ مُسْتَكْبِرٍ» قُلْتُ: يَا

---

[1] أبو عامر الأشعريّ: عُبَيْد بن سُلَيم بن حَضَّار الأَشْعَرِي، كنيته أَبو عامر، عم أَبي موسى الأشعريّ. كان من كبار الصّحابة، هاجر إلى الحبشة، قُتِل في السنة الثامنة من الهجرة في سرية أوطاس والتي بعثه رسول الله ﷺ إليها، ولما سمع بقتله رفع يديه يَدْعُو له أن يجعله الله فوق كثيرٍ من خلقه.

[2] رواه ابن بشران في أماليه، والأصبهاني في الترغيب والترهيب، و أبو نعيم في معرفة الصحابة. وقال ابن الأثير في غريب الحديث، عن الهروي قال: سألت عنه (عن القعبري) الأزهريَّ فقال : لا أعرفه في اللغة. وقال الزمخشري: أرى أنه قلب عبقري، يقال: رجل عبقري، وظلم عبقري: شديد فاحش، والقلب في كلامهم كثير. اهـ.

رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْجَظُّ؟ قَالَ «الضَّخْمُ» قُلْتُ: فَمَا الْجَعْظُ؟ قَالَ: «الْعَظِيمُ فِي نَفْسِهِ»[١].

ضرب آخر:

ومِن حُسن بيانه ترتيبُ الكلام وتنزيلُه منازلَه؛ فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ[٢]، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلى الله عَلَيه وسَلم، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي عَمَلاً يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: "لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ، فَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ: أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ"، قَالَ: أَوَلَيْسَا بِوَاحِدٍ؟ قَالَ: "لَا، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعْطِيَ فِي ثَمَنِهَا"[٣].

وعن عبد الله بن مسعود، أن رسولَ الله صلى الله عليه قال: "نضَّرَ اللَّهُ عبدًا سمِعَ مَقالَتي، فحفِظَها ووَعاها وأدَّاها"[٤].

---

[١] رواه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى في المسند، والبيهقي في شعب الإيمان.

[٢] أبو عمارة البراء بن عازب الأنصاري (المتوفى سنة ٧٢هـ): صحابي، شارك في غزوات الرسول وفتوحات العراق وفارس، كما سكن الكوفة، وشارك مع علي بن أبي طالب في الجمل وصفّين وقتال الخوارج، وهو أحد رواة الحديث النبوي.

[٣] رواه ابن حبان في صحيحه، والدارقطني في السنن بإسناد صحيح. والمعنى: إنَّك وإنْ جِئتَ بعِبارةٍ قَصيرةٍ فقد طَلَبتَ أمْرًا عَظيمًا.

[٤] أخرجه الترمذي (٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٢)، والبيهقي في (معرفة السنن والآثار) وصححه شعيب الأرناؤوط.

فتأمل كيف رتَّب الوعيَ على الحفظ، فاشترطَ عليه الحفظَ أولًا، وهو تلقُّف ألفاظِها وجمعُها في صدره، ثم أمرَه بالوعي، وهو مراقبتُه إياها بالتذكُّر، وتخوُّلها بالرعاية والاستصحاب لها إلى أن يؤديَها فيخرجَ من العُهدة فيها.

وهذا الباب يطول على من يريد أن يتقصَّاه، وإنما نريد الإذْكار لا الإكْثار.

السبب الذي من أجله كثر غريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنَّ الذي قدَّمناه من ذكْر جوامعِ كلامِه، وفصَّلناه من ضُروب بيانِه يكفي سببًا لكثرة ما يوجد من الغريب في حديثه، ثم إنه صلى اللهُ عليه بُعِث مبلِّغًا ومعلِّمًا، فهو لا يزال في كل مَقام يقومُه وموطنٍ يشهدُه يأمرُ بمعروف وينهَى عن مُنكر، ويُشرّع في حادثة، ويُفتي في نازلة، الأسماعُ إليه مُصغِية، والقلوبُ لما يرِدُ عليها من قوله واعية، وقد تختلف عباراتُه، ويتكرر فيها بيانُه، ليكون أوقعَ للسامعين، وأقربَ إلى فهم من كان منهم أقل فقهًا وأقربَ بالإسلام عهدًا، وأُولُو الحفظ والإتقان من فقهاء الصحابة يُرْعُونها كلَّها سمعًا، ويستوفُونها حِفظًا، ويؤدُّونها على اختلاف جِهاتها، فيجتمع لذلك في القضية الواحدة عدةُ ألفاظ، تحتها معنًى واحدٌ، وذلك كقوله: "الولدُ للفِراشِ، وللعاهِرِ

الحَجَرُ"[١]، وفي رواية أخرى "وللعاهر الْأَثْلَبُ"[٢]، وقد مرَّ بمسامعي ولم يثبتْ عندي "وللعاهر الكِثْكِثُ[٣]".

وقد يتكلم صلى اللهُ عليه في بعض النوازل، وبحضرته أخلاطٌ من الناس، قبائلُهم شتَّى، ولغاتُهم مختلفة، ومراتبُهم في الحفظ والإتقان غير متساوية، وليس كلُّهم يتيسر لضبط اللفظ وحصره، أو يتعمَّد لحفظه ووعيه، وإنما يَستدرِك المرادَ بالفحوى، ويتعلق منه بالمعنى، ثم يؤديه بلغته ويعبِّر عنه بلسان قبيلته، فيجتمع في الحديث الواحد إذا انشعبتْ طرقُه عدةُ ألفاظ مختلفة، موجبُها شيء واحد، وهذا كما يروى "أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ عَامٍ رَاوِيَةً مِنْ خَمْرٍ، فَأَهْدَاهَا إِلَيْهِ عَامًا، وَقَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا قَدْ حُرِّمَتْ» ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَفَلَا أَبِيعُهَا؟ فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا»، قَالَ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: «سُنَّهَا فِي

---

[١] متفق عليه. و(الولَدُ للفِرَاشِ) أي: لصاحِب الفِرَاشِ، و"الفِرَاشُ" هنا هو عقْدُ النِّكَاحِ (وللعَاهِرِ الحَجَرُ)، أي: الخَيْبَةُ والخُسْرَانُ والحِرْمَانُ؛ فنفَى أنْ يُلْحَقَ في الإسلامِ ولَدُ الزِّنَا بالزَّاني، وكُلُّ وَلَدٍ يُولَدُ لرَجُلٍ على فِرَاشِهِ فهو لاحِقٌ به. وكان أهلَ الجاهليةِ يُلْحِقُون أولادَ الزِّنَا بالزَّاني فأبطله الإسلام.

[٢] رواه أحمد وابن أبي شيبة، وفيه: قالوا: وما الأثْلَبُ؟، قال: "الحجر".

[٣] الكِثْكِثُ: دُقَاقُ الترَابَ وفُتاتُ الحجارة، أَو التُّرابُ عامةً.

الْبَطْحَاءِ»، قال: فسَنَّها[١]. وجاء في رواية أخرى "فهَتَّها"، وفي رواية أخرى "فبَعَّها" والمعنى واحد.

ولكثرة ما يرد من هذا ومن نظائره يقول أبو عبيدة مَعْمر بن المثنّى[٢]: أعيانَا أن نعرف أو نُحصيَ غريبَ حديثِ رسولِ الله صلى الله عليه.

وعن سفيانَ بنِ عيينة[٣] قال: سألتُ عن تفسير الحديث خمسين سنةً، وقد كان قد بقي عليه بعدُ ما لم يعرفْه.

---

[١] رواه مسلم بألفاظ مختلفة.

[٢] أبو عُبَيدة مَعْمَر بن المثنّى التيمي (١١٠ – ٢٠٩ هـ): أديب، لغوي، إخباري، مولى بني تيم من قريش ولد في البصرة في خلافة هشام بن عبد الملك الأموي، وتوفي ودفن فيها في خلافة المأمون العباسي، زار بغداد ودرس على يد أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة وعلى يونس بن حبيب، فصار أحد ثلاثة تعاصروا وتنافسوا فيما بينهم: هو، وأبو زيد، والأصمعي، وقد امتاز عنهما أبو عبيدة بمعرفة أيام العرب وأخبارهم في الجاهلية، وقد صنف كتباً في أيام العرب وأخبارهم وأشعارهم في الجاهلية، وهو أول من صنف في غريب الحديث، وتوفي وله أكثر من مائتي كتاب، ومن أشهر تلاميذه أبو عبيد القاسم بن سلام، وعمر بن شبة، وأبو نواس الشاعر وغيرهم.

[٣] سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الكوفي (١٠٧ – ١٩٨ هـ): محدث الحرم المكي. ولد ونشأ بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. طلب الحديث، وهو غلام، وسمع في سنة ١١٩ هـ وبعد ذلك، ولقي الكبار وحمل عنهم علمًا جمًّا، وكان حافظًا ثقة، واسع العلم كبير القدر، وعُمِّر دهرًا، وانتهى إليه علو الإسناد، قال الشافعي:«لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز».

وسُئِلَ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: «مَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ»[١] فَسَكَتَ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَرْضَى بِمَا قَالَ مَالِكٌ؟ قَالَ: «وَمَا قَالَ مَالِكٌ؟» قِيلَ: قَالَ مَالِكٌ: الِاسْتِجْمَارُ الِاسْتِطَابَةُ بِالْأَحْجَارِ، فَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَالِكٍ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ[٢]:

وابنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ االقناعيسِ[٣]

وبلغني أنَّ أبا عبيدٍ القاسمَ بنَ سلَّام[٤] مكث في تصنيف كتابه[٥] أربعين سنةً يَسأل العلماءَ عما أودَعه من تفسير الحديث والأثر، والناس إذ ذاك متوافرون، والروضة أُنُف[٦]، والحوضُ ملآن. ثم قد غادر الكثيرَ منه لمن بعدَه. ثم سعى

---

[١] متفق عليه.

[٢] انظر هذا الخبر عن ابن عيينة في صحيح ابن خزيمة.

[٣] هذا البيت لجرير، وهو في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (حَيِّ الهِدَملَةَ مِن ذاتِ المواعيسِ فَالحِنوَ أَصبَحَ قَفراً غَيرَ مَأنوسِ).

[٤] أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي (١٥٧ – ٢٢٤ هـ): عالم لغة وفقيه ومحدّث وإمام من أئمة الجرح والتعديل عاش في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وترك عددًا من الكتب أشهرها «الغريب المصنّف» و«غريب الحديث» إضافة إلى كتاب «الأموال» الذي يعد من أمهات الكتب في الاقتصاد الإسلامي.

[٥] غريب الحديث.

[٦] الأُنُفُ: الجديد، كلأٌ أُنُفٌ، وروضةٌ أُنُفٌ: لم تُرْع من قبل، ومَنْهل أُنُفٌ: لم يُورَد، وخَمْر أُنُفٌ: لم يُستخرَج من دَنِّها شيءٌ، وكأس أُنُفٌ: لم يُشْرب بها قبلُ.

له أبو محمد[١] سَعْيَ الجَواد، فأسْأرَ[٢] القَدْرَ الذي جمعناه في كتابنا، وقد بقي من وراء ذلك أحاديثُ ذواتُ عددٍ لم أتيسر لتفسيرها تركتُها ليفتحَها اللهُ على من يشاء من عباده، ولكل وقت قومٌ، ولكل نشء عِلمٌ. قال الله تعالى (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)[٣].

معنى الغريب واشتقاقُه

الغريبُ مِن الكلام إنما هو الغامضُ البعيدُ من الفهم، كالغريب من الناس إنما هو البعيدُ عن الوطن المنقطعُ عن الأهل، ومنه قولُك للرجل إذا نحَّيتَه وأقصيتَه: اغرُبْ عني: أي ابعُدْ، ومِن هذا قولهم: نَوىً غَربةٌ: أي بعيدة، وشأوٌ مغرِّب، وعَنقاء مُغرِب: أي جائية من بُعد، وكل هذا مأخوذٌ بعضُه من بعض، وإنما يختلف في المصادر، فيقال: غَرَب الرجلُ يغرُب غَرْبًا، إذا تنحَّى وذهب، وغَرُب غُربة، إذا انقطع عن أهله، وغَرُبتِ الكلمةُ غرابةً، وغَرَبتِ الشمسُ غُروبًا.

ثم إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين: أحدهما أن يراد به بعيدُ المعنى غامضُه، لا يتناوله الفهم إلا عن بُعدٍ ومعاناةِ فِكْر، والوجهُ الآخر أن يراد به

---

[١] ابن قتيبة.

[٢] ترك وأبقى.

[٣] رحم الله أبا سليمان الخطابي ما كان أشد أدبه وتواضعه.

كلامُ مَنْ بَعُدتْ به الدار ونأى به المحلُّ من شواذِّ قبائلِ العرب، فإذا وقعتْ إلينا الكلمةُ من لغاتهم استغربناها، وإنما هي كلامُ القوم وبيانُهم، وعلى هذا ما جاء عن بعضهم وقال له قائل: أسألكَ عن حرف من الغريب، فقال: هو كلامُ القوم، إنما الغريبُ أنت وأمثالُك من الدخلاء فيه[١].

قال أبو زيد[٢]: قلتُ لأعرابيّ: ما الْمُحْبَنْطِئُ؟ قال: المتكأكِئُ، قلتُ: ما المتكأكِئُ؟ قال: المتآزفُ، قلتُ: ما المتآزفُ؟ قال: اذهبْ، أنت أحمق.

---

[١] والمعنى أن عدم أُنسنا له أو استعمالنا له، لا يُخرجه عن دائرة كلام العرب.

[٢] أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري البصري (١٢٢ – ٢١٥ هـ): لغوي من أئمة الأدب. غلب عليه اللغات والنوادر والغريب.

المجلد الأول

تفسير غريب حديث رَسُول الله صلى الله عليه وسلم

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُمْ كَانُوا مَعَهُ فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَهُمْ بُغَيْشٌ، فَنَادَى مُنَادِيهِ: مَنْ شَاءَ أَنْ يُصَلِّيَ فِي رَحْلِهِ فَلْيَفْعَلْ"[١].

قولُه: بُغَيْشٌ تصغير بَغْش، وهو الْمَطَر الخفيف، قَالَ الأصمعي: أَخَفُّ المطر وأَضْعَفُه الطَّلُّ، ثُمَّ الرَّذَاذُ، ثُمَّ البَغْشُ، يقال: بُغِشَتِ الأرضُ، إذا نَدِيتْ بالمطر، فهي مَبْغُوشَة، قَالَ رؤبة[٢]:

أَغْدو لِهَبْشِ الْمَغْنَمِ الْمَهْبوشِ سِيدًا كَسِيدِ الرَّدْهَةِ الْمَبْغُوشِ[٣]

---

[١] أخرجه البيهقي ٣/٧١.

[٢] رؤبة بن عبد الله العجاج (٦٥ - ١٤٥ هـ): من رجّاز الإسلام وفصائحهم وهو من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية. كان رأسًا في اللغة، وكان أبوه قد سمع من أبي هريرة، قال خلف الأحمر: سمعت رؤبة يقول: ما في القرآن أعرب من قوله تعالى: فاصدع بما تؤمر.

[٣] في الديوان من أرجوزته التي مطلعها: (عاذِلَ قَدْ أُطِعْتُ بِالتَرْقِيشِ إِلَيَّ سِرّاً فَاطْرُقِي وَمِيشِي).

ويقال: أرضٌ مبغوشةٌ، من البَغْش، وأرضٌ مُرَذٌّ، عليها من الرَّذَاذِ، ولا يقال مَرْذُوذة، قَالَ الكِسائي[١]: يقال أرضٌ مُرَذَّةٌ، من الرَّذَاذ، ومَطْلُولَة، من الطَّلّ، ومَوْبُولةٌ، من الوابل، ومَجُودَةٌ، مِن الجَوْدِ[٢].

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا حَدِيثُهُ الآخَرُ "أَنَّهُمْ كَانُوا معه في بعضِ المغازي فَأَصَابَهُمْ رِكٌّ"[٣]، أي مطرٌ ضعيف، يقال مَطَرٌ رِكٌّ وَرَكِيك، وجمعه رِكاك، قال ذو الرُّمة[٤]:

تَوَضَّحْنَ فِي قَرْنِ الْغَزَالَةِ بَعْدَمَا ترشَّفْنَ دِرّاتِ الذِّهابِ الرَّكَائِكِ[٥]

ومنه قيل للرجل إذا كان ضعيفَ العقل: رَكِيك.

---

[١] أَبُو اَلْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَة بْنِ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ بَهْمَنَ بْنِ فَيْرُوزَ اَلْكِسَائِيُّ الكوفيُ (١١٩ -١٨٩ هـ) ولد في إحدى قرى الكوفة وهو مولى بني أسد من خندف وكان إمام الكوفيين في اللغة والنحو، وسابع القراء السبعة. ويعد المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية في النحو.

[٢] الجَوْد: المطر الغزير.

[٣] انظر: الغريبين في القرآن والحديث، للهروي.

[٤] ذُو الرُّمَّة، غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي: شاعر من الرباب من تميم، من شعراء العصر الأموي، من فحول الطبقة الثانية في عصره. ولد سنة ٧٧ هـ وتوفي بأصفهان (وقيل بالبادية) سنة ١١٧ هـ وهو في سن الأربعين. وإنما قيل له ذا الرمة لقوله في الوتِد (أشعث باقي رمَّة التقليد) والرُّمَّة: الحبل البالي.

[٥] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أما استحلبتْ عينيكَ إلاَّ محلَّةٌ بجمهورِ حزوى أو بجرعاءِ مالكِ).

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الآخَرُ فِي صَلاةِ الْمُسَافِرِ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا ابْتَلَّتِ النِّعَالُ فَالصَّلاةُ فِي الرِّحَالِ"[١]، فالنعلُ ما غَلُظَ من الأرض في صلابة، قَالَ الشاعر:

قَومٌ إذا اخْضَرَّتْ نِعالُهُمُ[٢] يتناهَقُون تَنَاهُقَ الْحُمُرِ

يريد أنهم يَبْطَرون إذا أَخْصَبُوا، وإنما قيل للأرض: نَعْلٌ؛ لأنها تُنْعَلُ وتُوطَأ، ويقال للرجُل الذليل: نَعْلٌ؛ تَشْبِيهًا له بالنَّعْل التي تُوطَأ وتُداسُ بالأَرجل، أنشد أبو العبّاس ثَعلبٌ[٣]:

إني إذا ما الأمرُ كان مَعْلَا وأَوْخَفَتْ أَيدي الرجالِ غِسْلَا
وكان ذو الحِلْمِ أَشدَّ جَهْلَا من الوُغُولِ لم تَجِدْني وَغْلَا
ولم أكن دارجةً ونَعْلَا

---

[١] قال الحافظ في التلخيص: لم أره في كتب الحديث، وقال الشيخ تاج الدين الفزاري في الإقليد: لم أجده في الأصول وإنما ذكره أهل العربية.

[٢] تخضر نعالهم – أي أرضهم – لظهور العشب فيها.

[٣] الرَّجَز للقلاخ بن حَزْن المِنْقَريّ: له ديوان مفرد، وهو راجز، وهو القائل: (أنا القلاخ بن جناب بن جلا أبو خناثير أقود جملا).

الْمَعْلُ: الاخْتِلاسُ، وقوله: أَوْخَفَت، معناه ارتعشتْ، شَبَّه ارتعاشَ يَدِ الجبانِ باضطرابِ يديْ مُوخِف الغِسْل، إذا حَرّكه بيده، والغِسْلُ: الخِطْمِيّ[١]، والدّارجة: الخَسِيس.

وفي الحديث من الفقه أَنَّ المطرَ الخَفِيفَ عُذرٌ في التخلُّف عن صلاة الجماعة، وفيه أيضًا أن الاجتماع للصلاة في السفر مندوبٌ إليه كَما هُوَ في الحَضَر.

- فِي حَدِيثِ النبيّ أَنَّهُ "أَتَى امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، فَرَشَّتْ لَهُ صَوَرًا[٢] لها، وَذَبَحَتْ لَهُ شَاةً فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ حَانَتْ صَلاةُ الظُّهْرِ فَقَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أُتِيَ بِعُلالَةِ الشَّاةِ[٣] فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْعَصْرِ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ"[٤].

قوله: أُتِيَ بعُلالَةِ الشاةِ، يريد بَقِيَّةَ لحمِها، ويقال لبقية اللبن في الضَّرع ولبقيَّة جَرْي الفَرَس ولبقيَّة قُوةِ الشيخِ: عُلالة، قَالَ النجاشيُّ[٥]:

---

[١] الخَطْمِيّ: نباتٌ كثير النفع، يُدَقُّ ورقه يابسًا ويجعل غِسْلا للرأْس فينقِّيه.

[٢] الصّورُ: النَّخْلَاتُ الْمُجْتَمِعَاتُ.

[٣] العُلاَلَةُ :بقيَّةُ كلِّ شيءٍ.

[٤] رواه الحميدي في مسنده ٢/ ٥٣٣ والترمذي ١/ ١١٦ وأحمد ٣/ ٣٧٤.

[٥] النجاشي الحارثي، قيس بن عمرو بن مالك بن الحارث بن كعب بن كهلان: شاعر هجاء مخضرم اشتهر في الجاهلية والإسلام وأصله من نجران باليمن انتقل إلى الحجاز واستقر في الكوفة وهجا أهلها. وهدده عمر بن الخطاب بقطع لسانه وضربه عليٌّ على السكر في رمضان. من شعره في

ونَجَّى ابنَ حَرْبٍ[١] سابحٌ ذو عُلالَةٍ أجشُّ هزيمٌ والرِّماحُ دَوانِي[٢]

وقال الطِّرِمَّاح[٣]:

أبَوْا لشَقائِهم إلا ابتِعاثي ومِثلي ذو العُلالة والْمَتانِ[٤]

وعن عقيلِ بنِ أبن طَالِبٍ[٥] أنه خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ وَفِيهِ شَبَابٌ مِنْ شَبَابِ قُرَيْشٍ، فَتَنَحَّوْا لَهُ عَنِ الأُسْطُوَانَةِ فقالوا اجلسْ إليها يَا عَمُّ، فَقَالَ: يَا

مدح معاوية: (إني امرؤٌ قلما أثني على أحد حتى أرى بعض ما يأتي وما يذر) قال البكري: النجاشي من أشراف العرب إلا أنه كان فاسقاً وكانت أمه من الحبشة فنسب إليها.

[١] معاوية بن أبي سفيان بن حرب.

[٢] والشاهد في ديوانه وهو مطلع قصيدة قالها في معاوية يوم صِفّين. والسابح: الفرس السريع. والعلالة: البقية من السير. والأجش: الغليظ الصوت من الإنسان ومن الخيل ومن الرعد. والهزيم: الفرس الشديد الصوت.

[٣] الطرماح بن الحكيم بن الحكم: شاعر قحطاني من قبيلة طيئ وهو شاعر الخوارج توفي سنة ١٢٥ هـ ونزل بلاد الشام التي ولد فيها ومن ثم انتقل إلى الكوفة وصاحب فيها الشاعر الكميت وكان يعتنق مذهب الشراة وهي نِحلة من نحل الخوارج.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (طَرِبتَ وَشاقَكَ البَرقُ اليَماني بِفَجِّ الريحِ فَجِّ القاقُزانِ).

[٥] عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القُرشي، صحابي من صحابة الرسول وابن عمه الذي قال له: «يَا أَبَا يَزِيدَ، إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ: حُبًّا لِقَرَابَتِكَ، وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ». وهو أخو علي بن أبي طالب وجعفر بن أبي طالب وهو أسنُّ منهما.

بَني أَخِي أَنْتُمْ خَيْرٌ لِشُيُوخِكُمْ مِنْ مَهْرَةَ[١]، كَانَ إِذَا كَبُرَ الشَّيْخُ شَدُّوهُ عِقَالًا ثُمَّ قَالُوا لَهُ ثِبْ، فَإِنْ وَثَبَ خَلَّوْا سَبِيلَهُ وَقَالُوا: فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ عُلالَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَثِبْ تَرَكُوهُ فِي الْعِقَالِ حَتَّى يَمُوتَ.

والعُلالَةُ مأخوذة من العَلِّ، وهو الشُّرْبُ الثاني بعد الأول، ومنه سُمِّيت المرأةُ عَلَّة، وذلك أنها تُعَلُّ بعد صاحبتِها، أي يَنتَقِل الزوجُ إليها بعد الأخرى.

وأما الصَّوْرُ فإنَّ الأصمعيَّ[٢] يقول: هُوَ جماعةُ النَّخْل الصِّغار، ولا واحدَ له من لَفظِه، ومثلُه الحائِشُ.

وقال ابنُ الأعرابي[٣]: واحدة الصَّوْر صَوْرَة وهي النَّخْلة، وقال غَيْرُه: يُجمع الصَّوْر صِيرَانًا.

وفي الحديث من الفقه أنه لم يَرَ فيما مسَّت النارُ وُضُوءًا.

---

[١] مهرة: حيٌّ عظيم من العرب، ينسبون إلى مهرة بن حيدان، وتنسب إليهم الإبل المهرية.

[٢] أَبُو سَعِيدٌ عَبْدِ اَلْمَلِكْ بْنْ قَرِيبِ بْنْ عَبْدِ اَلْمَلِكْ بْنْ عَلِي بْنْ أَصْمَعْ اَلْبَاهِلِي اَلْبَصَرِيَّ المعروف بَالْأَصَمَعِي (١٢٣ – ٢١٦ هـ) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان.

[٣] محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي، وهو إمام لغة وراوية وناسب علامة باللغة، له مصنفات أدبية كثيرة، ولد في ١٥٠ هـ ومات بسامراء في ١٣ ٢٣١ هـ ويعد من أعلام أهل الكوفة وكان أحول، أبوه مولى للعباس بن محمد بن علي الهاشمي، قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان وكان يُسأل ويُقرأ عليه فيجيب من غير كتاب، ولزمتُه بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتابًا قط ولقد أملى على الناس ما يُحمل على الجمال ولم يُر أحد في علم الشعر أغزر منه.

– عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيِّ[١] "أَنَّ رسول الله مَرَّ بِرَجُلٍ وَبُرْمَتُهُ[٢] تَفُورُ عَلَى النَّارِ فَقَالَ لَهُ: أَطَابَتْ بُرْمَتُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَتَنَاوَلَ مِنْهَا بَضْعَةً، فَلَمْ يَزَلْ يَعْلِكُهَا حَتَّى أَحْرَمَ بِالصَّلَاةِ"[٣]، أَيْ يَمْضُغُهَا، والعَلْكُ مَضْغُ ما لا يُطاوِع الأَسنانَ، وسُمِّي العِلْكُ لأنه يُعْلَك، وفلان يَعْلُكُ أُرَّمَه إذا صَرفَ بأضراسِه من الغَيْظ، قَالَ الشاعر:

نُبِّئْتُ أحماءَ سُلَيْمَى أنما ظَلُّوا غِضَابًا يَعْلُكونَ الأُرَّما

ومثله يحرِق أُرَّمه.

– عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النبيَّ "مَرَّ عَلَى قِدْرٍ فَانْتَشَلَ عَظْمًا مِنْهَا وَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ"[٤].

النَّشيل: ما أُخِذ من اللحم قبل النُّضْج، قَالَ الشاعر[٥]:

إنَّ الشِّواءَ والنَّشِيلَ والرُّغُفْ والقَيْنةَ الحسناءَ والكأسَ الأُنُفْ

---

[١] عبد الله بن الحارث بن جزء بن معديكرب الزبيدي الصحابي العالم المعمَّر شيخ المصريين: شهد فتح مصر وسكنها فكان آخر الصحابة بها موتًا له جماعة أحاديث.

[٢] البُرمة: قِدْرٌ عَميقٌ مِنَ الحِجارَةِ أَوِ النُّحاسِ.

[٣] أخرجه أبو داود، وسكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكتُّ عنه فهو صالح.

[٤] متفق عليه.

[٥] هو لقيط بن زرارة الدارمي التميمي، من الشعراء الفرسان في الجاهلية.

للطاعنينَ الخَيلَ والخَيْلُ خُنُفْ[١]

والعظمُ: العُراقُ بما عليه من اللحم، والخُناف في الخيل: سُرعة نقل قوائمه في السير.

- فِي حَدِيثِ النبيّ أَنَّهُ "كَانَ مَنْهُوشَ الْكَعْبَيْنِ"[٢].

وعَنْ شُعْبَةَ: مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ. وعَنْ جَابِرٍ: مَبْخُوصَ الْعَقِبَيْنِ.

قوله: مَنهُوش الكعبين، أي ناتئ الكعبين معروقُهما، يقال: رجل مَنهوشٌ، إذا كان مجهودًا سَيِّئَ الحال، قَالَ رؤبة[٣]:

كمْ مِنْ خَلِيلٍ وأخٍ مَنْهوشِ مُنْتَعِشٍ بفَضْلِكم مَنْعُوشِ

فأما المنهوسُ فإن شُعْبَةَ قَالَ: قلتُ لسِماك: ما مَنْهوسُ العَقِبَيْنِ؟ قَالَ: قليلُ لحْم العَقِب. وهو مأخوذ من النَّهسِ، وهو عَرْقُ العَظْم وأخذُ ما عليه من اللَّحم، والنَّهْسُ أبلغُ من النَهْشِ، والْمَبْخوصُ قريبٌ منهما، والبَخْصَة والبَخَصُ لَحْمُ أسفَلِ القدمين، وقيل للقليل منه: مَبخوصٌ، عَلَى معنى أنَّ

---

[١] قال لقيط هذا الشعر في يوم جَبَلة، وقد انهزم عنه أصحابه، فقال هذا ليحرضهم على القتال ويُضَرّيهم، وفي هذا اليوم قُتل. والنشيل: لحم يطبخ بلا توابل. والخنف: جمع خنوف، من خنف الفرس إذا لوى حافره.

[٢] رواه مسلم بلفظ منهوس.

[٣] في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (عاذِلَ قَدْ أُطِعْتُ بِالتَرْقِيشِ إِلَيَّ سِرّاً فَاطْرُقِي وَمِيشِي).

ذَلِكَ قد نِيلَ منه وأُخذ فعَرِيَ مكانُه من اللحم، قَالَ ابن السِّكِّيت: البَخْص مصدر بَخَصتْ عينُه بَخْصًا، والبَخَص لحم القدَم ولحم الفِرسِنِ. وفيه وجه آخر إن وافَقتْه الروايةُ وهو "منحوض العَقِبين" أي قليلُ لحم العقبين، يقال: نحضتُ الْعُضْوَ، إذا أخذتَ عنه لحَمه، والنحضُ اللحم.

- في حَدِيثِ النبيّ قَالَ: "ذَاكِرُ اللَّهَ فِي الْغَافِلِينَ مِثْلُ الشَّجَرَةِ الْخَضْرَاءِ وَسَطَ الشَّجَرِ الَّذِي قَدْ تَحَاتَّ مِنَ الضَّرِيبِ"[١].

والضّريب الجليد، وإنما يقع ذَلِكَ في شدَّة البرْد وأوان سُقوط ورق الشَّجر؛ قَالَ الأعشى[٢]:

وهُمُ يُطْعِمُونَ إنْ قَحَطَ القَطْـ ـرُ وهَبَّتْ بشَمْأَلٍ وضريبِ[٣]

---

[١] رواه البيهقي، وذكره السيوطي في جامعه الصغير، وعزاه لأبي نعيم في الحلية. وضعف الألباني إسناده.

[٢] ميمون بن قيس بن جندل، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير. من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعراً منه. وكان يغني بشعره، فسمي (صَنَّاجة العرب) قال البغدادي: كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس، ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره. عاش عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام ولم يسلم. ولقب بالأعشى لضعف بصره. وعمي في أواخر عمره.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها قيس بن معديكرب، ومطلعها: (مِن دِيارٍ بِالهَضَبِ هَضبِ القَليبِ فاضَ ماءُ الشُؤونِ فَيضَ الغُروبِ).

وقال آخرُ:

رِجْلا عُقابٍ يومَ دَجْنٍ تُضْرَبُ

معناه يُصيبها الضّريب.

والضَّريب أيضًا اللبنُ يُحلَب بعْضُه عَلَى بعض، قاله الأصمعي: ولا موضع له في هذا الحديث. قَالَ ابن أحمر[١]:

وما كُنتُ أخْشى أن تَكُونَ مَنِيَّتي ضَريبَ جِلادِ الشَّوْلِ خمطًا وصافيَا[٢]

- فِي حَدِيثِ النبيِّ أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنْ صَاحِبِ غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، فَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلافِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلَا جَلْحَاءُ"[٣]. وفي رواية: "عَضْباء ولا جَلْحاء".

---

[١] عمرو بن الأحمر بن العمرد بن عامر بن عمرو الباهلي: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ولد في البادية في نجد في الجاهلية، وانتقل إلى الجزيرة الفراتية وعاش فيها وتوفي وله تسعون عاماً، وجعله ابن سلام الجمحي في الطبقة الثالثة من طبقات شعراء الإسلام وقال: «عمرو بن أحمر صحيح الكلام كثير الغريب». وقال ابن قتيبة: كان عمرو بن الأحمر أعور، رماه رجل بسهمٍ فذهبت عينه.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (لعمري ما خلِّفت إلا لما أرى وراء رجال اسلموني لما بيا).

[٣] أخرجه مسلم ٢/ ٦٨١ وأبو داود ٢/ ١٢٤ وأحمد ٢/ ٢٦٢ وغيرهم.

العَقْصاءُ: الملتوية القَرن، وكذلك العطفاء هي التي انعطف قَرنُها، ورجلٌ عقِص إذا كان :عَسِرًا فيه التواء، قَالَ ذو الرُّمَّة[١]:

ومُنْتَابٍ أناخَ إلى بِلالٍ فلا زُهدًا أصاب ولا اعتلالَا

ولا عَقِصًا بحاجَتِه ولكنْ عطاءً لم يكن عِدَةً مِطالَا[٢]

وإنما نفى عنها العَقَص ليكون أنكى في العقوبة وأدنى إلى أن تَجرحَ المنطوحَ وتَمور فيه قُروتُها، نَعوذ بالله من عذابه.

والجَلْحاء التي لا قَرْن لها، وهي الجَمَّاءُ أيضًا. والأَجْلَحُ من الناس هُوَ الَّذِي انْحَسَرَ الشَّعَر عن مُقَدَّم رأسِه، فإن انكَشَفَ حتى يتَّصل بموضعِ الصَّلع فهو أَجْلَى، قَالَ العَجَّاج[٣]:

---

[١] ذُو الرُّمَّة غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي: شاعر عربي من الرباب من تميم، من شعراء العصر الأموي، ولد سنة ٧٧ هـ وتوفي بأصفهان سنة ١١٧ هـ وهو في سن الأربعين. وإنما قيل له ذا الرمة لقوله في الوتِد (أشعث باقي رمة التقليد)، والرُّمَّة، بضم الراء، الحبل البالي.

[٢] في ديوانه، من قصيدته التي يمدح بها بلال بن أبي بردة، ومطلعها: (أراح فريق جيرتك الجِمالا ... كأنهمُ يريدون احتمالا).

[٣] عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء، العجاج: راجز مجيد، من الشعراء. ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها. ثم أسلم، وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك، ففلج وأقعد. وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد. وكان لا يهجو. وهو والد (رؤبة) الراجز المشهور أيضاً.

وحِفْظَةٍ أَكنَّها ضَمِيرِي[١] مع الجَلا ولائحِ القَتِيرِ[٢]

والعَضْباء المكسورة القَرْن، وأصلهُ من العَضْب وهو القطع، يقال ظبيٌ أعضَب.

والعرب تَتَشاءم به، أنشدَ الزُّبيرُ بنُ بكّار[٣]:

غُرابٌ وظَبْيٌ أعضَبُ القَرْنِ نادَيا بصُرْمٍ، وصِردانُ العشيّ تصيحُ[٤]

---

[١] يعني غضبة أجنها قلبي.

[٢] في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (جارِيَ لا تَستَنكِري عَذيري سَعيي وَإِشفاقي عَلى بَعيري).

[٣] لعبيد الله المسعودي: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي: مفتي المدينة وأحد الفقهاء السبعة فيها من اعلام التابعين له قطعة في الحماسة وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز. ذهب بصره ومات بالمدينة . وهو ابن عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود الصحابي، وكان شاعرًا غزلًا، يشبب بعثمة.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي يتغزل بعثمة، وهو مطلع القصيدة، وبعد هذا البيت في التغزل بعثمة: (لعمري لئن شطت بعثمة دارها ... لقد كنت من وشك الفراق أليحُ).

– فِي حَدِيثِ النبي أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ[١] عَلَى الصَّدَقَةِ فَقَالَ: "اتَّقِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَلا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِكَ شَاةٌ لَهَا ثُؤَاجٌ"[٢].

الثُّؤاجُ: صَوْتُ النَّعْجة، يقال: ثَأَجَتْ تَثْأَجُ ثَأْجًا وثُؤَاجًا، قَالَ الكُميتُ[٣]:

رأيُهُ فيهمْ[٤] كرَأْيِ ذوي الثُّلَّـ ـةِ في الثَّائِجاتِ جُنْحَ الظَّلامِ[٥]

---

[١] عُبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي أبو الوليد الأنصاري (المتوفى سنة ٣٤ هـ): صحابي من بني غنم بن عوف من الخزرج، شهد العقبتين، والمشاهد كلها، ثم شارك في الفتح الإسلامي لمصر، وسكن بلاد الشام، وتولى إمرة حمص لفترة، ثم قضاء فلسطين حتى توفي في الرملة بفلسطين.

[٢] أخرجه الشافعي في سننه وذكره الهيثمي في معجمه ٣والسيوطي في جامعه الصغير وعزاه إلى الطبراني في الكبير.

[٣] الكميت بن زيد الأسدي (٦٠ – ١٢٦ هـ): شاعر كوفي، من قبيلة بني أسد ومن أشهر شعراء العصر الأموي، سكن الكوفة واشتهر بالتشيع وقصائده في ذلك المسماة بالهاشميات.

[٤] يعني رأيه في الناس أنهم لا خير فيهم، كرأي صاحب الغنم في غنمه وتحقير شأنهم بأنهم للحم والصوف فقط.

[٥] البيت في هاشميات الكميت، من قصيدته الي يمدح فيها بني هاشم ومطلعها: (مَن لِقَلبٍ مُتَيَّمٍ مُستَهَامِ غَيرِ ما صَبوةٍ ولا أحلاَمِ).

قَالَ أبو عمرو بنُ العلاء[١]: العربُ تقول: الفَرَسُ يَصْهَل، والبَغْلُ يَشْحَج، والحمارُ يَنْهَق، والبَعيرُ يرغُو، والبقرةُ تَخُور، والشاةُ تَثْغُو، والنعجةُ تَتْأَجُ، والأسدُ يَزْأَرُ، والكلبُ يَنْبَح، والسِّنَّورُ يَمُوء أو يَبْغُم، والحمامةُ تَهْدِر وتنوح وتبكي وتهتف وتُنَقْنِق[٢]، والدِّيكُ يَسْقَع ويَصيح، والبُلْبُلُ يُعَندِل.

وكان هذا القول منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُبَادَةَ عَلَى وَجْهِ الشفقةِ لا عَلَى طريق التُّهمَةِ له، وهو تأويل قولهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَمَّا آجَرَ مُوسَى نَفْسَهُ مِنْ شُعَيْبٍ قَالَ لَهُ شُعَيْبٌ: لَكَ مِنْهَا - يَعْنِي مِنْ نِتَاجِ غَنَمِهِ - مَا جَاءَتْ بِهِ قَالِبَ لَوْنٍ، فَجَاءَتْ بِهِ كُلِّهِ قَالِبَ لَوْنٍ، غَيْرَ وَاحِدَةٍ أَوِ اثْنَتَيْنِ لَيْسَ فِيهَا عَزُوزٌ

---

[١] أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري (٧٠ - ١٥٤ هـ): أحد القراء السبعة، وشيخ العربية والقراءة، أوحد أهل زمانه، برز في الحروف، وفي النحو، كان من أعلم الناس بالقراءات والعربية، والشعر، وأيام العرب، وقد انتهت إليه الإمامة في القراءة بالبصرة، وهو أحد التابعين.

[٢] وفي رواية: "تبقبق" وفي الوسيط "نقنق": نقنق الضفدع ونحوه: رجع صوته. وفي مادة "بقبق" بقبقيت القدر: سمع صوته غليانها، والماء عند نزوله في القلة ونحوها.

وَلا فَشُوشٌ وَلا كَمُوشٌ وَلا ضَبُوبٌ وَلا ثَعُولٌ"[١]، وهو عَنْ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ[٢] أَنَّ رسول الله قَالَ: "آجَرَ مُوسَى نَفْسَهُ بِشِبَعِ بَطْنِهِ وَعِفَّةِ فَرْجِهِ، فَقَالَ لَهُ شُعَيْبٌ: لَكَ مِنْهَا – يَعْنِي مِنْ نِتَاجِ غَنَمِهِ – مَا جَاءَتْ بِهِ قَالِبَ لَوْنٍ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ السَّقْيِ وَضَعَ مُوسَى قَضِيبًا عَلَى الْحَوْضِ فَجَاءَتْ بِهِ كُلِّهِ قَالِبَ لَوْنٍ وَاحِدٍ".

قوله: بشِبْع بَطْنِه: أي ما يُشْبعه من الطعام، وهو الشِّبْع، ساكنة الباء إذا أردتَ الاسم، والشِّبَع بفتحها إذا أردتَ الْمَصْدَر.

والعَزُوز من الشَّاءِ: البَكِيئَةُ التي تُجهَد حتى يَنزِل لها لَبَن، ويقال إن اشتقاقها من العَزَازِ، وهو الأرضُ الصّلبة، يقال تعزَّزَتِ الشَّاة.

والفَشُوش: التي يَنْفَشُّ لبنُها بسرعة إذا هي حُلِبَت، وذلك لِسَعةِ الإِحْليل، ولَبَنُها مع ذَلِكَ قَليل، قَالَ رؤبة[٣]:

---

[١] ذكره السيوطي في الدرر المنثورة.

[٢] عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري: كان من صناديد العرب وكان فظاً غليظاً جريء اللسان والقول. أسلم بعد الفتح. وشهد غزوة حنين وكان من المؤلفة قلوبهم، ومن الأعراب الجفاة، قيل: إنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم من غير إذن، فقال له: «أين الإذن؟» فقال: ما استأذنتُ على أحد من مضر.

[٣] رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي: راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون

وازجُرْ بَنِي النّجّاخَةِ الفَشُوشِ عنْ مُسْمَهِرٍّ لَيْسَ بالفيوشِ[١]

قَالَ أبو زيد: والفَتُوح مثل الفَشُوشِ، وكذلك الثَّرُور، ومنه الثَّرْثَرَةُ في الكلام، يقال: رجلٌ ثَرْثَارٌ، إذا كان واسعَ الكلام.

والكَموشُ: الصغيرةُ الضَّرع، وهي الكَمْشَةُ أيضًا، وسُمِّيتْ كُمُوشًا لانكماشِ ضَرْعِها، ويقال للفحل إذا كان قَصِيرَ الآلةِ: كَمْشٌ.

والكَشُودُ أيضًا مثلُ الكَمُوش.

والضَّبُوب: الضَّيِّقَةُ ثَقْبِ الإحْليل، وسُمِّيَتْ ضَبُوبًا لأنها تُضَبُّ عند الحَلَب، والضَّبُّ الحَلْبُ بِشِدَّة العَصْر.

قَالَ أبو زيد: والحَصُورُ من الشَّاءِ الضَّيِّقَةُ الإحْليل، والْمَصُورُ التي يُتَمَصَّر لَبَنُها قَليلًا قليلًا.

بشعره ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية، وقد أسنّ. وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة.

[١] في ديوانه من أرجوزته التي يمدح فيها الحارث، ومطلعها: (عاذِلَ قَدْ أُطِعْتُ بِالتَّرْقِيشِ إِلَيَّ سِرّاً فَاطْرُقِي وَمِيشِي).

والثَّعول: الشاةُ التي لها زيادةُ حَلَمَة، وهي الثَّعْلاء، والثَّعْل زيادةُ السِّنِّ أو اختلاف المنبِت لها، وتلك الزيادة عَيْب، قَالَ الشاعرُ[١] يذمُّ رَجُلًا يُشَبِّهه بالزِّيادة في الأَطْباء:

مَسيخٌ مَليخٌ كَلَحْمِ الحُوارِ[٢] فلا أنتَ حُلوٌ ولا أنتَ مُرْ

كأنَّكَ ذاك الَّذِي في الضُّروعِ قُدَّامَ ضَرَّاتِها المنتشِرْ

وقال اليزيديُّ[٣]: الثُّعْل: مَخْرج اللَّبَن، وأنشد عن الأصمعيّ عن عيسى بن عمر[٤]:

---

[١] هو الأشعر الرقبان، شاعر أسدي جاهلي، يهجو ابن عمه رضوان، ويصفه بالشر واللؤم والنذالة، من قصيدة مطلعها: (بِحَسْبِكَ في القومِ أنْ يَعلَموا بأنَّكَ فِيهم غَنِيٌّ مُضِرْ).

[٢] المسيخ: الذي لا طعم له، والمليخ مثله، وخص به بعض اللغويين الحوارَ الذي يُنحر حين يقع من بطن أمه فلا يوجد له طعم، وقال ابن الأعرابي: المليخ من الرجال: الذي لا تشتهي أن تراه عينك فلا تجالسه ولا تسمع أذنك حديثه، والحُوار: ولد الناقة ساعة تضعه.

[٣] اليَزِيدي: أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي الأموي (١٣٨ – ٢٠٢ هـ): ولد في البصرة وسكن بغداد وقدم مكة وحدّث بها. أخذ العربية عن أبي عمرو بن العلاء وابن إسحاق الحضرمي. وأخذ اللغة والعروض عن الخليل بن أحمد. وهو أحد القراء الفصحاء العالمين بلغات العرب والنحو، وكان صدوقاً وله التصانيف الحسنة والنظم الجيد، وشعره مدون. وسمي باليزيدي لأنه صحب يزيد بن منصور الحميري (خال المهدي).

[٤] عِيسَى بْنُ عُمَرَ الثَّقَفِيُّ (ت ١٤٩ هـ): نحوي ومقرئ، من أهل البصرة. وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء. ينسب إليه كتابان في النحو، أحدهما: «الجامع»، والآخر: «الإكمال» (أو المكمل)،

يَذُمُّون دنياهمْ وهمْ يَرْضِعونها أفاويقَ حتى ما يَدُرُّ لها ثُعْلُ[١]

هكذا رواه يَرضِع، بكسر الضَّادِ، وهو لغة، يقال: رَضِع يرضَع ورضَع يرْضِع.

وقوله: قالبَ لوْن تفسيره في الحديث: أنها جاءت عَلَى غير ألوان أُمَّهَاتِها.

وإزاءُ الحوض: مَصَبُّ الدَّلو، قَالَ الأغلبُ العِجْليّ[٢]:

يَغْدُو بدَلْوٍ ورِشاءٍ مُصْلَحِ إلى إزاءٍ كالْمِجَنِّ الرَّحْرَحِ[٣]

وقال آخر[٤]:

قال الأنباري: «لم نرهما ولم نر أحداً رآهما». وقيل إن سيبويه صنف كتابه على أساس كتاب «الجامع».

[١] البيت لعبد الله بن همام السلولي، من شعراء الدولة الأموية، يهجو العلماء. وهو من قصيدته التي مطلعها: (أفاطم قد طال التدللُ والمطلُ أجدّكِ لا صرمٌ جليٌّ ولا وصلُ).

[٢] الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة، من بنى عجل بن لجيم، من ربيعة: شاعر راجز معمَّر. أدرك الجاهلية والإسلام وتوجه مع سعد بن أبي وقاص غازياً فنزل الكوفة، واستشهد في واقعة نهاوند. وهو أول من أطال الرجز. قال الآمدي: هو أرجز الرجاز وأرصنهم كلاماً وأصحهم معاني. وقال البكري في شرح نوادر القالي: الأغلب العجلي آخر من عمر في الجاهلية عمراً طويلاً.

[٣] الرَّحْرَحُ: الواسع، يقال: إناء رَحْرَح، والإزاء: مَصَبُّ الماءِ في الحوضِ.

[٤] هو أبو النجم العجلي: الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، من بني بكر بن وائل. من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر. نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام. قال أبو عمرو بن العلاء: كان ينزل سواد الكوفة، وهو أبلغ من العجاج في النعت.

يُبادِرُ الحوضَ إلى إزائِهِ منه بَمَخْضُوبَيْنِ مِن صَفْرائِهِ[١]

يريد بالمخضوبين مِشْفَرَيْه، والصَّفْراء بُرَتُه قد أدمتْ أَنْفَه فسال الدَّمُ عَلَى مِشْفَرَيْه.

وفي الحديث من الفقه إثبات الإجارات، والحديثُ فيها قليل، وقد أبطلها قومٌ لأنَّها زعموا ليست بعَيْن مرئيَّة ولا صفةٍ معلومة، ومِمَّن ذهب إلى ظاهر هذا الخبر مَعْمَرُ بن راشد[٢] قَالَ: لا بأس أن تُكرى الماشيةُ عَلَى الثُّلث والرّبع. وعن ابن سيرين وعطاء والزُّهري وقتادة جَوازُ أن يَدْفَع الثوبَ عَلَى أن ينسجه بالثلث أو الربع، وإليه ذهب أحمدُ بنُ حنبل رحمه الله. وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ مَعَ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ غُلامٌ يَخْدِمُهُ بطعام بطنِه.

- فِي حَدِيثِ النبيّ أنه قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلا تَجَسَّسُوا وَلا تَحَسَّسُوا"[٣].

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (وَمَنهَلٍ أَقفَرَ مِن أَلقائِهِ وَرَدتُهُ وَاللَيلُ في غِشائِهِ).

[٢] مَعْمَرِ بن راشد الأزدي البصري (٩٥ - ١٥٣ هـ): أحد العلماء ومن رواة الحديث عند أهل السنة والجماعة. من أهل البصرة، ولد فيها ثم رحل إلى اليمن فسكن صنعاء وتزوج من أهلها وتوفي بها.

[٣] أخرجه البخاري في كتاب النكاح ٧/ ٢٤، ومسلم ٤/ ١٩٨٥، وأبو داود ٤/ ٤٨٠ وغيرهم.

التَجَسُّسُ: البَحثُ عن باطن أُمورِ النَّاس، وأكثر ما يُقال ذَلِكَ في الشر، وعن ابن الأعرابي وعن عمرو بن أبي عَمْرو الشَّيباني عن أبيه قالا: الجَاسوس: صاحِبُ سِرّ الشَّرِّ، والنَّاموسُ صاحِبُ سِرّ الخير.

وأما التَّحَسُّس بالحاء فقد اختلفوا في تفسيره، فَقَالَ بعضهم هُوَ كالتَّجَسُّسِ سواء، وقرأ الحسن {وَلَا تَحَسَّسُوا} ويقال: خرج القومُ يتحسَّسُون الأخبارَ ويتحسَّبون ويتَنَحَّسُون، أي يطلبونها ويَسألون عنها، وقال الشاعر:

تَجَنَّبْتُ سُعْدَى أنْ يُشِيد إذا زرتُ سُعدى الكاشحُ بذكرِها المتحسِّسُ[1]

ومنهم مَنْ فَرَّق بينهما، فعن يَحْيَى بن أبي كَثير[2] أنَّه قَالَ: التّجَسُّسُ البَحثُ عن عورات المسلمين، والتحسُّس الاستماع لحديث القوم. وكان أبو عمر[3] يقول: التَّحَسُّسُ بالحاء أن يطلبه لِنفسِه والتجسُّس أن يكون رسولًا لغيره،

---

[1] وروي: المتجسس، بالجيم.

[2] يحي بن صالح بن المتوكل الطائي المعروف بيحي بن أبي كثير: تابعي فقيه ومُحدث من صغار التابعين ورتبته عند ابن حجر العسقلاني "ثقة ثبت"، توفي في عام ١٢٩ هـ. روى له الجماعة.

[3] أبو عمر الزاهد: أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي الزاهد المعروف بـ غلام ثعلب، (٢٦١ –٣٤٥ هـ): عالم لغوي، ومحدّث، سُمي بغلام ثعلب لملازمته شيخه في اللغة أبي العباس ثعلب، وكان علمه واسع بلسان العرب وكلامهم، له العديد من التصانيف أشهرها «ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن» المعروف بالياقوتة. وهو شيخ الخطابي وعنه أخذ.

وكان يقول في الفرق بين النَّمّام والقَتَّات والقَسَّاس نحوًا من ذَلِكَ؛ قَالَ: النّمام الَّذِي يكون مع القوم يتحدثون فَيَنُمُّ حديثَهم، والقَتَّات الَّذِي يَتَسَّمع عَلَى القوم وهم لا يعلمون ثُمَّ يَنُمُّ حَديثَهم، والقَسَّاسُ الَّذِي يَقُسُّ الأَخبَار، أي يسأل الناسَ عنها ثُمَّ يَنُشُّوها عَلَى أصحابها، سمعتُه يقول ذَلِكَ.

وقوله: إياكم والظَّنَّ، فإنه أراد تحقيقَ ظَنِّ السُّوْءِ وتصديقَه، دون ما يَهْجِس بالقلب من خواطِر الظُّنون فإنها لا تُملَك، قال تعالى: {إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} فلم يجعل كلَّه إثمًا.

وعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلاثٌ لا يَعْجَزُهُنَّ ابْنُ آدَمَ: الطِّيَرَةُ وَسُوءُ الظَّنِّ وَالْحَسَدُ، فَيُنْجِيكَ مِنَ الطِّيَرَةِ أَلا تَعْمَلَ بِهَا، وَيُنْجِيكَ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ أَلا تَتَكَلَّمَ بِهِ، وَيُنْجِيكَ مِنَ الْحَسَدِ أَلا تَبْغِيَ أَخَاكَ سوءًا[1].

- فِي حَدِيثِ النبي أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: نَصَبْتُ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي عَبَاءَةً، وَعَلَى مَجَرِّ بَيْتِي سِتْرًا، مَقْدَمَهُ مِنْ غَزْوِ خَيْبَرَ أَوْ تَبُوكٍ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَهَتَكَ الْعَرْصَ حَتَّى وَقَعَ إِلَى الأَرْضِ[2].

---

[1] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٠/ ٤٠٣. ومعمر بن راشد في الجامع ١٩٥٠٤.

[2] أخرجه أبو داود ٤/ ٧٣ وغيره بنحوه.

العرْص: وَهِيَ خَشَبَةٌ تُوضَعُ عَلَى الْبَيْتِ عَرْضًا إِذَا أَرَادُوا تَسْقِيفَهُ ثُمَّ تُلْقَى عَلَيْهِ أَطْرَافُ الْخَشَبِ الْقِصَارِ، يقال: عرَّصتُ السقفَ تعريصًا.

ومجرّ البيت هُوَ العَرْص بعينه، وهو الَّذِي يقال له الجائر، وهو حامل البيت، وأُراه مُشَبَّها بالْمَجَرَّةِ لاعتراضها في السّماء، وإنما عَنَتْ بِهَتْكِ العَرْص هَتْكَ سماوةِ البيت التي كانت غَطَّتْ بها وجْه العَرْص.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ حَدِيثُهُ الآخر عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنّ رَسُولَ الله أَتَى فَاطِمَةَ فَوَجَدَ عَلَى بَابِهَا سِترًا فلم يَدْخُلْ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَأَتَاهُ عَلِيٌّ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: "وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا وَالرَّقْمُ"[١].

يُرِيدُ بِالرَّقْمِ النَّقْشَ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ كَانَ سِتْرًا مُوَشًّى، وَأَصْلُ الرَّقْمِ الْكِتَابَةُ، يقال: رقَمْتُ الكتابَ، وزبَرْتُ، وذَبَرتُ، ونَمَقْتُ، ونَمَصْتُ، بمعنى واحد، قَالَ الشاعر[٢]:

---

[١] أخرجه أبو داود (٤١٤٩) مطولاً واللفظ له، وأخرجه البخاري (٢٦١٣) مطولاً بلفظ: "ما لي وللدنيا"، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٧١٢٣.

[٢] هو أوس بن حَجَر: أوس بن حجر بن مالك المازني التميمي، شاعر مضر أبو شريح (٩٥ – ٢ ق.هـ)، من كبار شعراء تميم في الجاهلية، أبوه حَجَر هو زوج أم زهير بن أبي سلمى. كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة. عمّر طويلاً (حوالي ٩٠ عاما). في شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سائر الشعراء العرب.

سأَرْقُبُ في الماء القَراحِ إليكمُ عَلَى بُعدِكمْ إنْ كان للماء راقبُ[١]

- فِي حَدِيثِ النبيّ أَنَّهُ قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِأَلْبَانِ الْبَقَرِ؛ فَإِنَّهَا تَرُمُّ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ"[٢] وَيُرْوَى "تَرْتَمُّ".

قوله: تَرُمُّ وتَرْتَمُّ، أي تَرْعَى وتَتَناول بِالْمَرمَّة، والْمَرمَّةُ لذواتِ الظِّلْفِ[٣] بمنزلة الْفَمِ للإنسانِ، وهي الْمَقَمَّة أيضًا، ويقال له من ذواتِ الحافرِ[٤] الجَحْفَلَة، ومن السِّباع الخُرطوم، ويقال: رمَّتِ البَقَر تَرُمُّ، قَالَ رؤبة[٥]:

مِنْ سَنَةٍ تَرْتَمُّ كلَّ رِمّ تَنْتَسِفُ النابتَ بعدَ القَمِّ[٦]

ويقال للإبل: أَرمَتْ تأرِمُ أرمًا، وللخيل: قَضَمَتْ تَقْضِم.

---

[١] البيت منفرد في ديوانه.

[٢] أخرجه النسائي في (السنن الكبرى) (٦٨٦٣)، وابن حبان (٦٠٧٥)، والحاكم (٧٤٢٥) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٤٠٥٩.

[٣] الظلف لما يجترّ من الحيوانات كالبَقَر والجَمَل والظَّبْي وغيرها.

[٤] الحافر للفرس والخيليات.

[٥] في المطبوعة: العجاج، والصواب رؤبة.

[٦] في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (يا أُمَّ حُورَانَ اكْتُمِي أَوْ نُمِّي أَنْهاتَ عَهْدُ العَرَبِ الصِيَمِّ).

- فِي حَدِيثِ النبيّ أَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِيَّ[١] قَالَ: أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمَالُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تَبِعَةٌ مِنْ طَالِبٍ وَلا مِنْ ضَيْفٍ؟ قَالَ: "نِعْمَ الْمَالُ أَرْبَعُونَ، وَالْكُثْرُ سِتُّونَ، وَوَيْلٌ لأَصْحَابِ الْمِئِينَ، إلا مَنْ أَعْطَى الْكَرِيمَةَ وَمَنَحَ الْغَزِيرَةَ وَنَحَرَ السَّمِينَةَ فَأَكَلَ وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ"، قَالَ: وَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ: "كَيْفَ تَصْنَعُ فِي الطَّرُوقَةِ؟" قَالَ: يَغْدُو النَّاسُ بِحِمَالِهِمْ فَلا يُوزَعُ رَجُلٌ عَنْ جَمَلٍ يَخْطِمُهُ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى "كَيْفَ تَصْنَعُ فِي الإِفْقَارِ؟" قَالَ: إِنِّي لأُفْقِرُ الْبَكْرَ الضَّرْعَ وَالنَّابَ الْمُدْبِرَةَ"[٢] فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ.

وفي رواية أَنَّهُ قَالَ لَهُ: "فَكَيْفَ أَنْتَ عِنْدَ الْقِرَى؟" قَالَ: أُلْصِقُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالنَّابِ الْفَانِيَةِ وَالضَّرَعِ[٣].

قوله: ليس فيه تَبِعة، أي ما يَتْبع المالَ مِن الحقوق، وأصلُها مِن تَبِعْتُ الرجلَ بحَقِّي وتابَعْتُه به، إذا طالبتَه، والتَّبِيع الَّذِي يَتْبَعُك بحقٍ ويطالبُك به، قَالَ الله:

---

[١] قيس بن عاصم بن سنان المنقري التميمي: صحابي جليل ومن سادات العرب وأشرافهم، وهو الذي قدم على رسول الله سنة ٩ هـ في وفد بني تميم فأكرمه وقال له: «هذا سيد أهل الوبر». وهو شاعرٌ فارسٌ شجاعٌ حليمٌ كثير الغارات، مظفرٌ في غزواته، أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما وأسلم وحسن إسلامه، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه في حياته، وعمر بعده زماناً وروى عنه عدة أحاديث.

[٢] انظر المستدرك ٣/ ٦١٢، وأسد الغابة ٤/ ٤٣٤.

[٣] أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٤/ ٣٠ في حديث طويل.

{ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا} ومنه قَولُه: "إذا أُتْبِعَ أحدُكم على مليء فَلْيَتْبَع"[1]، يريد إذا أُحيل بحقِّه عَلَى مليءٍ فَلْيَحْتَل.

وَالتَّبِعَةُ وَالتِّبَاعَةُ تَجْرِيَانِ مَجْرَى الظُّلَامَةِ، أنشد أبو العباس ثعلب:

إذا كنتَ ذا مالٍ ولم تَكُ مُنْفِقًا فأنتَ إذنْ والْمُقْتِرُون سَواءُ

عَلَى أنَّ للأموالِ يومًا تِبَاعَةً عَلَى أهلِها والْمُقْتِرونَ بُراءُ

والكُثْرُ: الكثيرُ، كما قيل في القليل قُلٌّ، قَالَ أبو زيد: الكُثْر من المال الكثير، والحِلْق مِثلُه، يقال: جاءَ فلانٌ بالحِلْقِ، وَالذَّوْدُ من الإبل ما بين الثَّلاثة إلى العشرة، والصَّرْمَةُ ما بين العشرة إلى الأربعين، فإذا بلغتْ سِتِّين فهي الصِّدعَةُ، والهَجْمَة أولُها أربعون إلى ما زادت، وهُنَيْدَةُ: المائة فقَطْ.

وعن ابن الأعرابي قَالَ: هُنَيْدةُ الْمِائَةُ من الإبل، ولا تصرِفْها، وهِندٌ مائتان من الإبل واصْرِفْها.

قَالَ أبو عمر: صَرْعَيْنَا: إبلٌ كثيرة، من غير ألف ولامٍ، وهو نادِرٌ جدًا. وأَنشدَنا يَصِف سائلًا شَبَّهه بالقُراد:

مِثْل البُرامِ غَدَا في أُصْدَةٍ خَلَقٍ لم يَسْتَعِنْ وحَوامي الْمَوتِ تَغْشاهُ

---

[1] أخرجه البخاري (٢٢٨٨)، ومسلم (١٥٦٤). والمعْنى: أنَّه إذا كان لِأَحدِكم دَينٌ على أحدٍ، وأحالَه هذا المِدينُ على رَجلٍ غَنِيٍّ، فَلْيوافِقِ الدائنُ ولْيقبَلْ تَحويلَ الدَّينِ مِن على هذا المِدينِ إلى الرَّجلِ الغَنِيِّ؛ لَيَسُدَّ عنه الدَّينَ.

فَرَّجتُ عنه بصَرْعَيْنا لأَرْمَلَةٍ أو بائسٍ جاء معناهُ كمعناهُ[١]

وقوله: مَنَح الغزيرة: أراد الْمَنِيحَةَ، وهي الناقة أو الشَّاة ذاتُ الدَّرِّ، تُعارُ للبنِها ثُمَّ تُردُّ إلى أهلِها، ومنه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "والْمَنِيحَةُ مَرْدُودَة"[٢].

والقانِعُ: السائِل، يقال: قَنَع قُنُوعًا، إذا سأل، وقَنِع قَنَاعَةً، إذا عف عن المسألة.

والْمُعْتَرُّ: الَّذِي يغشاك ويتعرض لك ولا يُفصح بحاجته.

وقوله: "كيف تصنع فِي الطَّروقة"، فإنه يريد فحلَ الطَّروقة، وهي الناقة التي استحقَّتِ الضِّراب وآن لها أن تُطْرَق، يقال: استطرقني فلانٌ فأطرقْتُه، أي أَعطيتَه فحلًا يَضرِب في إبله.

وقوله: لا يُوزَع رجلٌ عن جَمَلٍ يخْطِمُه: أي لا يُمنَع منه، يقال وزَعْتُ الرجلَ عن الأمرِ، أي كَففتُه عنه، أنشد المبرّد[٣]:

---

[١] ورد في لسان العرب: يصف سائلًا شبهه بالبرام، وهو القراد. لم يستعن: لم يحلق عانته. وحوامي الموت وحوائمه: أسبابه . وقوله: بصرعينا، أراد بها إبلًا مختلفة التمشاء تجيء هذه وتذهب هذه لكثرتها، هكذا رواه بفتح الصاد، وهذا الشعر أورده الشيخ ابن بري عن أبي عمر.

[٢] أخرجه أبو داود (٣٥٦٥)، وأحمد (٢٢٢٩٤)، والترمذي (٢١٢٠) وصححه، وابن ماجه (٢٧١٣).

[٣] أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبَرِّد (٢١٠ – ٢٨٥ هـ): أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري.

لِسانُ الفَتى سَبْعٌ عليه شَذاتُهُ وإلا يَزِعْ عن غَرْبِه فهو قاتِلُهْ

وما الجَهلُ إلا منطقٌ متسرعٌ سواءٌ عليه حقُّ أمرٍ وباطِلُهْ

والمعنى أنه لا يأخذ عَلَى ضِرابِ الفُحُولَةِ عَسْبًا[١].

وقوله: لا يُوزَع رجلٌ عن جَمَلٍ يخْطِمُه، أي لا يمُنَع منه، يقال: بِحبالهم، يعني الحبال التي تُقرَن بها الإبِلُ، قَالَ سالم بن قُحْفانَ العَنْبَرِيّ[٢]:

فلا تَعذُليني في العطاءِ، ويَسِّري لكل بَعيرٍ جاء طَالِبُه حَبْلا[٣]

ويقال إن سالِمًا هذا أَتاه صِهْره أخو امرأته فأعطاه بعيرًا من إبِله وقال لامرأته: هاتي حبلًا يقرُن به ما أعطيناه إلى بعيره، ثُمَّ أعطاه بعيرًا آخر وقال هاتي حبلًا، ثُمَّ أعطاه ثالثًا وقال هاتي حَبلًا، فقالت: ما بقي عِندي حَبْلٌ، فَقَالَ لها: عليّ الجِمالُ وَعَلَيْكِ الحِبالُ.

---

[١] العسب: أجرة الفحل.

[٢] سالم بن قُحْفانَ العَنْبَرِيّ التميمي: من رؤساء بني العنبر في الجاهلية وكرمائها.

[٣] أحد بيتين وردا في الحماسة، والآخر: (فإنِّي لَا تبْكي عَليّ إفالها ... إذا شبعتْ من روض أوطانها بقلا).

وقوله: أُفْقِرُ الضَّرَع: فإن الإفقار في الإبل أن تُعار للركوب وَالْحَمْلِ عليها، ومنه حديث جابر "أنه باع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جملَه، قَالَ: وأَفْقَرني ظَهَره إلى المدينة"[١].

والضَّرَع: الصغير، ويقال الضعيف. والنَّاب: الْمُسِنَّة.

وقوله: أُلصِقُ بالنّاب الفانيةِ، معناه إلصاق السِلاح بها، وكان من عادتهم أن يُعرقبوها قبل النَّحر، قَالَ الراعي[٢]:

وقلتُ له أَلصِقْ بأيْبَسِ ساقِها فإن يَجْبُرِ العُرقوبُ لا يَرْقأِ النَّسا[٣]

---

[١] رواه البخاري ومسلم.

[٢] الراعي النُمَيري (ت٩٠ هـ): عُبَيد بن حُصين بن معاوية بن جندل، النميري، أبو جندل. شاعر من فحول الشعراء المحدثين، كان من جلّة قومه، من أهل بادية البصرة، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وكان بنو نمير أهل بيتٍ وسؤدد، وقيل: كان راعَي إبلٍ. عاصر جريراً والفرزدق وكان يفضّل الفرزدقَ فهجاه جريرٌ.

[٣] هو في ديوانه من قصيدته التي يصف فيها أمره بذبح ناقته لأحد الضيوف، ومطلعها: (عَجِبتُ مِنَ السارينَ وَالريحُ قَرَّةٌ إلى ضَوءِ نارٍ بَينَ فَردَةَ وَالرَحى). ومعناه: قلت للذابح ألصقِ السيفَ بأيبس ساقها أي بأقلها لحمًا، فيخلص السيف إليه سريعًا، فإن يجبر العرقوب أي رقأ دمه لم يرقأ عرق النسا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "طُولُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ إِلَى أَيْلَةَ، وَعَرْضُهُ مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الرَّوْحَاءِ، يَغُتُّ، فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ"[١].

وفي غير هذه الرواية " إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لأَهْلِ اليَمَنِ، أَضْرِبُ بعَصَايَ حتَّى يَرْفَضَّ عليهم"[٢].

قوله: يَغُتُّ، معناه يَمُدّه ويُتابع دَفْق الماءِ فيه، يقال: غَتَّ الشَّاربُ الماءَ، إذا جَرَعَه جَرْعًا بعد جَرْع ونَفَسًا بعد نَفَس.

ومررت بأعرابيٍّ ومعه بُنَيَّةٌ صغيرة وقد رَفَع إليها كُوزًا وهو يقول لها: غُتِّي وَيْلَكِ غُتِّي، وقال طَرَفة[٣]:

---

[١] أخرجه البخاري ومسلم بألفاظ أخرى.

[٢] رواه مسلم. وفي هذا الحديثِ يَرْوِي ثَوبانُ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: «إِنِّي لبعُقْرِ حَوضِي»، وَهوَ مُؤخَّرُ الحوضِ أو مَقامُ الشَّارِبِ، «أَذودُ النَّاسَ»، أي: أَطرُدُهم وأَدفَعُهم حتَّى يَصِلَ أهْلُ اليمَنِ، «يَرْفَضَّ عليهم» أي: يَسيلَ ماؤهُ.

[٣] طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي: شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه. ثم أرسله بكتاب إلى (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر، شاباً، وأشهر شعره معلقته.

فَبِتُّ كأنّني من ذِكْرِ سَلْمَى أُغَتُّ بِنَاقِعِ الرُّقْشِ القِزَازِ[١]

وعُقْرُ الحوضِ قَالَ أبو عبيدة هُوَ مُؤخَّرُ الحوضِ، وإزاؤُهُ مَصَبُّ الماء، وما بين ذَلِكَ عَضْدُ الحوضِ[٢]، ويقال للنّاقة التي تشرب من عُقر الحَوْض عَقِرَة، والتي تشرب من إزائه أَزِيَةٌ، عَلَى مثال فَعِلة، قَالَ امرؤ القيس[٣]:

فرماها في فرائِصِها في إزاءِ الحَوضِ أو

وعُقْر الدار أصلُها، ومنه قيل: لفُلانٍ عَقَارٌ، أي أَصلُ مالٍ، وقد لَزِمَ عُقْرَ دارِه، وفلان يُعاقِر الخَمرَ، أي يُلازِمُها ويُداوِم شُرْبَها، ولعن رَسُول الله عاقِرَ الخمْر، قَالَ النَّضْرُ بن شُمَيْل[٥]: عاقِرُ الخمر هُوَ الَّذِي إذا وجدها شَرِبها.

---

[١] لم أجده في ديوان طرفة. والرقش: جمع الأرقش، وهو ثعبان مُنَقَّطٌ بِسَوَادٍ وَبَيَاضٍ.القزاز: جمع القُزَّةُ: الحيَّةُ البتراءُ.

[٢] أعْضادُ الحَوْضِ والطَّرِيقِ وغيرِهِ: ما يُسَدُّ حَواليهِ من البِناءِ.

[٣] امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي(١٣٠-٨٠ ق.هـ): شاعر يماني الأصل. اشتهر بلقبه، وكان أبو هـ ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر وعنه أخذ الشعر. ثم ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه وثأر لأبيه من بني أسد وقال في ذلك شعرا كثيراً.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (رُبَّ رامٍ مِن بَنِي ثُعَلٍ مُتلِجٍ كَفَّيهِ في قُتَرِه).

[٥] النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم المازني التميمي البصري، (١٢٢- ٢٠٣ هـ): قاضٍ ولغوي وراوٍ للحديث وفقيه، ولد بمرو ونشأ بالبصرة ثم غادرها إلى خراسان وأقام في نيسابور قليلاً. أخذ عن الخليل بن أحمد ولازمه مُدةً طويلةً، وأقام بالبادية زمناً فأخذ عن فصحاء العرب كأبي خيرة الأعرابي وأبي الدقيش وغيرهُما. وكان النضر من أهل السنة النبوية وهو أول من أظهرها بخراسان

وأخبرني محمد بنُ عَبْد الواحد قَالَ: سألت الْمُبَرّدَ عن الخمر لِمَ سُمّيت عُقارًا؟ فَقَالَ: لأنها تَعقِر العَقْل فتذهبُ به.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنُّ عَلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَلا ذَاتِ يَدِهِ مِنَ ابْنِ أبي قحافة"[١].

قوله: أمنُّ علينا، يريد أسمَحُ بماله وأبذلُ له، ولم يُرِد به معنى الامْتِنان؛ لأن المِنَّةَ تُفسِد الصَّنِيعَة، ولا مِنَّةَ لأحدٍ على رسول الله، بل له الْمِنَّةُ عَلَى الأُمَّة قاطِبة، والْمَنُّ في كلام العرب الإحسانُ إلى مَنْ لا تَسْتَثِيبه، قَالَ الله تعالى: {هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}، {وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} أي لا تُعطِ لتأخذَ من المكافأة أكثرَ مما أعْطَيت.

وَمِنَ الْمَنِّ الْمَذْمُومِ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "ثَلاثَةٌ يَشْنَأُهُمُ اللَّهُ[٢]: الْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْبَخِيلُ الْمَنَّانُ، وَالْبَيِّعُ الْحَلَّافُ"[٣].

ومرو. وليَ القضاء بمرو، وكان مُتقللاً مُتقشفاً زاهِداً. وله مع المأمون حكايات ونوادر لأنه كان يجالسه وأمَرَ له في وقت بخمسين ألف درهم.

[١] أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير. ومَعْناه: أنَّه أكثَرُهم جُودًا وسَماحةً لنا بنفْسِه ومالِه.

[٢] يشنأهم: يبغضهم.

[٣] أخرجه شعيب الأرناؤوط في: تخريج مشكل الآثار ٢٧٨٢ وصححه.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الْآخَرُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ"[١] فإنه يفسَّر عَلَى وجهين: أحدهما من الْمِنَّةِ التي هي الاعتداد بالصنيعة[٢]، والآخر مِن الْمَنِّ، الَّذِي هُوَ النَّقص من الحق والبَخْس له، قَالَ اللهُ تعالى: {وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ} يقال: غير مقطوع، وغير منقوص، وكلاهما قريب، ومنه سُمِّي الْمَوتُ مَنُونًا؛ وذلك أنه يَنقُص الأعدادَ ويقطع الأعمار، والْمَنُون واحدٌ وجَميعٌ، وقد يُذَكَّر ويؤنث، فمَن ذكَّر أراد الموتَ، ومَن أنَّث أراد الْمَنيَّةَ.

وقول أبي ذؤيب[٣]:

أمِنَ الْمَنُونِ ورَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ[٤]

---

[١] رواه مسلم.

[٢] استكثار المرء إحسانَه وفخرُه به حتى يُفسِدَه، والمِنّة تهدم الصَّنيعة.

[٣] أبو ذؤيب خويلد بن خالد بن محرث: شاعر فحل ومخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وسكن في المدينة واشترك في الغزو والفتوح وعاش لى أيام عثمان فخرج في جند عبدالله بن سعد بن ابي سرح إلى إفريقية سنة ٢٦ هـ غازياً فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبدالله بن الزبير مع جماعة يحملون الفتح إلى عثمان.

[٤] في شعره بديوان الهذليين، وهو مطلع القصيدة العينية الشهيرة التي يرثي بها خمسة من أبنائه أصيبوا بالطاعون في عام واحد، وتمامه: (أَمِنَ المنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ).

يرويه قومٌ: ورَيْبِها، عَلَى تأويل الْمَنِيَّة.

وقال عَدِيُّ بن زيد[١]:

مَنْ رأيتَ الْمَنُونَ أبقَيْنَ أَمْ مَنْ ذا عليه مِن أَن يُضامَ خَفِيرُ[٢]؟

فجعله بمعنى الجمع. والمنون الدهر في قول الأصمعي.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ"[٣].

---

[١] عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي: شاعر، من دهاة الجاهليين. كان قروياً، من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشاب، يلعب لعب العجم بالصوالجة على الخيل. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، اتخذه في خاصته وجعله ترجماناً بينه وبين العرب. فسكن المدائن. ولما مات كسرى أنوشروان وولي ابنه (هرمز) أقر عدياً ورفع منزلته ووجهه رسولاً إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، بهدية، فزار بلاد الشام، وعاد إلى المدائن بهدية قيصر. ثم تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر ووشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة.

[٢] في ديوانه من قصيدة طويلة مطلعها: (أَرَواحٌ مُوَدَّعٌ أَم بُكُورُ لَكَ فاعلَم لأَيِّ حالٍ تَصيرُ).

[٣] متفق عليه.

وبلغني عن أبي دَاود[١] أنه كان يقول: تَقارُبُ الزّمان استواءُ الليل والنهار. وهو إن شَاءَ الله معنى سَدِيد، والْمُعَبّرون يزعمون أَنَّ أَصدقَ الأزمان لوقوع التعبير وقتُ انْفِتاق الأَنْوار ووقتُ يَنْعِ الثّمار وإدراكها، وهما الوقتان يتقارب فيهما الزمان ويَعْتَدل الليل والنهار.

وفيه وجهٌ آخر وهو أن يراد بتَقَارب الزمان قربُ انتهاء أَمَدِه، وقد جاء ذَلِكَ مرفوعًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَا تَكَادُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا"[٢].

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الآخَرُ أَنَّهُ قَالَ: "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ حَتَّى تَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ وَالْيَوْمُ كالساعة"[٣] فعن حَمَّاد بن سَلَمة[٤] قَالَ: سألتُ

---

[١] أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني المشهور بأبي داود (٢٠٢-٢٧٥ هـ) إمام أهل الحديث في زمانه، محدث البصرة، وهو صاحب كتابه المشهور بسنن أبي داود.

[٢] أخرجه الترمذي في الرؤيا ٤/ ٥٤١.

[٣] أخرجه الترمذي ٤/ ٥٦٧.

[٤] حمادٌ بن سلمة بن دينار البصري (٩١ - ١٦٧ هـ): محدّث، يصفه الذهبي في ترجمته بقوله: «الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصري، النحوي، البزاز، الخرقي، البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل».

عنه أَبَا سِنان[١] فَقَالَ: ذَلِكَ من استِلْذَاذ العَيْش، يُريد – والله أعلم – زَمانَ خروج المهديّ ووقوع الأَمَنَة في الأرض بما يبسُطُه من العدل فيها فَيُسْتَلَذُّ العَيشُ عند ذَلِكَ وتُسْتَقْصَر مُدَّتُه، ولا يزال الناسُ يستَقْصِرون مُدَّة أيام الرخاء وإن طالت وامتدّت، ويستطيلون أيامَ المكروه وإن قَصرتْ وقَلَّت، والعرب تقول في مِثْل هذا: مَرَّ بنا يومٌ كعُرقُوب القَطَا قِصَرًا.

وعن أعرابي ذكر امرأتَه فقال: كاد الغزالُ يكونُها لولا ما تَمّ منها ونَقَص منه، وما كانت أيامي معها إلا كأَباهِيم القَطَا[٢] قِصرًا، ثُمَّ طالت بعدها شوقًا إليها وأسفًا عليها. وقد جمع الشاعر[٣] طرفَيْ هذا المعنى فَقَالَ:

يطولُ اليومُ لا ألقاكِ فيهِ وشهرٌ نلتقي فيه قصيرُ[٤]

---

[١] عيسى بن سنان الحنفي أبو سنان القسملي الفلسطيني، روى عن وهب بن منبه ويعلى بن شداد والضحاك بن عبد الرحمن وغيرهم، وعنه حماد بن سلمة وحماد بن زيد وعيسى بن يونس وآخرون، وهو من أهل العلم.

[٢] أَباهِيمُ: جمع إِبْهَامُ. وذلك لأن أصابع القطا متناهية الصغر.

[٣] هو جميل بن معمر العُذْري (ت ٨٢ هـ): شاعر ومن عشاق العرب المشهورين. كان فصيحًا مقدمًا جامعًا للشعر والرواية. وكان في أول أمره راويًا لشعر هدبة بن خشرم، كما كان كثير عزة راوية جميل فيما بعد. لقب بجميل بثينة لحبه الشديد لها.

[٤] في ديوانه وهو أحد بيتين الآخر منهما: (وَقالوا لا يَضيرُكَ نَأيُ شَهرٍ فَقُلتُ لِصاحِبَيَّ فَمَن يَضيرُ؟).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ[١] أَتَتْهُ تَسْتَأْذِنُهُ وَقَدْ خَطَبَهَا أَبُو جَهْمٍ[٢] وَمُعَاوِيَةُ، فَقَالَ: "أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَأَخَافُ عَلَيْكَ قَسْقَاسَتَهُ الْعَصَا، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ أَخْلَقُ مِنَ الْمَالِ"، قَالَتْ: فَتَزَوَّجَتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ بَعْدَ ذَلِكَ[٣].

وفيه أَنَّ فَاطِمَةَ لَمَّا طَلَّقَهَا زَوْجُهَا قَالَ لَهَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ مَكْتُومٍ فَاعْتَدِّي عِنْدَهَا" ثُمَّ قَالَ: "لا إِنَّ أُمَّ مَكْتُومٍ امْرَأَةٌ يَكْثُرُ عُوَّادُهَا وَلَكِنِ انْتَقِلِي إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَعْمَى"، فَانْتَقَلَتْ إِلَيْهِ حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ثُمَّ خَطَبَهَا أَبُو جَهْمٍ وَمُعَاوِيَةُ.. الْحَدِيثُ.

---

[١] فاطمة بنت قيس الفهرية إحدى المهاجرات وأخت الضحاك بن قيس.

[٢] أبو جهم بن حذيفة: أسلم عام الفتح وكان من مشيخة قريش عالمًا بالنسب وكان من المعمَّرين من قريش شهد بنيان الكعبة مرتين مرة في الجاهلية حين بنتها قريش ومرة حين بناها ابن الزبير. صحب النّبي صَلَّى الله عليه وسلم، وكان مقدّمًا في قريش معظَّمًا، وكانت فيه وفي بنيه شدَّةٌ وعرامة.

[٣] أخرجه أحمد ٦/ ٤١٤ وعبد الرزاق ٧/ ١٩ بهذا السياق وأخرجه مسلم ٢/ ١١١٤، وأبو داود ٢/ ٢٨٥، والترمذي ٣/ ٤٣٣ وغيرهم بلفظ: "أما أَبو جَهْم فلا يَضَع عصاه عن عاتِقِه وأما معاوية فصعلوك لا مال له".

قوله: "يكثر عُوَّادُها" يريد زُوَّارَها ومَنْ يغشاها من الضِّيفان، وقد روي من طريق آخر أنها امرأة يكثُر أضيافُها، وكل منْ أتاك مرَّةً بعد أخرى فهو عائد، قَالَ الأعشى[١]:

فانْهَيْ خَيالَكِ يا جُبَيْرُ فإنه في كلِّ منزلةٍ يَعُودُ وِسادي[٢]

أراد أنه يزورُه ويَطرقُه ليلًا.

وكان بعضُ أهل اللغة يقول: إنما سُمِّي يومُ العِيدِ لهذا المعنى لتكرُّره وعَوْده لأوقاته من السنة، وأنشد لبعضهم[٣]:

عَادَ قَلْبِي من التذكُّرِ عِيدُ

وقال بعضُهم: إنما سُمِّي عِيدًا لأنه يومٌ يعود فيه الفَرحُ إلى المسلمين، وكلاهما قريب.

---

[١] أَبُو بَصِيرٍ مَيْمُونُ بْنُ قَيْسِ بْنِ جَنْدَلِ بْنِ شَرَاحِيلِ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضُبَيْعَةَ الْبَكْرِي المعروف بِالْأَعْشَى (ت ٧ هـ): شاعر جاهلي لقب بِالْأَعْشَى لأنه كان ضعيف البصر، عاش عمرًا طويلًا وأدرك الإسلام ولم يسلم، عمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية منفوحة باليمامة، وفيها داره وبها قبره.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَجُبَيرُ هَل لِأَسيرِكُم مِن فادي أَم هَل لِطالِبِ شِقَّةٍ مِن زادِ).

[٣] ولتأبَّط شرًّا، بلفظ قريب من هذا: (عادَ قلبي من الطويلةِ عيدُ واعتراني من حبها تسهيدُ).

وقوله: "أخاف عليك قَسْقَاسَتَه العَصَا" فإن القَسْقَاسَةَ العصا بعينِها، وذِكْرُهُ العصا عَلَى أثرها تفسيرٌ لها وإبانةٌ عنها، كأنه يقول أَعنِي العصا، وفلان يَقُسُّ دَابَّتَهُ أي يَسوقُها، ويقال: ما زال يُقَسْقِسُ الليلةَ كلَّها، إذا أدأبَ السَّيْرَ، قَالَ الشَّمّاخ[١]:

كأنها وقد بَراها الأخماسْ ودَلَجُ اللَّيلِ وهادٍ قَسْقَاسْ[٢]

وقال الأصمعي: خَمسٌ: قَسْقَاسٌ وحَثْحَاثٌ وقَعْقَاعٌ وصَبْصَابٌ وحصْحَاصٌ، كل هذا سَيْرٌ لَيْسَتْ فيهِ وَتيرَةٌ. والمعنى أن أبا جهم سيّئ الخُلُق سريعٌ إلى التأديب والضَّرب. وفي أكثر الروايات أنه قَالَ إنَّ أبا جَهْم لا يَضَع عَصَاه عن عاتِقِه، يريد هذا الْمَعْنَى؛ وذلك أن الضارب بالعصا لا يزال رافعًا لها إلى عاتِقه ما دام يضرب.

وفيه وجَهٌ آخر وهو أن يكون أراد بهذا القول كثرةَ أسفارِه ودَوامَ غَيْبَتِه عن أهلِه، يقول: لا حظَّ لكِ في صحبتِه لأنه يُكثِر الظَّعنَ ويُقِلُّ المقامَ، كنّى

---

[١] الشمّاخ بن ضرار بن حرملة المازني الذبياني الغطفاني: شاعر مخضرم شهد الجاهلية والإسلام، عدّه البعض من طبقة لبيد بن ربيعة. ويقال إنه كان أرجز الناس على البديهة. أسلم وحسن إسلامه. وله صحبة. جاهد في فتوح العراق، وكان يحث الناس في معركة القادسية على القتال. غزا أذربيجان مع سعيد بن العاص.

[٢] في ديوانه، وهو مطلع الأرجوزة. والهادي القسقاس: الدائب لا يفتر.

بالعَصَا عن نَوَى السفر، يقال: رفَعَ فلان عَصَا السَّير، إذا سافر، وألقى عصاه، إذا أقام، قَالَ الشاعر[١]:

فألقَتْ عَصاهَا واستَقرَّتْ بها النَّوَى كما قَرَّ عَيْنًا بالإيابِ

ويقال للرّاعي إذا كان قليلَ الضَّرب لإبله بعصاه إنّه لصُلْب العَصَا، يريد أنّ عَصَاه صُلْبَةٌ صحيحة لأنه لا يُعمِلها فَتشَظَّى وتكَسَّر، فإذا أكثر الضَّربَ بها قيل له ضَعيفُ العصا، وهو المحمود لأنه يَحمِلها بذلك عَلَى الرّعْي ويَسوقُها إلى الأماكن الْمُعْشِبَة، قَالَ الشاعر[٣]:

---

[١] هو عمرو بن سفيان بن حمار بن الحارث بن أوس البارقي: شاعر جاهلي من شعراء الجودة المقلين وفارس من فرسان الجاهلية، وسمي معقراً لقوله في رائيته المشهورة: (لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر) وقد كف بصره في آخر عمره وله علم دقيق بالسحاب والمطر فكانت ابنته تقوده يوماً وقد سمع صوت رعد فقال لابنته: يا بنية أي شيء ترين؟ قالت سحماء عقاقة كأنها حولاء ناقة ذات هيدب دان وسير وان، فقال: أي بنية وائلي إلى قفلة فإنها لا تنبت إلا بمنجاة من السيل. كان حليفاً لبني عامر بن صعصعة وشهد معهم موقعة شعب جبلة التي وقعت في عام الفيل.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَمِنْ آلِ شَعثاءَ الحُمولُ البَواكِرُ مَع الصُبحِ قَد زالَت بِهِنَّ الأَباعِرُ).

[٣] هو الراعي النميري: عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري: شاعر من فحول المحدثين. كان من جلة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. وكان بنو نمير أهل بيت وسؤدد. وقيل:

ضعَيفُ العَصَا بادِي العروقِ تَرى لهُ عليها إذا ما أَمْحَل الناسُ إصبْعَا[١]

فأما قولُ الآخر[٢]:

صُلْبُ العصا بالضَّربِ قد دَمَّاها تحسِبُه مِن حُبِّها أخاها

يقول: ليتَ الله قد أفناها[٣]

فإنه قد أَلْغَزَ في هذا القول: وأراد بالضَّرب السَّيَر في البلاد في طلب الرَّعْي، ومعنى دمَّاها: صَيّرها كالدُّمَى سِمَنًا، جمع دُمْية، وأَفْناها: أنبت لها الفَنَا وهو فيما يقال الزُّعْرور[٤].

وقوله: أخلقُ من المال، معناه: خِلْوٌ عارٍ منه، وأصله في الشيء الأملس الَّذِي لا يُمسِك شيئًا، يقال: حَجَرٌ أخْلقُ، أي أملَسُ زلالٌ، وصخرة خَلقاءُ، قَالَ الشاعر[٥]:

كان راعي إبل، من أهل بادية البصرة. عاصر جريراً والفرزدق وكان يفضل الفرزدق، فهجاه جرير هجاءاً مراً. وهو من أصحاب (الملحمات) وسماه بعض الرواة: حصين بن معاوية.

[١] في ديوانه، وهو مطلع قصيدة يصف فيها راعياً كريماً يحسن رعي الإبل.

[٢] قيل هو الراعي النميري، وفي ديوانه: (صُلبُ العَصا بِضَرَبَةٍ دَمّاها إذا أَرادَ رَشَداً أَغواها).

[٣] أفناها أي: أنبت لها الفنا وهو عنب الذئب حتى تغزر وتسمن.

[٤] الزعرور: نبات، وقيل هو عنب الثعلب.

[٥] هو الأعشى.

قد يتركُ الدَّهرُ في خلقاءَ راسِيَةٍ وَهْيًا ويُنزِلُ منها الأعْصَمَ الصَّدَعا[١]

وفي رواية أخرى: "أَمَّا معاوية فإنه رجلٌ عائِلٌ" والعائِل الفَقير[٢]، يقال عال الرجل يَعِيل إذا افتقر، قَالَ الشاعر[٣]:

فَما يَدْري الفقيرُ مَتَى غِناهُ ولا يَدْري الغَنِيُّ مَتَى يُعِيلُ[٤]

وفي الحديث أنواع من الفِقه منها: إباحةُ تأدِيب النّساء، ولو كان غيرَ جائزٍ لم يذكر ذَلِكَ من فعله إلا مقرونًا بالنَّهي عنه والإنكار له، ومنها أن المالَ مُعْتَبرٌ في بَابُ المكافأة، وفيه دلالة على أنه إذا لم يجد نفقةَ أهلهِ وطَلَبتْ فِراقَه فُرِّق بينهما.

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (بانَت سُعادُ وَأَمسى حَبلُها اِنقَطَعا وَاِحتَلَّتِ الغَمرَ فَالجُدَّينِ فَالفَرعا).

[٢] ومنه قوله تعالى: (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ).

[٣] هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش الأوسي: شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم. كان سيد يثرب وكان له حصن فيها سماه المستظل وحصن في ظاهرها سماه الضحيان، ومزارع وبساتين ومال وفير. وكان سيد الأوس في الجاهلية. وكان مرابياً كثير المال أما شعره فالباقي منه قليل جدا. وفي كتاب الأغاني أن سلمى بنت عمرو العدوية كانت زوجة لأحيحة وأخذها بعده هاشم بن عبد مناف فولدت له عبد المطلب وبهذا تكون وفاة أحيحة قبل وفاة هاشم المتوفى نحو عام ١٠٢ قبل الهجرة.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (صَحَوتُ عَنِ الصِبا وَالدَهرُ غولُ وَنَفسُ المرءِ آمِنَةٌ قَتولُ).

وبلغني عن سفيانَ بن عُيَيْنَةَ أنه قَالَ لوكيع بن الجرّاح[١] وهو يُذاكِره: ما معنى قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الحَسَب الْمَالُ"[٢] فَقَالَ وَكِيعٌ: أراد أن الرجل إذا كان ذا مالٍ عَظَّمه الناسُ، فَقَالَ سفيانُ: ليس كذلك إنما هُوَ قول أهلِ المدينة: إذا لم يَجِد نفقةَ زوجتِه فُرِّقَ بَينهما.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَحْسَابُ أَهْلِ الدُّنْيَا الْمَالُ"[٣].

وَمِمَّا يُحْتَجُّ بِهِ فِي هَذَا الباب حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَلْيَبْدَأْ أَحَدُكُمْ بِمَنْ يَعُولُ، تَقُولُ امْرَأَةُ الرَّجُلِ: أَطْعِمْنِي أَوْ طَلِّقْنِي، يَقُولُ وَلَدُهُ: إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ يَقُولُ خَادِمُهُ اسْتَعْمِلْنِي وَأَطْعِمْنِي"[٤].

وفيه من الفقه جَوازُ نِكاح المولى القُرَشِيَّةَ.

---

[١] وكيع بن الجرّاح بن مليح بن عدي الرؤاسي (ت ١٩٦هـ): الإمام الحافظ محدث العراق أبو سفيان الرؤاسي الكوفي أحد الأعلام ولد سنة تسع وعشرين ومئة قاله أحمد بن حنبل واشتغل في الصغر. وهو شيخ الشافعي.

[٢] أخرجه الترمذي ٥/ ٣٩٠، وابن ماجة ٢/ ١٤١٠، وأحمد في مسنده ٥/ ١٠.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٣٥٣، ٣٦١، والنسائي في النكاح ٦/ ٦٤ عن سمرة.

[٤] أخرجه البخاري.

وفيه أيضًا بَابُ من الرُّخصَة ومذهبٌ لحَمْل الكلام عَلَى سَعَة المجاز؛ وذلك أنه قد روي في هذا الحديث من غير هذا الوَجْه أَنَّه قَالَ: "أما أَبو جَهْم فلا يَضَع عصاه عن عاتِقِه، وأما معاوية فصُعلوك لا مالَ له". وقد كان لا محالةَ يَضَعُها في حال من الأحوال، وقد كان لمعاوية مالٌ وإنْ قل.

وفيه أيضًا من الفقه جَوازُ ذكر ما في الإنسان من عَيْب إذا لم يُقصَد به الْمَذَمَّةُ له، وأنّ ذَلِكَ ليس من بَابُ الغِيبَة.

وفيه أيضًا من الفقه أن للمَبْتُوتَةَ[1] السُّكْنى، وذلك أنَّ النَّبِيّ عليه السلام قد أوجبَها لفاطمةَ بقوله: "اعْتَدِّي عند ابن أم مَكْتُوم". وكانوا لا يُكْرون المنازل[2] ويتبرعون بالإعارة، ثُمَّ إنه قد ذهب عليها معرفةُ السبب في نقله إيَّاها عن بيت أهلِها فتوهَّمْته إبطالًا لسُكْنَاها فقالت عند ذَلِكَ: لم يجعل لي النبي عليه السلام سُكنى ولا نَفَقَةً، فكان إخبارُها عن أَحَد الأمرين عِلمًا وعن الآخر وَهْمًا وهو السُّكنى، وبيَّن السَّبَبَ في ذَلِكَ سعيدُ بنُ الْمُسَيَّب؛ فعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ الْمُسَيِّبِ: أَتَخْرُجُ الْمُطَلَّقَةُ الثَّلاثَ مِنْ بَيْتِهَا؟ فَقَالَ: لا، قُلْتُ: فَأَيْنَ حَدِيثُ فَاطِمَةَ؟ قَالَ تِلْكَ امْرَأَةٌ فَتَنَتِ النَّاسَ كَانَتْ لَسِنَةً عَلَى أَحْمَائِهَا" يَتَأَوَّلُ قَوْلَ اللَّهِ {وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَاّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}.

---

[1] المرأة التي طلقها زوجها ثلاثاً وحرمت عليه حتى تتزوج رجلاً غيره.

[2] يؤجرونها.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ أَنْ تَبْدُأَ عَلَى أَهْلِهَا[١].

عن فُرَيْعَةَ وَهِيَ ابْنَةُ مَالِكٍ، قُتِلَ زَوْجُهَا بِطَرَفَ الْقَدُومِ[٢] فَأَتَتِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: زَوْجِي قُتِلَ وَأَنَا فِي وَحْشَةٍ: فَقَالَ لَهَا: "لا عَلَيْكِ أَنْ تَنْتَقِلِي" ثُمَّ قَالَ لَهَا: "تعالِيْ لا تبرحي حتى يبلغ الْكِتَابُ أَجَلَهُ"[٣].

وفي هذا الحديث من الفقه جَوازُ نَسْخ الشيء قبل تنفيذ العمل به.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الاسْتِجْمَارُ تَوٌّ[٤]، وَالسَّعْيُ وَالطَّوَافُ تَوٌّ، وَإِذَا اسْتَجْمَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَجْمِرْ بِتَوٍّ"[٥].

التَّوُّ مَعْنَاهُ: الْوِتْرُ، قَالَ أبو زيد: جاء فلان تَوًّا، إذا جاء قاصِدًا لا يُعَرِّجُه شَيءٌ، فإن أقام ببعض الطريق فليس بتوٍّ، يُريد أنه إذا قطَّع مَسِيرَه لم يكن سَيْرُه سيرًا واحدًا فيُعَدُّ وِتْرًا.

---

[١] يعني يفحش كلامها معهم ويقبح.

[٢] ثنية بالسراة، وهو بلد دوس.

[٣] أخرجه عبد الرزاق ٧/ ٣٣، وأبو داود ٢/ ٢٩١، والترمذي ٣/ ٤٩٩، ومالك ٢/ ٥٩١ وغيرهم.

[٤] يعني تَخفيفُ البَولِ والغائطِ بالأَحْجارِ- يكونُ تَوًّا، أي: وِترًا، وَهوَ ثلاثٌ.

[٥] رواه مسلم.

قَالَ الشَّعبيُّ[١]: دخَلتُ البصرةَ فرأيتُ حَلْقةً عظيمة في الجامع، وإذا هي حَلْقَةُ الأحنَف[٢] فسلَّمتُ وجلستُ، فَما مَضَتْ إلا تَوَّةٌ حتى قام الأحنف، في قِصَّة ذكرها. يريد بالتَّوَّةِ الساعةَ الواحدةَ. وقال ابن الأعرابي: العرب تقول لكل فردٍ: تَوٌّ، ولكل زَوجٍ: زَوٌّ[٣].

وقوله: "السَّعْيُ والطوافُ تَوٌّ" يُتَأَوّل عَلَى وجهين: أحدهما، وهو أظْهرُهما، أَنَّ الطَّوافَ سَبعةُ أَشْواط وكذلك السَّعْي سَبْعٌ وِتْرٌ غَيرُ شَفْعٍ، والوجه الآخر أن الطَّوافَ الواجبَ طوافٌ واحد لا يُثَنَّى ولا يكرر وكذلك السّعْيُ، سواء كان الْمُحرِم قارِنًا أو مُفرِدًا، ويؤيدُ هذا خَبرُ عائشة وقولُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها: "طوافُك بالبَيْتِ وسَعْيُك بين الصَّفَا والمروة يكفيكِ لحجّكِ وعُمرتك"[٤].

---

[١] عامر بن شراحيل الهمداني الشعبي الكوفي، المشهور بالإمام الشعبي (٢١ – ١٠٠ هـ): تابعي وفقيه أهل العراق، ومحدث من السلف، ولد في خلافة عمر بن الخطاب.

[٢] الأحنف بن قيس بن معاوية بن الحصين التميمي البصري (نحو ٢٠ ق هـ – ٧٢ هـ): سيد تميم البصرة كلها، أحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. يضرب له المثل في الحلم، قال الواقدي:«وإلى الأحنف أسني الحلم والسؤدد»،وقال الذهبي عنه:«الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين، الأمير الكبير، العالم النبيل أبو بحر التميمي، أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل». ولد في البصرة وأدرك النبي ولم يره.

[٣] وفي لسان العرب: وأَتْوَى الرجلُ إِذا جَاءَ تَوّاً وحْده، وأَزْوَى إِذا جَاءَ مَعَهُ آخرُ.

[٤] أخرجه أبو داود ٢/ ١٠٨.

– فِي حَدِيثِ النبي عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: "لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الصَّقُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلا عَدْلًا"[١].

الصَّقُورُ تَفْسِيرُهُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ الدَّيُّوثُ، وسألتُ أبا عُمَر[٢] عن هذا الحرف فلم يعرفه، ثُمَّ بلغني عنه بعدُ أنه كان يُثْبِته ويذكره عن أبي العباسُ ثَعْلب.

وعن ابن الأعرابي أنه قَالَ: الصَّقْرُ القِيادة[٣] عَلَى الحُرَم، ومنه الصَّقَّار الَّذِي جاء في الحديث، قال أبو العباس: وأخبرني سَلَمةُ عن الفراء أنه قَالَ: الصَّقَّارُ اللَّعَّان لغير المستحِقّين، والصَّقَّار الكافر، والصَّقَّارُ الدَّيّاثُ، قَالَ: وقرأتُ بخط شَمِر في كتاب غريب الحديث له أنّ الصَّقَّار النَّمّام.

وعن ابن الأعرابي قَالَ: والمماذِل الديّوث، وهو القُنذُع أيضًا.

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَزِمْتُ السِّوَاكَ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُدْرِدَنِي"[٤].

---

[١] ضعف الألباني إسناده في السلسلة الضعيفة:٦٠٥٠. وتمام الرواية: (قلنا : يا رسولَ اللهِ ! وما الصقورُ؟ قال: الذي يُدخلُ على أهلِه الرجالَ).

[٢] أبو عمر الزاهد غلام ثعلب.

[٣] القيادة: الدياثة، ومنها القوّاد.

[٤] أخرجه البزار (٦٩٥٢). وصححه الألباني في صحيح الترغيب وصحيح الجامع.

قوله: يُدْرِدُني، أي يُحفي أسناني ويُذهِبها فَيترُكُني أَدْرَدَ، قَالَ الأصمعيّ: الدَّرَدُ أن تسقطَ الأسنان، واللَّطَع قَرِيب من الدَّرَد، وهو أن يذهَب السِّنُّ ويَبقى سِنْخُه، والدَّرادِرُ مغَارِزُ الأسنان، واحدها دُرْدُر، وفي بعض الأمثال "أعيَيْتِني بأُشُرٍ فكيف بدُرْدُرٍ"[١]، يقول: لم تَقْبلِي الريّاضةَ وأَنت شَابَّةٌ فكيف أرجوها منك بعد الهَرَم؟ قَالَ جرير[٢]:

تلقَى الفَتاةُ مِنَ الشُّيوخ بَلِيَّةً ويَقلْنَ أُف لِكُلِّ شَيْخ أَدْرَدَا[٣]

وَهَذَا كَحَدِيثِهِ الآخَرِ: "أَوْصَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالسِّوَاكِ حَتَّى خِفْتُ عَلَى عُمُورِي"[٤].

---

[١] في مجمع الأمثال للميداني: أصل ذلك أن رجلاً أبغض امرأتَه وأحبَّته، فولدتْ له غلاماً، فكان الرجل يقبّل دردرَه، وهو مُغْرِزُ الأسنان، ويقول: فَدَيْتُ دُرْدُرَك، فذهبتِ المرأةُ فكسرتْ أسنانَها، فلما رأى ذلك منها قال: أعْيَيْتِني بأشُرٍ فكيف بدُرْدُرٍ؟ فازداد لها بُغضاً، والأشُرُ: تحزيز الأسنان، وهو تحديد أطرافها، قال أبو زيد: معنى المثل: أنك لم تَقْبَلِي الأدبَ وأنتِ شابة ذاتُ أُشُر في أسنانك، فكيف الآن وقد أسنَنْتِ؟

[٢] أَبُو حَزْرَةْ جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفي بن بدر الكلبيّ اليربوعي، من تميم: أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة. وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم – وكان هجاءاً مرّاً – فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. وكان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها معاوية بن هشام بن عبد الله ومطلعها: (أمسى فؤادك ذا شجون مقصدا ... لو أنَّ قلبك يستطيع تجلُّدا).

[٤] انظر: الغريبين في القرآن والحديث للهروي، أبي عبيد.

العُمُورُ: اللّحمُ بين الأسنان، والواحِدُ عُمْرٌ وعَمْرٌ، قَالَ الشاعر[١]:

بانَ الشَّبَابُ وأخلَفَ العَمْرُ وتَغَيَّرَ الإخوانُ والدهرُ[٢]

أخلف: تغيَّر.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ: "لَزِمْتُ السِّوَاكَ حَتَّى كِدْتُ أُحْفِي فَمِي"[٣]، يريد بالفم الأسنان، وهذا مثلُ قولِه للعباس: "لا فَضّ اللهُ فاكَ".

وعن ابن الأعرابي في قولهم: لا يَفْضُضِ الله فَاكَ قَالَ: أَرادَ لا يكسِر الله أسنانَك التي في فيك، فحذف؛ لعلْم المخاطَب، كما يقال: يا خيلَ الله اركبي، يراد يا ركَّاب خيل الله اركبي.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ إِلَى أُحُدٍ جَعَلَ نِسَاءَهُ فِي أُطُمٍ، قَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: فَأَطَلَّ عَلَيْنَا يَهُودِيٌّ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ

---

[١] هو ابن أحمر: عمرو بن أحمر بن العمرَّد بن عامر الباهلي، أبو الخطاب: شاعر مخضرم، عاش نحو ٩٠ عاماً. كان من شعراء الجاهلية، وأسلم. وغزا مغازي في الروم، وأصيبت إحدى عينيه. ونزل بالشام مع خيل خالد بن الوليد، حين وجهه إليها أبو بكر. ثم سكن الجزيرة. وأدرك أيام عبد الملك بن مروان. له مدائح في عمر وعثمان وعليّ وخالد. ولم يلق أبا بكر. وهجا يزيد بن معاوية، فطلبه يزيد ففرّ منه. كان يكثر من الغريب في شعره.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (عوجوا فَحَيّوا أَيُّها السَفرُ أَم كَيفَ يَنطِقُ مَنزِلٌ قَفرُ).

[٣] أخرجه ابن ماجه ١/ ١٠٦ بألفاظ متشابهة.

فَضَرَبْتُ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ رَمَيْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَتَقَضْقَضُوا وَقَالُوا: لَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَتْرُكْ أَهْلَهُ خُلُوفًا"[١].

الأُطُم: الحِصْن المبني بالحجارة، والجمع الآطام.

وأَطَلَّ أي أشرفَ.

وقوله: تَقَضْقَضُوا، أي تفرَّقوا، وأصله تَقَضَّضُوا، من القَضِّ، وهو كَسْر الشيءِ وتَفرِيقُ أجزائه، ومن مذهبهم إدخالُ الحرف بين الحَرْفَين من جِنْسٍ واحد كراهةَ اجتماعِهما، وأكثرُه في المضعَّف.

والقَضَض والقَضَّةُ: ما تَفَتَّت من الحَصَا.

وأنشدنا أبو عُمَر عن أبي العباس ثَعْلب يَصِف دَلوًا:

قد سقطتْ في قَضَّةٍ مِن شَرْجِ ثُمَّ استَقَلَّتْ مِثل شِدْقِ العِلْجِ

يريد أنَّها سَقَطتْ عَلَى حجارة لا ماءَ فيها، والشَّرْجُ مجرى الماء، وشَبَّهها بشِدْق العِلْج لانضمامها، والعِلْجُ الحمار.

وأخبرنا ثعلب عن الكوفيين والمبرِّد عن البصريين قَالُوا: القِضَّةُ بالكسر عُذرَةُ الجارية[٢]، والقُضَّةُ بالضم العَيْبُ، والقَضَّةُ بالفَتْح الحَصَا الصِّغار.

---

[١] ذكره الهيثمي في مجمعه ٦/ ١١٤، والطبراني في الكبير والوسط.

[٢] العذرة: الغائط.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ ثَوْبَانَ فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزًا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ، فَلا يَزَالُ يَتْبَعُهُ حَتَّى يُلْقِمَهُ يَدَهُ فَيُقَضْقِضُهَا"[١]، أَيْ يُقَطِّعُهَا" ويقال: أسدٌ قَضْقَاض، وهو الَّذِي يُكسِّر الفَرِيسة ويُقَطِّعها، قَالَ رؤبة[٢]:

كَمْ جاوَزَتْ مِن حَيَّةٍ نَضْنَاضِ وأَسَدٍ فِي غِيلِهِ قَضْقَاضِ

وقوله: لم يترك أهلَه خُلُوفًا، أي لم يُخَلِّفْهن لا حامِيَ لهن ولا رجلَ معهن، يقال: الحَيُّ خُلوفٌ، إذا خَلَّفوا أثقالَهم وخرجوا في رَعْيٍ أو سَقْيٍ أو نحو ذلك، ويقال: أخلف الرجلُ، إذا استقى الماء واستخلف مِثلَه، قَالَ ذو الرُّمَّةِ[٣] يصِف القَطا:

---

[١] أخرجه ابن حبان، انظر موارد الظمآن /٢٠٥، وذكره المنذر في الترغيب ١/ ٥٤٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٦٤ برواية "فيقضمها" بدل "فيقضقضها".

[٢] في ديوانه من أرجوزته التي يمدح فيها بلال بن أبي بردة، ومطلعها: (أَرَّقَ عَيْنَيْكَ عَنِ الغماضِ بَرْقٌ سَرَى في عارِضٍ نَهّاضِ).

[٣] ذُو الرُّمَّة: غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر: شاعر، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. وكان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. وكان مقيماً بالبادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيراً. وامتاز بإجادة التشبيه. قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته: (ما بال عينك منها الماء ينسكب) لكان أشعر الناس.

ومستَخْلِفاتٍ مِن بلادِ تَنُوفَةٍ لِمِصْفَرَّةِ الأَشْداقِ حُمرِ الحواصلِ[١]

وأنشدنا أَبو عُمَر أنشدنا أبو العباس عن سَلَمَة عن الفرّاء[٢]:

ويَهْمَاءَ يَسْتافُ التّرابَ دَلِيلُها وليس بها إلا اليَمانِيَّ مُخْلِقُ[٣]

يريد أنهم إذا عَطِشوا بَقَرُوا بالسيوف بُطونَ الإبل فشرِبوا ما في أكراشها.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "اتقوا الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ"[٤].

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (خَليلَيَّ عوجا مِن صُدورِ الرَواحِلِ بِجُمهورِ حُزوى فَابكِيا في المنازِلِ). ومعنى مستخلفات: قطاً يحملن الماء في حواصلهن. و"المستخلف": المستقي لأهله. "حمر الحواصل" يعني: فراخ القطا.

[٢] هو لبشار: بشار بن برد بن يرجوخ العُقيلي (٩٦ - ١٦٨ هـ): إمام الشعراء المولدين. ومن المخضرمين حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية. ولد أعمى، وكان من فحول الشعراء وسابقيهم المجودين. كان غزير الشعر، سمح القريحة، كثير الافتنان، قليل التكلف، ولم يكن في الشعراء المولدين أطبع منه ولا أصوب بديعا، اتهم في آخر حياته بالزندقة فضرب بالسياط حتى مات.

[٣] في ديوانه، وهو أول بيتين، والآخر: (تجاوزتها وحدي ولم أرهب الردى دليلي نجم أو حوار محلّقُ)

[٤] رواه أبو داود وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ[١] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اتَّقُوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَ: الْبَرَازَ[٢] فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ"[٣].

الْمَوَارِدُ: الطُّرُقُ إِلَى الْمَاءِ، وَاحِدُهَا مَوْرِدَةٌ، بِالْهَاءِ، وإنّما تأولناهُ عَلَى الْمَشارِعِ وطُرُقِ الماء – وإن كانت شوارعُ الطّرق قد تُسمَّى الموارِدَ أيضًا – لأنَّ ذِكرَ قارعةِ الطَّرِيق قد جاء مقرونًا به في الخَبَر فلم يكن في إعادته فائدة، وقال جرير[٤]:

أميرُ المؤمنينَ عَلَى صِراطٍ إذا اعوَجَّ الْمواردُ مُسْتَقيمِ

---

[١] معاذ بن جبل (المتوفي سنة ١٨ هـ): صحابي وفقيه وقارئ القرآن وراوي للحديث النبوي من الأنصار من بني أدّى من بني جشم بن الخزرج، أسلم وهو ابن ١٨ سنة، وشهد بيعة العقبة الثانية، ثم شهد مع النبي المشاهد كلها، واستبقاه في مكة بعد فتحها ليُعلّم الناس القرآن ويفقههم، ثم بعثه عاملاً له في اليمن بعد غزوة تبوك. وبعد وفاة النبي شارك معاذ في الفتح الإسلامي للشام، وتوفي في الأردن في طاعون عمواس.

[٢] البراز: اسم للفضاء الواسع، فكنوا به عن الغائط كما كنوا عنه بالخلاء لأنهم كانوا يتبرزون في الأماكن الخالية من الناس.

[٣] رواه أبو داود، وصحح الألباني إسناده.

[٤] في ديوانه من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك، مطلعها: (أَلُمتِ وَما رَقُقتِ بِأَن تَلومي وَقُلتِ مَقالَةَ الخَطِلِ الظَلومِ).

والوارِدُ: الطريقُ أيضًا، قَالَ لبيد[١]:

ثُمَّ أصدرْناهما في واردٍ صادرٍ وَهْمٍ صُواهُ قد

وعن عَبْد اللَّهِ بْن عَبَّاسٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اتَّقُوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمَلَاعِنُ؟ قَالَ: "يَقْعُدُ أَحَدُكُمْ فِي ظِلٍّ يُسْتَظَلُّ فِيهِ أَوْ فِي طَرِيقٍ أَوْ نَقْعِ مَاءٍ"[٣].

والنَّقْع: مُسْتَنْقَعُ الْمَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: إِنَّهُ لَشَرَّابٌ بِأَنْقُعٍ، جَمْعُ النَّقْعِ، وَالْمَلاعِنُ جَمْعُ مَلْعَنَةٍ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مَلاعِنَ للعْن الناسِ فاعلَها.

---

[١] لَبِيْدُ بْنُ رَبِيْعَةِ بْنُ مَالِكٍ العَامِرِي (توفي ٤١ هـ): صحابي وأحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، عمه ملاعب الأسنة وأبوه ربيعة بن مالك المكنى بـ«ربيعة المقترين» لكرمه. من أهل عالية نجد، مدح بعض ملوك الغساسنة مثل: عمرو بن جبلة وجبلة بن الحارث. أدرك الإسلام، ووفد على النبي مسلما، ولذا يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا. سكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات.

[٢] في ديوانه من قصيدة يتحدّث فيها عن مآثره ومواقفه ويأسى لفقد أخيه أربد مطلعها: (إنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيرُ نَفَلْ ... وبإذْنِ اللهِ رَيْثي وعَجَلْ) والوارد: الطريق، وكذا الصادر. والوهْم: أي الواسع الضخم. الصوى: حجارةٌ أعلام للطريق.

[٣] أخرجه أحمد (٢٧١٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب: ١/١١٠، ولا يتطرق إليه احتمال التحسين.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ بَعَثَ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الأَقْلَحِ[١] وَخُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ[٢] فِي أَصْحَابٍ لَهُمَا إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَتَخَبَّرُونَ لَهُ خَبَرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالرَّجِيعِ[٣] اعْتَرَضَتْ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ مِنْ هُذَيْلٍ فَقَالَ عَاصِمٌ:

مَا عِلَّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلُ وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُنَابِلُ
تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ وَالْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ

وَضَارَبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى قُتِلَ، وَأَسَرُوا خُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ فَكَانَ عِنْدَ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ، فَلَمَّا أَرَادُوا قَتْلَهُ قَالَ لامْرَأَةِ عُقْبَةَ: أَبْغِينِي حَدِيدَةً أَسْتَطِيبُ بِهَا،

---

[١] عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح (المتوفي سنة ٤ هـ): صحابي من الأنصار من بني ضبيعة بن زيد من الأوس، بايع النبي بيعة العقبة، وشهد معه غزوتي بدر وأحد، وقُتل يوم الرجيع.

[٢] خُبيب بن عَدِي (المتوفي سنة ٤ هـ): صحابي من بني جحجبا بن كلفة من الأوس، شهد غزوة بدر وشارك في غزوة أحد، ثم شارك في سرية المنذر بن عمرو التي بعثها النبي إلى أهل نجد ليُعلموهم القرآن، فأُحيط بهم، وقُتل معظمهم، ووقع خبيب في الأسر، فباعوه إلى أناس من مكة، فأخذه أبو سروعة عقبة بن الحارث ليقتُله بأبيه الذي قُتل في بدر. فخرج به إلى التنعيم، ثم استأذنهم في صلاة ركعتين قبل أن يقتلوه، فأذنوا له، فكان أول من استنّ سُنّة الصلاة قبل القتل صبرًا.

[٣] الرَجيع مورد ماء يعرف اليوم باسم «الوطية» يقع شمال مكة على قرابة سبعين كيلو.

[٤] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ذِكْرُ يَوْمِ الرَّجِيعِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ.

فَأَعْطَتْهُ مُوسَى فَاسْتَدَفَّ بِهَا، فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَرْفَعُوهُ إِلَى الْخَشَبَةِ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا[١].

قولُه: ما عِلَّتي؟ يقول: ما عُذْرِي في تَرْكِ القِتال وأنا جَلْدٌ ومَعِي سِلاح، يقال: رجلٌ نابِلٌ، إذا كان معه نَبْل، وهي السّهام العربية، اسم جماعة، فإذا أرادوا الواحد منها قَالُوا سَهْم، كما قيل لواحد النساء: امرأة.

وقوله: وترٌ عُنَابل، معناه مَتِين صُلْب، يقال في الوَاحِد: عُنابِل، بضَم العين، وفي الجميعِ: عَنَابل، بفتحها، لأن فُعالِل تُجمَع عَلَى فَعَالل، كما قَالُوا: جُوَالق، وفي الجمع: جَوَالق.

والْمَعَابِلُ: النِّصال العَرِيضَة التي لا عَيْرَ لها[٢]، وعَيْرُها المرتَفِع منها في وَسَطِها، واحدتها مِعْبَلَة، قَالَ الشاعر[٣]:

وآخَرَ منهمُ أجررْتُ رُمحي وفي البَجْلِيِّ مِعْبَلَةٌ وقِيعُ[٤]

---

[١] ذكر القصة البخاري في ٥/ ١٣٢، وابن هشام في ٣/ ٩٣ وغيرهما مفصلة بسياق آخر. وانظر البداية والنهاية ٤/ ٦٢ – ٦٧.

[٢] العَيْرُ من النَّصْلِ: الخطُّ البارزُ في وسَطِه طُولاً.

[٣] هو عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي (٥٢٥ م – ٦٠٨ م) أحد أشهر شعراء العرب قبل الإسلام، اشتهر بشعر الفروسية، وله معلقة مشهورة. وهو أشهر فرسان العرب وأشعرهم وشاعر المعلقات والمعروف بشعره الجميل وغزله العفيف بعبلة.

[٤] في ديوانه من مقطوعة مطلعها: (خُذوا ما أَسأَرَتْ مِنها قِداحي وَرِفدُ الضَيفِ وَالأَنَسُ الجَميعُ).

يقال: أجررتُ الرَّجُلَ الرَّمحَ، إذا طعنتَه به فتركتَه فيه، وقال آخر[١]:

فهذا أَوانُ الشِّعْرِ سُلَّتْ سِهامُهُ مَعابلُها والمرهَفاتُ السلاجمُ[٢]

وقوله: أَستَطِيب بها، يُرِيد الاحْتلاقَ، وسمَّاه استطابةً لِمَا فيه من إزالة الأَذَى وطَهارةِ البَدَن، كالاستِنجاء يُسَمِّيه أَهلُ الحجاز استطابةً لهذا الْمَعْنى، ومن هذا قوله: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} أي طاهرًا، وسَمَّى رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينَة: طابَةً، يُرِيد أنّها طاهرة من الخُبْثِ والنِّفاق.

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيبُهَا"[٣].

---

[١] انظر: شروح الحماسة.

[٢] وقوله: فهذا أوان الشعر سلت سهامه، يعني شعره. فيقول: لكل زمان شيء يظهر فيه ويغلب، وزماننا هذا مع قرضك للشعر زمان الشعر، وقد انتزعت سهامه من كنايتها بعد أن نثرت، فجرت للرمي بها معابلها، وهي العراض، وسلاجمُها وهي الطوال. المرهفات: المرفقات الحد. والمراد بهذا التنويع فنون الشعر وأساليبه. أي أنت فيه ذو فنون.

[٣] رواه البخاري، وفيه قصة: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى الإِسْلَامِ، فأصَابَ الأَعْرَابِيَّ وعْكٌ بالمَدِينَةِ، فَجَاءَ الأَعْرَابِيُّ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فأبَى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ جَاءَهُ فَقالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فأبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فأبَى، فَخَرَجَ الأَعْرَابِيُّ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّمَا المَدِينَةُ كَالكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، ويَنْصَعُ طِيبُهَا.

وقوله: استَدَفَّ بها، يُرِيد حَلْقَ الشَّعْر واستِئصالَه، وهو مأخوذ من قولك: دافَفْتُ الرجلَ، أُدَافُّه، وهو إجهازُك عليه، ويقال في معناه: استَعان الرَّجلُ، إذا حَلقَ عانَتَه. ويُذكَر عن بشْر بن عَمْرو بن مَرْثد[١] أَنَّه حِينَ أُرِيد قَتلُه قَالَ: أَجِيرُوا لي سَراويلي فإني لم أَستَعِن، ومنه قول الشاعر يصف سائلًا شَبَّهه بالقُراد:

مِثلَ البُرامِ غَدَا في أُصْدَةٍ خَلَقٍ لم يَسْتَعِنْ وحَوامي الْمَوْتِ تَغْشاهُ[٢]

وقوله: اقتُلْهم بَدَدًا، أي متفرقين واحِدًا واحدًا، ومَن رواه بِدَدًا فإنه جمع بِدَّة وهي الحِصَّة، كأنه قَالَ: اجعَلْه أَقسامًا وحصصًا على السواء بينهم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ كَانَ إِمَامَ قَوْمِهِ، فَمَرَّ فَتًى مِنْهُمْ بِنَاضِحِهِ[٣] يُرِيدُ سَقِيَّتَهُ، فَأُقِيمَتِ الصَّلاةُ، فَدَخَلَ مَعَهُمْ فَطَوَّلَ

---

[١] بشر بن عمرو بن مَرثَد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن ربيعة بن نزار: شاعر جاهلي قديم، له شعر في المفضليات.

[٢] انظر: تهذيب اللغة للأزهري، وفيه: قال يصف سائلاً شبَّهه بالبُرَام وهو القُرَاد : لم يستعِن يقول : لم يحلق عانته ، وحوامي الموت وحوائمه : أسبابه.

[٣] الناضح البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء.

مُعَاذٌ، فَصَلَّى الْفَتَى ثُمَّ خَرَجَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ: "يَا مُعَاذُ أَعُدْتَ فَتَّانًا! إِذَا كُنْتَ إِمَامًا لِلنَّاسِ فَخَفِّفْ"[١].

السَّقِيَّةُ: النَّخْل التي تُسقَى بالسَّوانِي[٢]، قَالَ امرؤُ القَيْس[٣]:

وكَشْحٍ لَطِيفٍ كالجديلِ مُخَصَّرٍ وساقٍ كأُنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُذَلَّلِ[٤]

وقوله: أَعُدْتَ فَتَّانًا؟ معناه: أَصِرتَ فَتَّانًا، يقال: عَادَ فلان يَفعَل كذا أي صارَ يَتعاطاه، ومن هذا قوله: {حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} أي صَار كالعُرجُون، قَالَ الشاعر[٥]:

---

[١] أخرجه البخاري (٧٠١)، ومسلم (٤٦٥)، وأبو داود (٧٩٠)، والنسائي (٨٣٥)، وابن ماجه (٩٨٦)، وأحمد (١٤٣٠٧)، وكلهم بألفاظ متقاربة.

[٢] سَوانِي :جمع سانِيَة، وهي الساقية.

[٣] في معلقته الشهيرة.

[٤] اللطيف: الصغير الحسن، والجديل زمام من السيور مجدول ومفتول فيجيء حسنًا لينًا ينثني والأنبوب البردي الذي ينبت وسط النخلة، والسقيّ النخل المسقي، كأنه قال كأنبوب النخل المسقي والمذلل.

[٥] نسبه ابن قتيبة في عيون الأخبار إلى ابن الدّمينة الثقفيّ: ابن الدّمينة الثقفي هو عبد الله بن عبيد الله بن تيم الله، من خثعم، والدمينة أمه. كان شاعرًا بدويًا من أرق الناس شعرًا. وأكثر شعره في الغزل والنسيب والخمر.

أَطَعتُ العِرْسَ في الشّهواتِ حتى أعادَتْني عَسِيفًا عَبْدَ عَبْدِ[١]

وقال أبو الصَّلْت الثَّقَفِيّ[٢]:

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ مِن لبنٍ شِيبَا بِماءٍ فعادا بَعدُ أبْوالَا[٣]

ومنه قَوْلُ كَعب[٤]: وَدِدْتُ أنّ هذا اللّبنَ يعود قَطِرانًا، فقيل: لِمَ يا أبا إسحاق؟ قَالَ: تَتَبَّعَتْ قُرَيشٌ أَذنابَ الإبِلِ في الشِّعاب وتركوا الجماعات[٥].

وفيه من الفِقْه أنَ خُروجَ المرء من صَلاةِ إمامِه لِعُذْرٍ لا يُفسِد صَلاتَه.

---

[١] والعرس هي الزوجة، والعسيف: الأجير. وبعد هذا البيت: (إذا ما جئتُها قد بعتُ عذقًا ... تعانق أو تقبّل أو تفدّي).

[٢] أبو الصلت والد أمية بن أبي الصلت الثقفي، شاعر جاهلي ومن رؤساء ثقيف، اشتُهر ابنه أمية بالحنيفية والتوحيد وكان من الدعاة إلى نبذ الأصنام وتوحيد الإله وكان أحد شعراء ثقيف وشرفائها كما كان أبوه من قبله أحد زعماء ثقيف بالطائف.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها أهل فَارس حِين قتلوا الْحَبَشَة فى كلمة قَالَ فِيهَا: (لله درهم من عصبَة خَرجُوا ... مَا إن ترى لَهُم فى النَّاس أَمْثَالا).

[٤] هو كعب الأحبار: كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق (نحو ٧٢ ق هـ – ٣٢ هـ): أخباريّ عالم بسِيَر الأنبياء والرُّسل. كان يهودياً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام. أسلم في خلافة أبي بكر الصِّديق، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة وكثيراً من «الإسرائيليات». خرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن مئة وأربع سنين.

[٥] انظر: الغريبين في القرآن والحديث للهروي، أبي عبيد.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنِ اتَّخَذَ قَوْسًا عَرَبِيَّةً وَجَفِيرَهَا نَفَى اللَّهُ عَنْهُ الْفَقْرَ"[١].

الجَفيرُ الكِنانَة، قَالَ عَنْتَرَةُ[٢]:

وما يَدرِي جُرَيَّةُ أَنَّ نَبْلِي يكون جَفِيرَها البَطَلُ النَّجِيدُ[٣]

وقال آخر[٤]:

وفي جَفِيرِ النَّبْلِ حَشْراتُ الرشَقْ

وخَصَّ القَوْسَ العربيةَ لكراهِيتهِ زيَّ العَجَم.

ويروى: "أنه رأى رَجُلًا ومعه قوسٌ فارِسِيَّةٌ فَقَالَ: أَلْقِها"[٥].

---

[١] انظر: معجم شيوخ ابن الأعرابي: ١١٤٢. وأحاديث القسيّ كلها ضعيفة الإسناد.

[٢] أَبُو الْفَوَارِسْ عَنْتَرَة بْنْ شَدَّادْ بْنْ قُرَادِ الْعَبْسِيّ (٥٢٥م - ٦٠٨م) فارِس عَرَبي يُعَد من أشهر شُعراء فَترة ما قبل الإسلام. أشتهرَ بِشعر الفُروسية، وبِغَزلِهِ العَفيف مَع مَعشوقَته عبلة وهو أحد أغربة العرب الثّلاثة: (عنترة، وأمّه زبيبة، وخفاف بن عُمير الشّريديّ، وأمّه ندبة، والسُّليك بن عمرو السّعديّ، وأمّه سُلُكة).

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تَرَكتُ جُرَيَّةَ العَمرِيَّ فيهِ شَديدُ العَيرِ مُعتَدِلٌ سَديدُ). ومعناه أن النبل إذا وقعت في جوف أحدهم صار كالجعبة لها، والنجيد: الشجاع.

[٤] هو رؤبة في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (وقاتِمِ الأَعْماقِ خاوِي المخْتَرَقْ مُشْتَبِهِ الأَعْلامِ لَمّاعِ الخَفَقْ).

[٥] قال الألباني في هداية الرواة ٣٨١٤: إسناده ضعيف جداً.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُمْ حَاسُوا الْعَدُوَّ ضَرْبًا يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى أَجْهَضُوهُمْ عَنْ أَثْقَالِهِمْ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ جَمِيعَ اللأمةِ كان يحوز الْمُسْلِمِينَ وَيَقُولُ: اسْتَوْسِقُوا كَمَا يَسْتَوْسِقُ جُرْبُ الْغَنَمِ، فَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ ضَرْبَةً بَلَغَتْ وَرِكَه"[١].

قَوْلُهُ: حَاسُوا الْعَدُوَّ ضَرْبًا: أَيْ أَسْرَعُوا إِلَيْهِمْ بِالضَّرْبِ، وَالْحَوْسُ الإِقْدَامُ وَالتَّسَرُّعُ؛ يُقَالُ: رَجلٌ أَحْوَسُ، أَيْ مِقْدَامٌ لا يَرُدُّهُ شَيْءٌ، وَحَكَى ابْنُ السِّكِّيتِ عَنِ الأَصْمَعِيِّ قَالَ: يُقَالُ: تَرَكْتُ فُلانًا يَحُوسُ بَنِي فُلانٍ وَيَحُوسُهُمْ وَيَدُوسُهُمْ، أَيْ يَطَؤُهُمْ، فَأَمَّا الْحَسُّ فَهُوَ الْقَتْلُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ}.

وَمَعْنَى أَجْهَضُوهُمْ: نَحَّوْهُمْ وَبَعَّدُوهُمْ وَطَرَدُوهُمْ، وَالأَصْلُ فِي الإِجْهَاضِ الإِزْلاقُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلسِّقْطِ: جَهِيضٌ.

وَاللأْمةُ: الدِّرْعُ، تُجْمَع عَلَى اللُّؤَمِ، عَلَى غَيْرِ قياس، ويحوزُ الْمُسْلِمِينَ: أَيْ يَسُوقُهُمْ.

وَقَوْلُهُ: اسْتَوْسِقُوا، مَعْنَاهُ: اجْتَمِعُوا وَانْضَمُّوا، يَسُومُهُمُ الانْقِيَادَ وَالاسْتِسْلامَ، يُقَالُ: اسْتَوْسَقَتِ الإِبِلُ، إِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي صِرْمَةَ الأَنْصَارِيِّ[٢]:

---

[١] انظر: مغازي الواقدي، غزوة أحد.

[٢] مالك بْن قَيْس أَبُو صرمة الأَنْصَارِيّ، مشهور بكنيته. وَهُوَ معدود فِي أهل المدينة.

إِنَّ لَنَا قَلائِصًا نَقَانِقا مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدن سَائِقا[١]

شبَّهها بالظِّلمان لسرعتها، والنِّقنق: الظَّليم[٢]، وحَبْل العَاتِق: رِباطُ مَا بينه وبين المنكِب.

- وَفِي قِصَّةِ أُحُدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ عَلَى الرُّمَاةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ[٣] وَقَالَ: "إِنْ رَأَيْتُمُونَا يَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ"[٤].

قوله: يَخْطَفُنَا الطّيرُ، مَثَلٌ، والمعنى إن رأيتمونا قد انهزمنا وولَّينا فلا تَبْرَحوا، يقال: فلان ساكنُ الطَّيرِ وواقعُ الطَّير، إذا كان هادِئًا وَقُورًا، وضُرِبَ الْمَثَلُ بالطَّير لأنه لا يَقَع إلا عَلَى الشيء السّاكن.

---

[١] القلائص: جمع قلوص، وهي الفتية من الإبل. والحقائق: جمع حُقة، التي استحقت الحمل عليها، أو استحقت ضراب الفحل. ويقال: وسقه فاتسق واستوسق، أى: جمع عليه الأحمال فتحمل، أو جمعه فاجتمع. ومستوسقات:

محملات أو مجتمعات، واقفات إلى أن يجدن من يسوقهن فيسرن. والبيت منسوب أيضاً إلى طرفة بن العبد (انظر مسائل نافع بن الأزرق) وليس في ديوانه.

[٢] الظَّلِيمُ: ذَكَر النَّعَام، والجمع: ظلْمان.

[٣] عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة الأوسي الأنصاري. وكنيته أبو المنذر. ولد حوالي سنة ٣٥ قبل الهجرة، وهو من المسلمين الأوائل من الأنصار.

[٤] رواه البخاري.

ويقال للإنسان إذا طاش وأَسْرع: قد طار طَيْرُه، قَالَ لَقِيطٌ الإياديُّ[١]:

هُوَ الجَلاءُ الَّذِي يجتزُّ أَصلَكمُ إنْ طار طيرُكُمُ يومًا وإنْ وَقَعَا[٢]

يريد: إن أقمْتُم أَوْ سِرْتُم.

- وَفِي قِصَّةِ أُحُدٍ: "أَنَّهُ أَخَذَ الْحَرْبَةَ، فَزَجَلَ بِهَا أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ"[٣].

زَجَل بها: أي رَمَى بها، وأكثَرُ ما يقال ذَلِكَ في الشيء الرِّخوِ كالقَصَبة ونحوها.

---

[١] لَقيطِ بنِ يَعمُر بن خارجة الإيادي (٢٤٩ ق.هـ - ٣٨٠) شاعر جاهلي فحل، من أهل الحيرة، كان يحسن الفارسية واتصل بكسرى سابور (ذي الأكتاف)، فكان من كتابه والمطلعين على أسرار دولته ومن مقدمي مترجميه. يُعرف للقيطٍ قصيدتين، الأولى «سلام في الصحيفة من لقيط»، أما الأخيرة فهي «يا دارَ عَمْرةَ من مُحتلِّها الجرَعا»، وهي من غرر الشعر، بعث بها إلى قومه، بني إياد، ينذرهم بأن كسرى وجه جيشاً لغزوهم وسقطت القصيدة في يد من أوصلها إلى كسرى فسخط عليه وقطع لسانه ثم قتله.

[٢] قاله ينذر قومه ويحرضهم على كسرى حين بعث إليهم جيشًا: (يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غُيُرًا ... على نسائكمُ كسرى وما جمعا) من قصيدته الشهيرة (يا دارَ عَمرَةَ مِن مُحتَلِّها الجَرَعا هاجَت لِيَ الهَمَّ وَالأَحزانَ وَالوَجَعا).

[٣] أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٥/ ٣٥٦ في قصة طويلة.

- وفي قصة أُحُد أنّه قَالَ لأصحابه: "اليوم تُسَرَّوْن"[١]، سمعت أبا عمر[٢] يقول: معناه: اليومَ يُقْتَل سَرِيُّكم، فَقُتِل حَمْزَةُ، ويقال: تُشُرِّفَ القَومُ، إذا أُصِيب شَرِيفُهم، وتُكُمُّوا، إذا قُتِل كَمِيُّهم، وأنشد:

بَلْ لو شهِدْتَ القَومَ إذ تُكُمُّوا[٣]

ويقال: اسْتِيدَ القَومُ، إذا أُصِيبَ سَيِّدُهُم، واستِيدَ فيهم، إذا خَطَب إلى سادَتِهم، وأنشَدَ البَاهليُّ[٤]:

أرادَ ابنُ كُوزٍ والسَّفَاهَةُ كاسْمِها لِيَسْتَادَ مِنَّا أن شَتَوْنا لَيَالِيَا

تَبَغَّ[٥] ابنَ كُوزٍ في سِوانا فإنهُ غَذا الناسُ مذ جاء الرَّسولُ الجَوارِيَا

---

[١] انظر: الغريبين في القرآن والحديث للهروي، أبي عبيد.

[٢] أبو عمر الزاهد المعروف بغلامِ ثعلب: أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب، (٢٦١ - ٣٤٥ هـ): عالم لغوي، ومحدّث، سُمي بغلام ثعلب لملازمته شيخه في اللغة أبي العباس ثعلب، وكان علمه واسع بلسان العرب وكلامهم، له العديد من التصانيف أشهرها «ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن» المعروف بالياقوتة.

[٣] هو للعجاج في ديوانه، وهو مطلع الأرجوزة، وبعده: (بقَدَرٍ حمَّ لهم وحمُّوا وغُمَّةٍ لَوْ لَمْ تُفَرَّجْ غُمُّوا).

[٤] البيتان في شروح الحماسة لجُزْء بن كُلَيْب الفقعسي. وفي الشرح: وَقَوله ليستاد منا أَي يتَزَوَّج فِي سَادَاتنَا، وَقَوله أن شتونا أَي دَخَلنَا فِي الشتَاء، والشتاء الجدب، يُرِيد طلب منا الزواج فِي هَذَا الْوَقْت وَلَو كُنَّا فِي غير هَذَا الْوَقْت لما أمكنه أَن يجترئ على هَذَا.

[٥] تبغَّ: اطلبْ.

يريد أنهم تركوا وَأْدَ البنات[١].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَثَلُ الرَّافِلَةِ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا كَالظُّلْمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا نُورَ لَهَا"[٢].

الرَّافلَة في غير أهلها: الْمُتَبَرِّجَةُ بالزِّينة لغير زَوْجها، يقال: رَفَلَ الرجلُ إزارَه وأَغدفَ إزاره وأسبَلَه وأَذَالَه، إذا أرْخاه، والرَّفْل: الذَّيْل أيضًا، قَالَ الشاعر[٣] يمدح المهلَّب[٤]:

إذا نادى الشُّرَاةُ[٥] أبا سَعِيدٍ مَشَى فِي رَفْلِ مُحْكَمَةِ القَتِيرِ

وفيه أنّه لم يكره لها الزِّينةَ إذا كانت في أهلها.

---

[١] يعني قد كثرت البنات مذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يئدون، فانكح حيث شئت.

[٢] رواه الترمذي وضعف إسناده بقوله: (هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، يُضعَّف في الحديث من قِبل حفظه، وهو صدوق).

[٣] هو رجل من الخوارج، انظر: شعر الخوارج لعباس حسن.

[٤] أبو سعيد المهَلّب بن أبي صفرة بن سراق بن صبح العتكي الأزدي: والٍ من ولاة الأمويين على خراسان، استعمله الحجاج عاملاً على خراسان عام (٧٨هـ) وقام بفتوحات واسعة في بلاد ما وراء النهر فقد قاد المهلب حملة استولى من خلالها على إقليم الصغد وغزا خوارزم وافتتح جرجان وطبرستان.

[٥] الشراة: الخوارج الذين قالوا إنهم شروا أنفسهم.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الآخَرُ: "أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ تَعَطُّرَ النِّسَاءِ وَتَشَبُّهَهُنَّ بِالرِّجَالِ"[١] فوجهُه إن كان أَرادَ به العِطْرَ أن يكرهَه لَهُنَّ إذا كان لغَيْر أزواجهن، إلا أَني أُراه تَعَطُّلَ النِّساء، باللام، وقد تُبَدل اللامُ رَاءً لأَنهما أُخْتان في قُرب الْمَخْرج، كقولهم: سَمَل عينَه وسَمَر عَيْنَه، والتَّعَطُّل أن تكون المرأة عُطُلًا لا حُلِيّ عليها ولا خِضَابَ، يقال امرأة عُطُلٌ وعَاطِلٌ، قَالَ الشَّمَّاخ[٢]:

دارُ الفتاةِ التي كنّا نَقُول لها: يا ظَبْيَةً عُطُلًا حسَّانَةَ[٣] الجِيدِ[٤]

ويشهد بصحة هذا التأويل قولُه: وتشبههن بالرجال.

---

[١] في شرح صحيح البخاري لابن بطال: روى القعنبي، عن حسين بن عبد الله قال: (رأيت فاطمة بنت رسول الله وفى عنقها قلادة، وفى يدها مسكة فى كل يد، وقالت: كان رسول الله يكره تعطيل النساء وتشبههن بالرجال).

[٢] الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبقة لبيد والنابغة، كان شديد متون الشعر ولبيد أسهل منه منطقاً وكان أرجز الناس على البديهة، وتوفي في غزوة موقان.

[٣] حسّانة: حسنة.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (طالَ الثَواءُ عَلى رَسمٍ بِيَمئودِ أَودى وَكُلُّ خَليلٍ مَرَّةً مودي).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ نُقَادَةَ الأَسَدِيَّ[١] قَالَ يَا رسولَ الله إِنِّي رَجُلٌ مُغْفِلٌ فَأَيْنَ أَسِمُ؟ قَالَ: "فِي مَوْضِعِ الْجَرِيرِ مِنَ السَّالِفَةِ" قَالَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اطْلُبْ إِلَيَّ طَلِبَةً فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُطْلِبَكَهَا قَالَ: "أَبْغِنِي نَاقَةً حَلْبَانَةً رَكْبَانَةً غَيْرَ أَنْ لا تُوَلِّهَ ذَاتَ وَلَدٍ عَنْ وَلَدِهَا"[٢].

قَوْلُهُ: إِنِّي رَجُلٌ مُغْفِلٌ: يُرِيدُ أَنَّهُ صَاحِبُ إِبِلٍ أَغْفَالٍ، وَالأَغْفَالُ هِيَ الَّتِي لا سِمَةَ[٣] عَلَيْهَا.

قَالَ الأصمعيّ: الأَطلاق من الإِبِل التي لا عُقُلَ[٤] عليها، والأَعْطال التي لا أَرسانَ[٥] عليها. وقال الكسائِي: الباهلُ من الإبل التي لا سِمَة عليها، قَالَ:

---

[١] نُقَادَةُ بْنُ سَعْرٍ الْأَسَدِيُّ: له صحبة، معدود في أهل الحجاز، سكن البادية، ونزل البصرة، يكنى أبا بهيسة.

[٢] روى ابن أبي حاتم هذا الحديث في كتاب العلل (١٤١٥) بألفاظ قريبة من هذا وقال: وسألتُ أَبِي عَنْ (هذا الحديث ورواته) فقَالَ أَبِي: هَذَا حديثٌ مُنكَرٌ، وهؤلاءِ مَجْهُولُونَ.

[٣] علامة.

[٤] قيود.

[٥] اللجام. والمفرد منها: الرسَن.

والجَمعُ الْمَبَاهِيلُ. والجَرِيرُ: الزِّمامُ، والسَّالِفَةُ: مُقَدَّمُ صَفْحَةِ العُنُق، وسُمِّيت سالِفَةً لأنَّها تتقَدَّم البَدَنَ، قَالَ الشاعر[١]:

إنّا لنَصْفَحُ عن مَجاهِلِ قومِنا ونُقِيمُ سالِفَةَ العَدُوِّ الأَصْيَدِ[٢]

وسالفُ كل شيءٍ أَوَّلُه، وسُلافَةُ الخَمْر ما سال من العِنَب قبل أن يعصر.

وقوله: حَلْبَانَةً رَكْبَانَةً، يُريد ناقةً غَزِيرةً تُحلَب وراحلةً تُرْكَب، يقال: ناقَةٌ حَلْبَاةٌ رَكْبَاةٌ، وحَلْبَانَةٌ رَكْبَانَةٌ، قال الشاعر[٣]:

حَلبانةٍ رَكبانةٍ ضَفوفِ تَخْلِطُ بين وَبَرٍ وَصُوفِ[٤]

الضَّفُوفُ الغَزِيرة، ويروى صَفُوف، وهي التي تَصُفُّ يَدَيْها عند الحلَب، والصَّفُوف أيضًا هي التي تجمع بين مَحْلَبَيْن في حَلْبةٍ.

---

[١] في شروح الحماسة هو مضرِّس بن ربعي: مضرس بن ربعي بن لقيط الأسدي: شاعر حسن التشبيه والرصف، أورد له البغدادي أبياتاً جيدة في وصف ليلة ويوم، ومقطوعة فيها حكمة. وقال: (هو شاعر جاهلي) واختار أبو تمام (في الحماسة) قطعتين من شعره. وروى له المرزباني عدة مقطوعات وقال: (له خبر مع الفرزدق) فإن صح هذا فلا يكون جاهلياً.

[٢] الأصيد: المتكبر, وقد صيد إذا تكبر, والجمع صيد, والسالفة: صفحة العنق, ولكل عنق سالفتان. المعنى: يصف كرمهم وعزهم, ويقول: نحن نعفو عن جهل قومنا ونزيل تكبر عدونا.

[٣] الراجز مجهول.

[٤] قيل الحلبانة الَّتِي تحلب حلبتين، شبَّه سرعَة يَديهَا بِسُرْعَة ناسجة تخلط بَين وبر وصوف.

وقوله: تَخْلِط بين وَبَرٍ وصُوفٍ: يَصِف سَيرها، يقول: كأنَّ يَدَيْها يَدَا ناسِجَةٍ تَخْلِط بين وَبَرٍ وَصُوفٍ من سرعتها، وقال آخر:

إنَّ الحَرامَ غَزِيرةٌ حَلْبَانَةٌ ووجدتُ حالِبَةَ الحَلالِ مَصُورَا[١]

ويُرْوَى: غزِيرَةٌ حَلَبَاتُهُ، ومنه الْمَثَل "الحَلال يَقطرُ والحرام يَسيلُ".

والطَّلِبَةُ: الحاجة، والإطلابُ إنجازُها، يقال: طلب إليَّ فأطلبتُه، أي أسعفْتُه بما طلب، ومثلُه: سأل فأَسْأَلْتُه، أعطيتُه سُؤْلَه، ويقال: ابغني كذا، أي اطلُبه لي، وأَبْغِني - بقَطْع الألف - أي أَعِنِّي عَلَى طلبه، ومِثْلُه: أَحْمِلْنِي أي أَعِنِّي عَلَى حَمُولَتِي، وكذلك أَحْلِبْنِي، عَلَى الحَلَب، ومِثْلُه كثير.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ قَالَ لأَبِي بَكْرٍ: "مَتَى تُوتِرُ؟" فَقَالَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَقَالَ لِعُمَرَ: "مَتَى تُوتِرُ؟" فَقَالَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَقَالَ لأَبِي بَكْرٍ: "أَخَذْتَ بِالْحَزْمِ" وَقَالَ لِعُمَرَ: "أخذتَ بالعزْم"[٢].

الحَزْم: الحَذَرُ، والعَزْم: القُوَّة، ومنه الْمَثَل "لا خَيْرَ في عَزْمٍ بغَير حَزْم" معناه أَنَّ القُوَّة إذا لم يكن معها حَذَرٌ أَورَطتْ صاحِبَها وأَفضَتْ به إلى العَطَب، ومن هذا قولُ الله تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنْ الرُّسُلِ} يقال في تفسيره:

---

[١] المصُورُ: القَلِيلَةُ اللَّبَنِ.

[٢] رواه أبو داود: ١٤٣٤، وابن خزيمة في صحيحه: ١٠٨٤، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

أُولو القُوَّة والصَّبْر، وقال: {فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} يقال: ثَباتًا وقُوَّةً، وقال بعضُهم: الحَزْمُ التَّأَهُبُ للأمْر، والعَزْم النَّفَاذُ فيه، وفي بعض الأمثال "رَوِّ تَحزِمْ، فإذا استوضَحْتَ فاعْزِمْ"[١].

قَالَ الأصمَعيُّ: سمِعتُ أعرابيًّا يقول: أَسْعَدُ الحَزَمَةِ مَنْ جمع إلى حَزْمِه عَزْمًا.

وقال بعضُ أهل اللغة: قولُهم: رجل حازِمٌ معناه جامِع لرأيه مُتَثَبِّت في أمرِهِ، من قولهم: حَزَمتُ المتَاعَ، إذا جَمعتَه، ويقال: حَزُمَ الرَّجلُ وحَزَم، قَالَ الشاعر:

وصاحبٍ قد قَالَ لي وما حَزَمْ[٢]

وقد جاء الوَجهُ الَّذِي قدَّمناه أولًا مفسَّرًا في الحديث.

وعَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ تَذَاكَرَا الْوِتْرَ عند رسولِ الله فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَنَامُ عَلَى وِتْرٍ، فَإِنِ اسْتَيْقَظْتُ صَلَّيْتُ شَفْعًا حَتَّى الصَّبَاحِ،

---

[١] مَعْنَاهُ لَا تَعْجَلْ بِشَيءٍ حَتَّى يَتَحَقَّقَ مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ.

[٢] في كتاب الزاهر لابن الأنباري: عن ابن الأعرابي:

وصاحبٍ قد قالَ لي وما حَزَمْ

عَرِّس بنا بينَ زقاقاتٍ فنمْ

فقلتُ مَنْ نامَ هنا فلا سَلِمْ

وَقَالَ عُمَرُ: لَكِنِّي أَنَامُ عَلَى شَفْعٍ ثُمَّ أُوتِرُ مِنَ السَّحَرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ لأَبِي بَكْرٍ: "حَذِرَ هَذَا" وَقَالَ لِعُمَرَ: "قَوِيَ هَذَا"[١].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ هَذَا الأَمْرَ لا يَزَالُ فِيكُمْ، وَأَنْتُمْ وُلاتُهُ، مَا لَمْ تُحْدِثُوا أَعْمَالًا، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شَرَّ خَلْقِهِ فَلَحَتُوكُمْ كَمَا يُلْحَتُ الْقَضِيبُ"[٢].

قولُه: لَحَتُوكم، مِن اللَّحْت، يقال: لَحَتَ فلانٌ عصاه لَحْتًا، إذا قَشَرها، ولَحَتَه بالعذْل لَحْتًا، مِثْلُه، واللَّحْت القَشْر أيضًا، قَالَ أبو النَّجْم[٣]:

يَلْتَحْنَ وَجْهًا بالحَصى مَلْتوحا[٤]

وقد يجوز أن يكون من المقلوب، كقولهم جَذَبَ وجَبَذَ. وذكر أبو حاتم عن الأصمعي قَالَ: كان جَرِيرٌ أَلْتَحَ أصحابِهِ هِجَاءً.

---

[١] أخرجه عبد الرزاق في المصنف.

[٢] رواه ابن أبي عاصم في السنة: ١١١٩.

[٣] أبو النجم الفضل بن قدامة بن عُبَيد العجلي البكري (٦٥ - ١٣٠ هـ): من الرجاز في العصر الأموي من بني عجل من بكر بن وائل، وله مدائح في هشام بن عبد الملك وغيره من خلفاء بني أمية وله أخبار معهم. قال أبو عمرو بن العلاء: كان ينزل سواد الكوفة، وهو أبلغ من العجاج في النعت.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (يا ناقُ سيري عَنَقاً فَسيحا إلى سُلَيمانَ فَنَستَريحا).

فأما اللَّحْبُ: فهو قَطْعُك الشيء طُولًا، ومنه قولهم: طِريقٌ لاحِبٌ، أي مَسْلُوكٌ مُنْقَادٌ لمن يَسْلكها، وقد لَحِبَ جَنْبُ العَجُوز، إذا ذَهَبَ لَحمُه، وأنشد ابنُ أبي الدنيا[1]:

عَجُوزٌ تُرَجِّي أن تَعُودَ فَتِيَّةً وقد لُحِبَ الجَنْبان واحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ

تَدُسُّ إلى العَطَّارِ مِيرةَ أهلِها وهل يُصْلِحُ العَطَّارُ ما أفسدَ

---

[1] أبو بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي البغدادي (٢٠٨ - ٢٨١ هـ) الملقب بـ ابن أبي الدنيا الإمام، الحافظ، المحدث، العالم، الصدوق، الزاهد، المؤدِّب. وُلد في مدينة بغداد، في أوائل القرن الثالث للهجرة سنة ٢٠٨ هـ. ونشأ في بيت عِلم، فأبوه من رُوَّاةِ الأخبار وقد بدأ في طلب العلم قبل بُلوغ سِنّ العاشرة. وكان غزير التأليف.

[2] وهذا مَثَل، وقصته أن أعرابيًا قَالَ فِي امْرَأَة تزَوجهَا، وَقد خطبهَا شَابة طرية ودسُّوا إِلَيْهِ عجوزًا غيرها:

عَجُوز تَرَجِّي أَن تكون فتيةً وَقد نحل الجنبانِ واحدودبَ الظّهْرُ

تَدُسُّ إلى العَطَّارِ ميرةَ أهلِها وهل يُصْلِحُ العَطَّارُ ما أفسدَ الدَّهْرُ؟

تَزَوَّجتُهَا قبل المحاق بليلةٍ فَكَانَ مُحاقًا كُلُّه ذَلِك الشَّهْرُ

ومَا غرّني إِلَّا خضابٌ بكفِّها وكُحلٌ بعينيها وأثوابُها الصُّفرُ

وفي بعض الروايات من هذا الحديث "فالتَحوكم كَمَا يُلْتَحى القَضِيبُ"، والمعنى واحد، يقال: لَحَوتُ العَصَا والْتَحَيْتُها، إذا أخذتَ لحاءَها، قَالَ الْمُتَلَمِّس[١]:

لَعمرُكَ إنّي في نوائبَ تَلْتَحِي لِحَاءَ الفَتَى عن عُودِهِ لصليبُ[٢]

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُنَيْسٍ[٣] صَلَّى مَعَهُ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ مُتَمَزِّقٌ، فَلَمَّا انْصَرَفَ دَعَا لَهُ بِثَوْبٍ فَقَالَ: تَوَدَّعْهُ بِخَلَقِكَ هَذَا"[٤]

---

[١] المتلمّس الضبعي: جرير بن عبد العزّي - أو عبد المسيح - من بني ضُبَيعة، من ربيعة: شاعر جاهلي، من أهل البحرين. وهو خال طرفة بن العبد. كان ينادم عمرو بن هند (ملك العراق) ثم هجاه، فأراد عمرو قتله ففرَّ إلى الشام، ولحق بآل جفنة (ملوكها) ومات ببصرى، وفي الأمثال (أشأم من صحيفة المتلمس) وهي كتاب حمله من عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين، وفيه الأمر بقتله، ففضه وقرئ له ما فيه، فقذفه في نهر الحيرة، ونجا ولم يفتحه طرفة فقُتل.

[٢] لم أجده في ديوانه.

[٣] عبد الله بن أنيس الجهني (ت ٥٤ هـ): صحابي جليل، شهد بيعة العقبة وغزوة أُحد وما بعدهما، وهو الذي بعثه النبي إلى خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي فقتله في سرية عبد الله بن أنيس، روى له البخاري في الأدب المفرد، والإمام مسلم وأصحاب السنن الأربعة، وقد روى عن النبي أربعة وعشرين حديثًا.

[٤] ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢/٥١) ، وقال: «رواه الطبراني في "الكبير"، ورجاله موثقون». و"تودعْه بخلقك هذا" أي: البسْ هذا في أوقات الصلاة والاحتفال والتزين.

التَّودِيعُ: أن تجعلَ ثَوْبًا وِقَايَةَ ثَوبٍ آخَرَ، يقال: ثَوبٌ مِيدَعٌ، وهو الْمُبْتَذَلُ: قَالَ ذو الرُّمَّة[١]:

هي الشمسُ إشراقًا إذا ما تزينتْ وَشِبهُ النَقا مُغتَرَّةً في الْمَوادِعِ[٢]

قَالَ أبو زيدٍ: الْمَبَاذِلُ والْمَعَاوِز والْمَوَادِع: الثِّياب الخُلْقان، واحدِتُها مِبْذَلَة ومِعْوَزَة ومِيدَعة.

- فِي حَدِيثِ النبيّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ أَمِيرِي مِنَ الْمَلائِكَةِ جِبْرِيلُ"[٣].

قولُه: أَمِيري، أي وَلِيّي وصاحِبي، وكلُّ مَن فَزِعْتَ إلى مُؤَامرتِه ومُشَاوَرَتِه فهو أميرُك، والعَقْلُ أمِيرُ النَّفس؛ لأنها إذا أرادت أَمرًا راجَعَتْه، قَالَ الشَّمّاخُ يذكرُ رجلًا أُعْطِي بقوسٍ له ثمنًا فهو يُؤَامرُ النَّفسَ في إمضاءِ البيعِ أو ردِّه:

---

[١] ذو الرمة: غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي المضري: شاعر، من فحول الشعراء في عصره. قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. وكان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. وكان مقيماً بالبادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيراً. وامتاز بإجادة التشبيه. قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته: (ما بال عينك منها الماء ينسكب) لكان أشعر الناس. وقال الأصمعي: لو أدركت ذا الرمة لأشرت عليه أن يدع كثيراً من شعره، فكان ذلك خيراً له. وعشق (مية) المنقرية واشتهر بها.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (خَليلَيَّ عُوجا عَوجَةَ ناقَتَيكُما عَلى طَلَلٍ بَينَ القِلاتِ وَشارِعِ).

[٣] انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي: أ م ر.

فَظَلَّ يُناجي نَفْسَه وأَمِيرَها أَيأْتِي الَّذِي يُعطَى بِها أم يُجَاوِزُ[١]

يعني عقلَه. وقال زُهَير[٢]:

وقال أَمِيري هل تَرَى رَأْيَ ما نَرى أَنَخْتِلُهُ عن نَفْسِهِ أَم نصاوِلُهْ[٣]

يريد صاحبَه.

ومِمّا جاء عَلَى وزنِه: وَزِيرٌ ونَدِيمٌ، يقال: هُوَ وَزِير الْمَلِك، إذا كان يُؤازِرُه، ونَدِيمُه، إذا كان يُنادِمه، وشَرِيبُه، إذا كان يُشارِبُه، قَالَ الشاعر:

إنا إذا نازَعَنا شَرِيبُ لنا ذَنُوبٌ وله ذَنوبُ[٤]

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (عَفا بَطنُ قَوٍّ مِن سُلَيمى فَعالِزُ فَذاتُ الغَضا فَالمشرِفاتُ النَواشِزُ).

[٢] زُهير بن أبي سُلْمى المزني (٥٢٠ – ٦٠٩ م): أحد أشهر شعراء العرب وحكيم الشعراء في الجاهلية وهو أحد الثلاثة المقدَّمين على سائر الشعراء وهم: امرؤ القيس وزُهير بن أبي سُلْمى والنابغة الذبياني. وتوفي قبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

[٣] في ديوانه من قصيدة يمدح فيها حصن بن حذيفة بن بدر، مطلعها: (صَحا القَلبُ عَن سَلمى وَأَقصَرَ باطِلُهْ وَعُرِّيَ أَفراسُ الصِبا وَرَواحِلُهْ).

[٤] بدون نسبة. وتتمة هذا الرجز: فإن أبيتمْ فلنا القليبُ.

ونرى – واللهُ أعلم – أَنه أَرادَ بهذا القول[١] مُخالفَةَ اليَهُود؛ لأنهم كانوا يقولون إنَّ صاحِبَنا مِيكائيل لأنه يأتي بالرّحمة والخير وإنَّ عَدُوَّنا جبريل لأنه يأتي بالبلاءِ والعَذاب؛ فأنزل الله {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ}.

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنِّي لا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلا أَحْبِسُ الْبُرُدَ"، من حديث أَبي رَافِعٍ[٢] قَالَ: بَعَثَتْنِي قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أُلْقِيَ فِي قَلْبِي الإِسْلامُ، فَقُلْتُ وَاللَّهِ لا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلا أَحْبِسُ الْبُرُدَ[٣]، وَلَكِنِ ارْجِعْ، فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الآنَ فَارْجِعْ"[٤].

يقال: خاسَ فلانٌ وَعْدَه، إذا أخْلَفَه، وخاسَ بالعَهْدِ، إذا نَقَضَه، وأصله في الطَّعام إذا تَغَيَّر وفسَد، يقال: خاسَ الشّيءُ في الوِعَاء، إذا تَغَيَّر وفَسَد،

---

[١] يعني قوله إن جبريل صاحبه.

[٢] أبو رافع القِبطي مولى رسول الله، أسلمَ قبل بَدْر ولم يشهدها، لأنه كان مُقيمًا بمكّة، وكان إسلامه بمكة مع إسلام أم الفضل، فكتموا إسلامهم، فلمّا كان بعد بدرٍ هاجر أبو رافع إلى المدينة، وأقام مع رسول الله، وشهد أبو رافع أحدًا، والخندق – وكان على ثقل النبي – وما بعدهما من المشاهد، وشهد فتح مصر.

[٣] البُرُدَ: الرُّسُلَ. جمع بريد.

[٤] رواه أبو داود وصحح إسناده الألباني.

كالتَّمْرِ والجَوْز وما أشبه ذَلِكَ، وخاسَتِ الجِيفَةُ، إذا بدت تُرْوِحُ[١]. وكان قد صالحَ قريشًا عَلَى أن يَرُدَّ إليهم مَنْ أَتاه منهم.

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أُمَّ كُلْثُومَ بِنْتَ عُقْبَةَ[٢] خَرَجَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهِيَ عَاتِقٌ[٣] فَقَبِلَ هِجْرَتَهَا، وَأَقْبَلَ أَبُو جَنْدَلٍ[٤] يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ فَرَدَّهُ إِلَى أَبِيهِ.

الْعَاتِقُ: الْجَارِيَةُ حِينَ تُدْرِكُ[٥].

وعن أبي المكارم قَالَ: قالت جارِيةٌ لأَبيها: اشترِ لي لَوْطًا أغطي به فُرْعُلِي؛ فإني قد عَتَقْتُ، تُريدُ: أَدرَكْتُ[٦].

---

[١] من أرْوَحَ الشيءُ: أنتنَ.

[٢] أم كُلْثُوم بنتُ عُقْبَة بن أبي مُعَيط بن أبي عَمْرو بن أُمَيَّة بن عبد شمس القُرَشية الأموية، صحابية، وأمها أروى بنت كريز، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه، أسلمت أم كلثوم بنت عقبة بمكة قبل أن يأخذَ النساء في الهجرة إلى المدينة، ثم هاجرت وبايعت، فهي من المهاجرات المبايعات، وهي أول من هاجر من النساء.

[٣] العاتق: المرأة التي بلغت وخدرت ولم تتزوج.

[٤] أبو جندل بن سهيل بن عمرو (المتوفى سنة ١٨ هـ): صحابي أسلم قديمًا، وعذّبه أبوه سهيل بن عمرو وحبسه مع أخيه عبد الله بن سهيل، ثم فرّ وهدد عير قريش، ثم لحق بفتوح الشام، ومات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ.

[٥] تبلغ.

[٦] بلغتُ.

واللَّوْط: الرِّداء، والفُرْعُل ههنا: الشَّعْر.

ويقال في ردّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبا جَنْدل إليهم أنه لم يَخَفْ عليه مَعَرَّتَهم لأنه ردَّه إلى أبيه وأهلِه.

فأما النِّساءُ فقد نَقَض اللهُ الصُّلحَ في ردِّهن إلى الكُفَّارِ فَقَالَ تعالى: {فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ} فلذلك لم يَرُدَّها إلى إخوتها.

وفيه حُجَّةٌ لمنْ رأى نَسْخَ السُّنة بالكتاب.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ انْطَلَقَ لِلْبَرَازِ، فَقَالَ لِرَجُلٍ كَانَ مَعَهُ: إِيتِ هَاتَيْنِ الأَشَاءَتَيْنِ فقل لهما حتى تجتمعا، فاجتَمَعتا، فقضى حاجتَه"[١].

الأشاء: النخل الصِّغار، قَالَ ذو الرُّمَّة[٢]:

يَسْتَلُّها جَدولٌ كالسَّيفِ مُنْصَلِتٌ مثلُ الأَشاءِ تَسامى حولَهُ العُسُبُ

---

[١] أخرجه ابن ماجه ١/ ١٢٢ وأحمد ٤/ ١٧٢.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنسَكِبُ كَأَنَّهُ مِن كُلى مَفرِيَّة سَرِبُ).

والواحدة أَشَاءَة، قَالَ الشاعر[١]:

كأنَّ هَزِيزَنَا يومَ التَقَينَا هَزِيزُ أَشاءَةٍ فيها حَرِيقُ[٢]

وَهَذَا كَحَدِيثِهِ الآخَرِ الَّذِي يَرْوِيهِ جَابِرٌ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بَوَاطٍ قَالَ: "أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ الْحَاجَةَ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ[٣]، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ به، وإذا شجرتان بشاطئ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: "انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ" فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ"[٤].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَذَكَرَ خُرُوجَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بَوَاطٍ وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ[٥] وَفِيهِ أَنَّهُ وَجَبَّارُ بْنُ

---

[١] هو المفضل بن معشر بن نُكرة: شاعر جاهلي من أصحاب المنصِفات وهي القصائد التي أنصف قائلوها بها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء. يقال إن أول من أنصف في شعره مهلهل بن ربيعة.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلَم تَرَ أَنَّ جيرَتَنا اِستَقَلّوا فَنَيَّتُنا وَنَيَّتُهُم فَريقُ).

[٣] الإداوة: إناءٍ صغيرٍ مِن جِلْدٍ يُتَّخَذُ للوُضوءِ والاستنجاء.

[٤] أخرجه مسلم في حديث طويل. والبعير المخشوش: الذي في أَنفِه الخِشَاش وهوعودٌ يدخل في أنف البعير يُشدُّ به الزِّمام.

[٥] مجدي بن عمرو بن وهب بن عدي بن الطول بن عوف الهلالي الجهني، من بني هلال من مالك من جهينة: ومجدي من الصحابة الأجلاء؛ كان شيخاً كبيراً في السن يوم بدر؛ وصاحب عدل ومشورة بين الناس؛ وهو الذي حجز بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين؛ وهو الذين حكم وعدل بين الجاريتين عند الماء؛ وكان رضي الله عنه حكيماً منصفاً؛ وقد انصف المسلمين من

صَخْرٍ تَقَدَّمَا فَانْطَلَقَا إِلَى الْبِئْرِ فَنَزَعَا فِي الْحَوْضِ سَجْلًا أَوْ سَجْلَيْنِ ثُمَّ مَدَرَاهُ ثم نزعا فيه حتى أَنْهَقَاهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ طَالِعٍ، فَأَشْرَعَ نَاقَتَهُ فَشَرِبَتْ، وَشَنَقَ لَهَا فَفَشَجَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ عَدَلَ بِهَا فَأَنَاخَهَا، وَذَكَرَ قِصَّةَ الشَّجَرَتَيْنِ، وَقَالَ: يَا جَابِرُ انْطَلِقْ إِلَيْهِمَا فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فقمتُ فأخذتُ حجرًا فكسرتُه وحسرتُه، فَانْذَلَقَ لِي، فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا" فِي حَدِيثٍ فِيهِ طُولٌ[١].

الْبَعِيرُ الْمَخْشُوشُ: هُوَ الَّذِي يُقَادُ بِخِشَاشِهِ، وَهُوَ مَا يُجْعَلُ فِي أَنْفِهِ مِنَ الْخَشَبِ، فَإِنْ كَانَ مِنْ شَعْرٍ قِيلَ لَهُ خِزَامَةٌ، وَإِنْ كَانَ مِنْ صُفْرٍ[٢] أَوْ حَدِيدٍ قِيلَ لَهُ بُرَةٌ.

وَمَدْرُ الْحَوْضِ: أَنْ يُطْلَى بِالْمَدَرِ لِئَلا يَتَسَرَّبَ الْمَاءُ مِنْ خَصَاصِهِ.

المشركين قبل بدر؛ فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عدله وإنصافه لهم فأعجبه صنيعه؛ وعندما قدم مجدي رضي الله عنه وقومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام كساهم وحباهم وصنع لهم خيراً؛ وقال رسول الله لمجدى بن عمرو الجهني: (ما علمت ميمون النقيبة؛ مبارك الأمر مثلك).

[١] رواه مسلم، وأبو داود وصحح إسناده الألباني.

[٢] الصفر: النحاس.

وَقَوْلُهُ: أَنْهَقَاهُ، غَلَطٌ، وَالصَّوَابُ أَفْهَقَاهُ، أَيْ مَلآهُ، وهو قَولُ الشَّاعر[١]:

نَفَى الذَمَّ عَن آلِ الْمُحَلَّقِ جَفنَةٌ كجابِيَةِ الشَّيخِ العِراقِيِّ تفْهَقُ[٢]

ويروى: السَّيْحُ العِراقِيُّ، وهو الماء السَّائح، أي الجاري، وَمِنْ هَذَا قوله: "إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ"[٣] يريد: الْمُسْهِبين في القول الْمُكثِرِينَ له.

وقوله: شَنَق لها، أي عَاجَها[٤] بالزِّمام، والْمَشْنُوق: الفرسُ الطّويل الرأْس الطامِحُ إلى فوق، ومثلُه الشِّنَاقُ، وأنشد ابن دريد[٥]:

---

[١] هو الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعراً منه. وكان يغني بشعره، فسمي (صَنَّاجة العرب).

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَرِقتُ وَما هَذا السُهادُ المؤَرِّقُ وَما بِيَ مِن سُقمٍ وَما بِيَ مَعشَقُ).

[٣] رواه الترمذي، وصحح الألباني إسناده.

[٤] ثناها وقادها.

[٥] والبيت للشاعر المغيرة بن حبناء: المغيرة بن عمرو بن ربيعة الحنظلي التميمي: شاعر إسلامي. كان من رجال المهلب بن أبي صفرة. اشتهر بنسبته إلى أمه، أنفذ شعره في مدح المهلب وبنيه وذكر حربهم للأزارقة. وكان هو وأخواه (صخر ويزيد) شعراء فرساناً، وأبوهم شاعر. وكان المغيرة يهاجي أخاه صخراً. ومات شهيداً في نَسَف (بين جيحون وسمرقند) على مقربة من بخارى.

جَميلُ الْمُحَيّا بَخْتَرِيٌّ إذا مَشَى وفي الدِّرْعِ ضَخْمُ المنكِبَيْنِ شِنَاقُ[١]

وقوله: فَفَشَجَتْ، أي تَفاجَّتْ وَفَرّجَتْ ما بَيْن رِجلَيْها لِتَبُول.

وقوله: حَسَرْتُه، أي كَشَطْتُ ما عليه من لِحائه.

وقوله: فانْذلَقَ، أي صار له حَدٌّ يُقْطَع به، وذلقُ كل شيء حدُّه، وأذلقتُ الشَّيء، إذا حددتَه، ومنه قولُهم: ذَلُقَ لِسانُه ذَلاقةً، إذا فَصُح وذَرِبَ، ولسانٌ طُلُقٌ ذُلُقٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ نَهَى فِي الضَّحَايَا عَنِ الْمُصَفَّرَةِ وَالْبَخْقَاءِ وَالْمُشَيِّعَةِ"[٢].

قَوْلُهُ: الْمُصَفَّرَةُ، تَفسِيرُهُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهَا الْمُسْتَأْصَلَةُ الأُذُنِ، وأُراها سُمِّيتْ مُصَفَّرةً لأن صِماخَيْها قد صَفِرا من الأُذُنين، أي خَلَوا، يقال: صَفرَ الوِعاءُ، إذا خَلا، والعرب تقول: نعوذُ بالله من صَفَرِ الإناء وقَرَعِ الفِناء، وقد تكون الْمُصَفَّرة الهَزِيلَة التي خَلَتْ من السِّمَن.

---

[١] قاله في يزيد بن المهلب مثنياً على كماله الجسمي والخلقي، وأنه من أسرة مشهورة برزانة عقولها، وكبر هممها، وتعويل الناس في المحن عليها. وبعد هذا البيت: (شديد القوى من أهل بيت إذا وهى ... من الدين فتق حُمِّلوا فأطاقوا).

[٢] أخرجه أبو داود ٣/ ٩٧، وأحمد ٤/ ١٨٥.

والْمُشَيِّعَةُ: التي لا تزال تَتبع الغَنَم عَجَفًا، يريد أنها لا تَلْحقُ الغَنَمَ فهي أبدًا تُشَيِّعُها، أي تكون من وراء القَطِيع.

والبَخْقَاءُ: التي بُخِقَت عينُها[١].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كَانَ لا يُصَبِّي رَأْسَهُ فِي الرُّكُوعِ وَلا يُقْنِعُهُ"[٢].

يقال: صَبَّى رأسَه تَصْبِيَةً، إذا خفَضَه جدًا، وزعم بعضهم أنه مأخوذ من قولهم: صَبَا الرجلُ إلى الجارِيَة، إذا مال إليها. وقال آخر: بل هو يصبئ، مَهموزٌ، من قولهم: صَبأ الرجلُ عن دين قَومِه، أي خرج، فهو صابئ، وعلى هذا تأوَّلَ قولَه عليه السلام حينَ ذكر الفِتَن فَقَالَ "لتَعودُنَّ فيها أَساوِدَ صُبًّا"[٣]،

---

[١] انفقأت.

[٢] رواه أبو داود والترمذي وأحمد.

[٣] رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه شعيب الأرناؤوط.

وإنما هُوَ صُبَّاء، مثالُ فُعَّال، جمع صابئ، وقال أبو سعيد الضَّرِيرُ[١]: بل هُوَ صُبَّى، جمع صَابٍ، كقولِك: غازٍ وغُزَّى، وأنشد[٢]:

ولا أَشْتِمُ العُفَّى ولا يُجْدِبُونَنِي إذا هرّ دُونَ اللَّحْمِ والفَرْثِ جَازِرُهْ[٣]

العُفَّى: جمع العَافِي[٤].

وقوله: ولا يُقْنِعه: أي لا يرفع رأْسَه، يقال: أَقنعَ رأسَه، إذا صَوَّبَه، وأقنعه إذا رفعه.

---

[١] أبو سعيد الضرير البغدادي أحمد بن خالد (ت ٢١٧هـ): ذكره الازهري (ت٣٧٠هـ) في كتابه (تهذيب اللغة) وعدّه أحد رجال الطبقة الثالثة من ائمة اللغة الذين اعتمد عليهم وروى عنهم. صنّف في اللغة كتباً عدة – لم تصل إلينا – ورويت عنه نصوص كثيرة في عدد من المصادر اللغوية، منها كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ).

[٢] هو لابن مقبل: تميم بن أبيّ بن مقبل، من بني العجلان، من عامر بن صعصعة، أبو كعب. شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأسلم، فكان يبكي أهل الجاهلية. عاش نيفاً ومئة سنة. وعدّ في المخضرمين. وكان يهاجي النجاشي الشاعر له ديوان شعر ورد فيه ذكر وقعة صفين سنة ٣٧ هـ.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تَأَوَّبَنِي الدَّاءُ الَّذِي أَنَا حَاذِرُهْ كَمَا اعْتَادَ مَكْمُوناً مِنَ اللَيْلِ عَائِرُهْ).

[٤] العافي: الضيف الغريب الذي يُلِمُّ بك.

- فِي حَدِيثِ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ: "مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعَةً حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ"[١].

كَاعَةٌ: جَمْعُ كَائِعٍ، وَهُوَ الجَبَانُ، كما يقال: بَائِع وبَاعة وقائِد وقَادةٌ، يريد أنه كان يحوط رسولَ الله ويَذُبُّ عَنْه، فكانت قُرَيْشٌ تَكِيع وتَجْبُن عن أذاه، يقال: كَعَّ الرجلُ عن الأَمر إذا جَبُن وانْقَبَض، يَكِعُّ، وكَاعَ يَكِيعُ، قَالَ الفراءُ[٢]: كعَعْتُ عن الشَّيء وكَيِئْتُ وأَزَأْتُ، بمعنى واحدٍ.

قَالَ الأصمَعِيّ: أَزِيَ يأْزَى أُزِيًّا، غير مهموز، إذا انْقَبَضَ وَدَنَا بعضهُ من بَعْضٍ، وأنشدني بعضُ أهل اللغة[٣]:

---

[١] رواه يحيى بن معين في تاريخه: ١٧٤.

[٢] أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اَللَّهُ بْنُ مَنْظُورِ بْنُ مَرْوَانْ اَلْأَسْلَمِي اَلدَّيْلِمِي اَلْكُوفِيَّ، مولى بني أسد، المعروف بالفَرَّاء، وهو لقبه «لأنه كان يفري الكلام» أي: يصلحه. ولد الفراء في الكوفة سنة ١٤٤ هجري وكان أشهر الكوفيين وأكثرهم اطلاعًا على علوم النحو واللغة وفنون الأدب. وكان في منهجه مكثرًا من الرواية مهتمًا بالنقل وكان يقف على دقائق اللغة والاختلافات الصوتية.

[٣] هو لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي: شاعر مقدم، فصيح من أهل اليمامة، كان يسكن بادية البصرة، ويزور الخلفاء من بني العباس فيجزلون صلته. وبقي إلى أيام الواثق، وعمي قبل موته، وهو من أحفاد جرير الشاعر، وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه، له أخبار. وهو القائل: (بدأتمْ فأحسنتمْ، فأثنيتُ جاهداً وإن عدتمُ أثنيتُ والعودُ أحمدُ).

هذا زَمانٌ مُوَلِّ خَيْرُهُ آزِي صارتْ رؤوسٌ به أَذنَابَ[١]

وعن العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قال: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: "نَعَمْ وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النار فأخرجته إلى ضَحْضاح"[٢].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "صُومُوا الشَّهْرَ وَسِرَّهُ"[٣].

قَولُه: صُومُوا الشهرَ، أي مُسْتَهَلَّ الشَّهْر، والعرب تُسَمِّي الهِلالَ شَهْرًا، أنشد الفَقْعَسِيّ[٤]:

ابْدَأْنَ مِنْ نَجدٍ عَلَى ثِقَةٍ والشَّهرُ مِثلُ قُلامَةِ الظُّفْرِ

يريد: الهلال.

وكان أبو زيادٍ الأعرابيّ إذا رأى الهلالَ أخذ عودًا فحدَّد طَرَفَه وأشارَ به إليه وقال: عُود، عُدِّيَ عَنَّا شَرُّكَ أَيُّها الشَّهر.

ومن دُعاءِ العَرَب إذا رَأَوْا الهِلالَ: لا مَرْحَبًا بِحُجَيْن، مُحِلِّ الدَّيْن، ومُقَرِّبِ الحَيْنِ.

---

[١] في ديوانه، وهو بيت منفرد.

[٢] رواه البخاري ومسلم. والضحضاح: مَوضعٍ قَرِيبِ القَعْرِ خَفِيفِ العَذابِ.

[٣] رواه أبو داود – كتاب الصوم – باب في التقدم (حديث رقم: ٢٣٢٩).

[٤] في معالم السنن للخطابي قال: وأنشد ابن الأعرابي، بدل الفقعسي.

وفي سِرِّ الشَّهر أقوالٌ، أحدُها: أَنَّ سِرَّه أَوَّلُه، هَكَذا رَوَى أبو داود عن الأوزاعيّ قَالَ: "سِرُّه أَوَّلُه".

وأَنَا أُنكِر هذا التفْسِير وأُراهُ غَلطًا في النَّقْلِ، ولا أعرِف له وَجْهًا في اللُّغَة، والذي يعرفُه النَّاسُ أن سِرَّهُ آخِرهُ، وفيه ثَلاثُ لُغاتٍ: يقال: سِرُّ الشهر وسَرَر الشهر وسِرَارُه، وسُمِّي آخر الشهر سِرًّا لاسْتسْرارِ القمر فيه.

وعن الأوزاعيّ أنه قَالَ في هذا الحديث: سِرُّه آخرُه، وهذا هُوَ الصَّحِيح من الرِّواية، المساوقُ لمذهب اللغة.

وفيه وجه ثالث وهو أنَّ سِرَّه وسَطُه، وسِرُّ كل شيء جَوفُه، يقال: قناة سَرَّاءُ أي جوفاء، والزَّند إذا كان أجوفَ قيل زَنْد أَسَرُّ، ويقال، سُرَّ زَنْدُك، وهو أن يُجْعل في جوفه عُودٌ ليُقْدَحَ به، ذكره يعقوبُ بنُ السِّكّيت[١].

---

[١] ابْنُ السِّكِّيتِ (١٨٦ – ٢٤٤هـ): إمام من أئمة اللغة العربية وعالم نحوي وأديب شهير، اشتهر بتشيُّعه. يكنى بأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت الدروقي الأهوازي البغدادي النحوي المؤدب، مؤلف كتاب "إصلاح المنطق"، ديّن خَيّر، حجة في العربية. أخذ عن: أبي عمرو الشيباني، وطائفة. ومن أشهر مواقفه حينما سأله المتوكل العباسي: «من أحب إليك: ابناي هذان (المعتز والمؤيد)، أم الحسن والحسين؟» فأجاب: «إنّ قنبر خادم عليّ خير منك ومن ابنيك» ما أدى إلى قتله.

وعن محمد بن عُجْرة قال: سمعتُ أبي يقول لرجل: انْحرِ البَعِير فلتجدنَّه ذا سِرٍّ، أي ذا مُخٍّ، ويقال: فلان سِرُّ قومه، أي أوسطُهم حَسَبًا، وقال ذو الإصبع[١]:

وهُمْ إنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا[٢] بسِرِّ النَّسبِ الْمْحضِ[٣]

ويقال: فلان في سَرارَةِ قَومِه، أي في منصب منهم، وإذا غَرسْتَ فاغْرِسْ في سَرارة الوادي، أي وسطه، قَالَ حَسَّان[٤]:

---

[١] ذُو الإِصبَعِ العَدْوَانِيُّ: حُرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة، من عدوان، ينتهي نسبه إلى مضر: شاعر حكيم شجاع جاهلي. لقب بذى الإصبع لأن حية نهشت إصبع رجله فقطعها، ويقال: كانت له إصبع زائدة. وعاش طويلاً حتى عدّ في المعمَّرين. له حروب ووقائع وأخبار. وشعره مليء بالحكمة والعظة والفخر، قليل الغزل والمديح، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي يقول في أولها:(أأسيد إن مالًا ملكتَ...فسر به سيراً جميلا).

[٢] من الفعل: أشْبَى، بمعنى: أشْبَهَ، وأَشْبَى الأَولادُ أَباهم: أَشْبَهُوهُ، وَالْمُشْبِي: الَّذِي يُولَدُ لَهُ وَلَدٌ ذَكِيٌّ، وَقَدْ أَشْبَى. وَأَشْبَتِ الشَّجَرَةُ: طَالَتْ.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (عذير الحي من عدوانَ كانوا حيّة الأرضِ بغى بعضهم بعضًا فلم يبقوا على بعضِ).

[٤] حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد. الصحابي: شاعر النبيّ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعمي قبيل وفاته.

أو في السَّرارةِ مِنْ تَيْمٍ رَضيتُ بِهِمْ أو مِنْ بني جُمَحِ الخُضْرِ الجلاعيدِ[١]

جمع الجلعاد، وهو الضخم.

ومعنى الخبر على هذا الوجه: الحثُّ عَلَى صيام أَيَّام البِيضِ إذْ هي وَسط الشَّهر.

وأما حديثه الآخر أنه قَالَ لرجل[٢]: "هل صُمتَ من سَرَرِ شَعْبان شيئًا؟" فَقَالَ: لا، قَالَ: "فإذا أفطرتَ" يعني مِنْ رمضان "فَصُم يَوْمَين"[٣].

فقد كان بعضُ أهلِ العلم يقول في هذا إنَّ سؤاله سؤالُ زَجْر وإنكار؛ لأنه قد نهى أن يُسْتَقْبَل الشهرُ بيوم أو يومين، ويُشبِه أن يكون هذا الرجلُ قد كان أَوْجَبَهما عَلَى نفسه فاستحَبَّ له الوفاءَ بهما وأن يَجْعَل قضاءهما في شوال.

قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبيّ في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. وكان شديد الهجاء، فحل الشعر.

[١] في ديوانه من قصيدة يهجو فيها مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، ومطلعها: (لو كنتَ من هاشمٍ أو من بني أسدٍ أو عبدِ شمسٍ أو اصحابِ اللّوا الصّيدِ).

[٢] هو عمران بن الحصين.

[٣] رواه البخاري ومسلم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لا يُشَدُّ الْغُرُضُ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ"[١].

وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ "لا تُشَدُّ الْعُرَى" الغَرْضُ: الْبِطَانُ الَّذِي يُشَدُّ عَلَى بَطْنِ البعير إذا رُحِل.

قَالَ الأصمعي: فيه لغتان: الغُرْضَةُ والغَرْض، والْمَغْرِضُ من البعير الموضع الَّذِي ينالُه الحَبلُ، قَالَ أبو دواد الإياديُّ[٢]:

وشِمِلَّةٍ[٣] تَمْسِي مرافِقُها عنها إذا ضَمَرتْ قُوَى الغَرْضِ[٤]

تمسي: تَجُرّ وتَجْذِبُ، يقال: مَسَيْتُ ومَسَوْتُ، وقال أوسُ بنُ حَجَرٍ[٥]:

---

[١] رواه البخاري ومسلم بلفظ: لا تُشَدُّ الرِّحَالُ.

[٢] أبو دُوَاد الإيادي من شعراء العصر الجاهلي، اسمه: جارية بن الحجاج الإيادي، شاعر قديم من شعراء الجاهلية وكان وصافًا للخيل.

[٣] الشملة: الناقة الخفيفة.

[٤] لم أجده في ديوانه، وفيه قصيدة على الوزن والقافية مطلعها: (ضَنّتْ عليكَ لَمِيسُ بالفرْضِ وأبتْ فما تجزيك بالقرْضِ).

[٥] أَوْس بن حَجَر بن مالك الأُسَيِّدي التميمي، شاعر مُضَر أبو شريح، (٩٥ - ٢ ق.هـ): من كبار شعراء تميم في الجاهلية، كان أَوْسٌ زوجَ أم زهير بن أبي سُلمى. وكان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحِيرة. عُمِّر طويلًا (زهاء ٩٠ عاما).

كأنَّ هِرًّا جَنيبًا تحتَ غُرْضَتِها والتَفَّ دِيكٌ برجلَيْها وخِنزيرُ[١]

وهذا كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجِدَ"[٢] يُريد أنَّ الظَّعنَ والشُّخوصَ إلى غير هذه المساجد لا يَلْزَمُ أحدًا، وهذا في النَّذْرِ يَنْذُره الإنسانُ والصلاةِ يوجِبُها عَلَى نفسه فيها، فأما إذا نَذَر صلاةً في غيرها من المساجدِ فله الخيارُ في الوفاء بها أو يصلِّيها في أي مسجد شاء. وَنَرَى – والله أعلم – أنه خَصَّ هذه المساجد بذلك لأنها مساجدُ الأَنبياء وقد أُمرنا بالاقْتداءِ بهم؛ قَالَ الله تعالى: {فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ}.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلًا؟ "قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ"، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى"، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ سَنَةً، فَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مسجد"[٣].

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (هَل عاجِلٌ مِن مَتاعِ الحيِّ مَنظورُ أَم بَيتُ دومَةَ بَعدَ الإِلفِ مَهجورُ).

[٢] هذه رواية البخاري ومسلم.

[٣] رواه البخاري ومسلم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَبَسَةَ[١] أَتَاهُ فَقَالَ: أَيُّ السَّاعَاتِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: "جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرِ"[٢] ثُمَّ قَالَ: "إِذَا تَوَضَّأْتَ فَغَسَلْتَ يَدَيْكَ خَرَجَتْ خَطَايَاكَ مِنْ يَدَيْكَ وَأَنَامِلِكَ مَعَ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلْتَ وَجْهَكَ وَمَضْمَضْتَ وَاسْتَنْشَيْتَ وَاسْتَنْثَرْتَ خَرَجَتْ خَطَايَا وَجْهِكَ وَفِيكَ وَخَيَاشِيمِكَ مَعَ الْمَاءِ"[٣]. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى "وَاسْتَنْشَرْتَ".

قوله: أَي السّاعات أَسمعُ؟ يريد أيها أوقع للسَّمْع، والمعنى أيها أَوْلَى بالدُّعاء وأرْجى للاستجابة، وهذا كقولِ ضمادٍ الأزدي[٤] حين عرَض عليه رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم الإسلامَ قَالَ: "فسمعتُ كلامًا لم أسمع قولًا قَطّ أسمعُ منه"، يريد أبلغَ منه ولا أنْجَع في القلْب.

وجوفُ الليل الآخِر إنما هُوَ الجُزء الخامس من أَسْدَاسِ الليل، وَهَذَا مُوَافِقٌ لِلْحَدِيثِ الَّذِي يُرْوَى "إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى يَبْقَى الثُّلُثُ الآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَنْزِلُ

---

[١] الصحابي عمرو بن عبسة السلمي، أسلم بمكة قديمًا، وهو من السابقين الأولين في الإسلام.

[٢] هذا الجزء المتقدم من الحديث رواه الترمذي والنسائي عن أبي أمامة الباهلي، بلفظ: قِيلَ يا رسولَ اللهِ : أيُّ الدعاءِ أسمَعُ؟ قال جَوفَ الليلِ الآخِرِ ودُبُرَ الصلواتِ المكتوباتِ.

[٣] انظر: التمهيد، لابن عبد البر.

[٤] الصحابي ضماد بن ثعلبة الأزدي، كان صديقًا للنبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية، وكان رجلاً يتطبّب، ويرقي، ويطلب العلم؛ أسلم أول الإسلام.

إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولَ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى! هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَيُغْفَرُ لَهُ؟"[١].

وقوله: استَنْشَيت، يريد الاسِتِنْشاق، وأصله من قولك: نَشِيتُ الرائحةَ، إذا شممْتها، قَالَ الهُذَلِيّ[٢]:

ونَشِيتُ رِيحَ الموتِ من تِلقائهمْ وَخَشِيتُ وقعَ مُهَنَّدٍ قرْضابِ[٣]

ويقال: شَمِمتُ نَشْوةَ رَيحانٍ، أي رائحتُه الطيّبة، والنَّشوةُ من السُّكْر أيضًا، قَالَ الأصمعي: سُئل أَعرابيٌّ عن أمير فَقَالَ: يُطيل النِّشوة ويوطئ العِشْوَةَ ويَقْبَلُ الرِّشوة".

---

[١] أخرجه أحمد (٩٦٧) باختلاف يسير، والأمر بالسواك في أوله أخرجه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

[٢] أبو خراش الهذلي خويلد بن مرّة الهذلي: فارس وشاعر فحل من شعراء المذكورين الفصحاء الفتاك الكبار، وهو من المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وحسن اسلامه وعاش بعد النبي فترة. ومات في خلافة عمر بن الخطاب، نهشته أفعى فمات، وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحروبهم.

[٣] في ديوانه في شعر الهذليين من قصيدته التي مطلعها: (لما رأيتُ بنى نُفاثةَ أقبَلوا ... يُشْلون كلَّ مقلِّصٍ خِنّاب).

وقَالَ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ[١] لأَبِي الْحَارِثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ[٢]، وَكَانَ أَبُو الْحَارِثِ مِنْ فُصَحَاءِ الْعَرَبِ: أَلا تَذْهَبُ بِنَا إِلَى الحَرَّةِ نَتَحَمَّرِ الرِّيحَ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَارِثِ: إِنَّمَا يَتَحَمَّرُ الْحَمِيرُ، قَالَ: فَنَسْتَنْشِي، قَالَ: إِنَّمَا تَسْتَنْشِي الْكِلابُ، قَالَ: فَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: نَتَنَسَّمُ الرِّيحَ، فَقَالَ لَهُ نَافِعٌ: مَهْ مَهْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، فَقَالَ أَبُو الْحَارِثِ: أَلْصَقْتُكَ وَاللَّهِ عَبْدُ مَنَافٍ بِالدَّكَادِكِ[٣]؛ ذَهَبَتْ عَلَيْهِمْ بَنُو هَاشِمٍ بِالنُّبُوَّةِ وَأُمَيَّةُ بِالْخِلافَةِ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ[٤] لِنَافِعٍ: يَا نَافِعُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا، فَقَالَ نَافِعٌ: مَا أَصْنَعُ بِمَنْ صَحَّ نَسَبُهُ وَمَذَقَ[٥] لِسَانُهُ.

---

[١] نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي، أخو محمد بن جبير. إمام من الثقات، وكان من خيار الناس، كان يحج ماشيًا وناقته تقاد، توفي سنة تسع وتسعين في خلافة سليمان بن عبد الملك.

[٢] أبو الحارث عبد الله بن السائب المخزومي.

[٣] الدَّكادِكُ: جمع دَكداك، وهو التراب.

[٤] عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وهو الذي يُقال له: ابن أبي عتيق، ويكني بأبي بكر. قيل له ابن أبي عتيق: لأنه رَمى بسهم فقال: أُصبت وأنا ابن أبي عتيق، يعني أبا قحافة.

[٥] مذق: كذب.

وقوله: استنشرْتُ، إن كان محفوظًا، فمعناه الاستنشارُ، مأخوذٌ من انتشار الماء، وقيل للحَسَن[١] في الوضوء يُصيب الثَّوبَ؟ فَقَالَ: وَيْلَك! وهل يُمْلَكُ نَشَرُ الإناء؟ أي ما يَنْتَضِح من مائِه، ونُشْرَةُ المصابِ[٢] مأخوذةٌ من هذا، وفَرقٌ ما بين الاستنشارِ والاستنثارِ كفرقِ ما بين الاستنشاقِ والاستنثار، وذلك أن الاستنشاقَ إنما هُوَ إدخالُ الماء إلى الأنف وإبلاغُه الخَيَاشيمَ، من قولك: نَشِقَ رائحةَ طيبٍ فتَنَشَّقها، قال الشاعر[٣]:

إذا ما أتاهُ الرَّكبُ مِن نحوِ أرضِها تَنَشَّقَ يَسْتَشْفي برائحةِ الرَّكْبِ[٤]

والاستِنْثارُ أن يَمْري الأنفَ يستَخْرِجُ ما قد تنشَّقه من الماء، وزعم بعضُهُم أن الاستنثار مأخوذٌ من النَّثْرة، وهي الأنْف، فإذا قيل: استَنْثَر، كان معناه أدخلَ الماءَ نَثْرَتَه، ويقال إنَّ الاستِنْشارَ مأخوذ من النَّشْر وهو الريح.

---

[١] الحسن البصري: الحسن بن يسار البصري (٢١ – ١١٠ هـ): إمام وقاضٍ ومحدّث من علماء التابعين ومن أكثر الشخصيات البارزة في عصر صدر الإسلام. سكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم.

[٢] النُّشْرَةُ: رُقيةٌ يعالَجُ بها المريضُ ونحوُه.

[٣] بل الشاعرة: عُلية بنت المهدي بن المنصور، أخت هارون الرشيد. أديبة شاعرة،. كان أخوها إبراهيم بن المهدي يأخذ الغناء عنها. وكان أخوها الرشيد يبالغ في إكرامها ويجلسها معه على سريره وهي تأبى ذلك وتوفيه حقه. وتزوجها موسى بن عيسى العباسي.

[٤] البيت أحد بيتين، أولهما: (وَمُغتَرِبٍ بِالمرجِ يَبكي لِشَجوِهِ وَقد غابَ عَنهُ المسعِدونَ عَلى الحُبِّ).

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ بَعَثَ سَرِيَّةً قِبَلَ أَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ، وَأَمِيرُهُمُ الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو[١] أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ، فَلَمَّا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَعَثُوا حَرَامَ بْنَ مِلْحَانَ[٢] بِكِتَابٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ انْتَحَى لَهُ عَامِرُ بْنُ طُفَيْلٍ[٣] فَقَتَلَهُ، ثُمَّ قَتَلَ الْمُنْذِرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "أَعْنَقَ لِيَمُوتَ" وَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ ثَلاثَةٌ فَهُمْ يَتْبَعُونَ السَّرِيَّةَ، فَإِذَا الطَّيْرُ ترميهم بالعَلَق، قَالُوا: قُتِلَ وَاللَّهِ أَصْحَابُنَا، إِنَّا لَنَعْرِفُ مَا كَانُوا لِيَقْتُلُوا عَامِرًا وَبَنِي سُلَيْمٍ وَهُمُ النَّدِيُّ... فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ[٤].

قَوْلُهُ: انْتَحى لَهُ: أَيْ عَرَض لَهُ، ومثلُه: تَنَحَّى له.

---

[١] المنذر بن عمرو: صحابي من الأنصار من بني ساعدة من الخزرج، شهد بيعة العقبة الثانية، وكان أحد النقباء الاثني عشر. كما شهد مع النبي غزوتي بدر وأحد، واستعمله النبي على سرية إلى أهل نجد، فاستُشهِدَ يومها عند بئر معونة.

[٢] حرام بن ملحان (المتوفي سنة ٤ هـ): صحابي من بني عدي بن النجار من الخزرج. شهد غزوتي بدر وأحد، وقُتل يوم بئر معونة، وكان أول من قُتل يومها.

[٣] عامر بن الطفيل الكلابي العامري الهوازني: شاعر جاهلي وفارس فتاك وسيد من سادات بني جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن. أدرك الإسلام وناوأ النبي ولم يسلم.

[٤] في كتب السيرة والحديث، بألفاظ متقاربة. انظر: دلائل النبوة للبيهقي، وتاريخ دمشق لابن عساكر.

قَالَ ذو الرُّمَّة يصف ناقة[١]:

نهوضٌ بأُحْراها إذا ما انْتحَى لها من الأرضِ نَهّاضُ الحَزَابِيّ أغبرُ[٢]

وقال أيضًا:

تَنَحَّى لهُ عَمْرٌو فَشَكَّ ضلُوعَهُ بنافذةٍ نجلاءَ والخيلُ تَضْبِرُ[٣]

وقوله: "أَعْنَقَ ليموت"[٤] مَثَل، يريد أن الْمَنِيَّةَ ساقته إلى مَصْرَعِه، والعَنَقُ: ضربٌ من السَّير.

والعَلَق: الدَّمُ الجامِد قبل أن يَيْبَسَ.

والنَدِيّ: القوم المجتمعون، ومثله النَّادي، ويقال: تَنَادَى القومُ، إذا اجتمعوا في النادي، وهو المجلس، وناديتُ الرَّجُلَ، إذا جالستَه، قَالَ الشاعر:

أَلا مَنْ مُبلِغُ الحَجّاجِ أَنِّي أُنادِي القَومَ مِنْ أهلِ العراقِ

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي يفتخر فيها، ومطلعها: (خليليَّ لا رسم بوهبين مخبِرُ ... ولا ذو حجاً يستنطق الدار يعذِرُ).

[٢] "نهوض بأخراها"، يقول: صدرها يحمل مؤخرها كأنها تنهض، و"الحزابي"، واحدها "حزباءة": وهي الأرض المشرفة الغليظة المنقادة.

[٣] "تنحى": انحرف وتعمد وتوجه ف طعنه شزراً. "نجلاء": واسعة. "تضبر": تجمع بين قوائمها ثم تثب.

[٤] يعني أن المنذر مشى إلى الموت وهو يعرفه، دليل على صدقه مع الله وشجاعته رحمه الله.

يريد أجالِسُهم في ناديهم، وسُمِّيت دارُ الندوة لأنهم كانوا يَنْدُون إليها إذا حَزَبَهم أمرٌ فيتشاورون، قَالَ الفَرَّاء: العربُ تَقولُ: النّادي يشهدون عليك، يَجعلَوُن النَّادِيَ والْمَجلِسَ والْمَشْهَدَ قَوْمَ الرّجل، وأنشدّ[١]:

لهم مَجلسٌ صُهْبُ السِّبالِ أَذِلَّةٌ سَواسِيَةٌ أَحرارُها وعَبِيدُها

وقال الْمُهَلْهِلُ يرثي أخاه كُلَيْبًا[٢]:

ذهب الخِيَارُ مِن المعاشِرِ كُلِّهِمْ واستَبَّ بعدَك يا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ[٣]

وكان كُلَيبٌ لِعِزِّهِ لا يُرفَع بَحَضْرتِه صَوتٌ ولا تُسْمَع في ناديه كلمةُ خَنَى.

---

[١] هو لذي الرُّمة أيضاً، من قصيدته التي مطلعها: (ألا لا أرى كالدار بالزرق موقفاً ... ولا مثل شوق هيجته عهودُها).

[٢] عدي بن ربيعة التغلبي، الملقب الزير أبو ليلى المهلهل، (توفي ٩٤ ق.هـ): أحد فرسان قبيلة تغلب وأحد أبطال العرب في الجاهلية وقد كان له من الذرية ابنتان هما: ليلى وعبيدة، فأما ليلى فهي أم الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي، وأما عبيدة فهي أم قوم يقال لهم عبيدة من جنب من مذحج وقال البعض أن الزير خال الشاعر امرئ القيس الكندي. سمي بالمهلهل لأنه أول من هلهل الشعر (أي رققه). وأخوه كليب بن ربيعة التغلبي هو أول من ملك قومه من العرب المعدية النزارية العدنانية من ربيعة و مضر. وكان مقتله سبباً في حرب البسوس.

[٣] في ديوانه، وهو مطلع القصيدة، والشطر الأول منه يروى: نُبِّئتُ أَنَّ النارَ بَعدَكَ أوقِدَت.

وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ طَعَامًا، فَدَعَاهُ وَدَعَا حَوَارِيَّهُ، فأكلُوا حتى شَبِعوا، وَإِنَّ مَجْلِسَ بَنِي عَوْفٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ"[١]، يُرِيدُ جَمَاعَتَهُمْ، ويقال: حضر القاضي مَجْلِسَ بَنِي فُلان، أي جماعتَهم، وعن ابن الأعرابي يَصِفُ النُّوقَ[٢]:

فأَقْبَلْنَ إربابًا وأعرضْنَ هَيْبَةً صُدُودَ العَذارَى قابَلَتْها المجالِسُ[٣]

قيل لابن الأعرابيّ: لِمَ يُعرِضْن ومِن شَأْنِهِنَّ الْمُلاقَاةُ؟ فَقَالَ: لأنه – يعني الفَحْل – إذا رآهن عَذَمَهن، أي عضَّهن.

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَمْرَضُ مَرَضًا حَتَّى يُحْرِضَهُ، إِلا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ"[٤].

قوله: يُحرِضُه، معناه يُدنِفه، والحَرِضُ: الَّذِي أَشْرَفَ عَلَى الْهَلاكِ؛ قَالَ الله تعالى: {حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنْ الْهَالِكِينَ}، ومنه قيل للرَّجُل

---

[١] انظر: الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي.

[٢] البيت لذي الرُّمة أيضاً، من قصيدته التي مطلعها: (ألم تسأل اليوم الرسوم الدوارسُ ... بحزوى وهل تدري القفار البسابسُ).

[٣] يصف النوق حين دعاهن الفحل أقبلن إليه "إرباباً": وهو اللزوم والحب للفحل. "ويعرضن رهبة" له وخوفاً، كما تصد العذارى لشدة الحياء.

[٤] أخرجه أحمد (١٥١٤٦)، والطيالسي في (المسند) (١٨٨٢)، والبخاري في (الأدب المفرد) (٥٠٨) واللفظ له، دون كلمة "يحرضه".

السَّاقط: حارِضٌ، قَالَ الأصمعي: يقال: رجلٌ حارِضَةٌ وهو الأحمقُ، وقال أبو عمرو: حارِضٌ بلا هاء، وقال العَرْجِيُّ[١]:

إنّي امرؤٌ لجَّ بي حُبٌّ فأَحرضَنِي حتى بَلِيتُ وحتّى شَفَّنِي السَّقَمُ[٢]

وقال امرؤ القيس[٣]:

أَرَى الْمَرءَ ذَا الأَذْوادِ يُصبِح مُحرَضًا كإحراضِ بَكْرٍ في الدِّيار مَرِيضِ[٤]

ويقال: إن الحَرِضَ هُوَ الَّذِي لا يَتَّخِذ سِلاحًا ولا يُقاتِل، قَالَ الطِّرِمّاح[٥]:

---

[١] العرجي: عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي، شاعر الغزل الصريح، كان يقيم بالعَرْج من وديان الطائف، صحب في شبابه مسلمة بن عبد الملك في حروبه بأرض الروم ثم عاش للهو والصيد. وجاء أنه تغزل بنساء كثيرات. ويتميز شعره بوضوح العبارة وسهولة اللفظ ويغلب عليه سرد القصص والحكايات الغرامية ومطاردة النساء حتى تغزل بزوجة محمد ابن هشام والي مكة فسجنه حتى مات.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (حورٌ بعثن رسولاً في ملاطفةٍ ثقفاً إذا غفل النسّاءةُ الوهمُ).

[٣] في ديوانه من قصيدة: وَمِيضُ برق، وقالها واصفاً المطر، ومطلعها: (أعِنّي عَلَى بَرْقٍ أراهُ وَمِيضِ ... يُضيءُ حَبِيّاً في شَمارِيخَ بِيضِ).

[٤] والأذوادُ الإبلُ، يقول إنَّ المرء الغني إذا بلغتْ ساعةُ هلاكه ما اختلفَ حاله عن الفتِيّ المريض من الإبل.

[٥] الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيئ: شاعر إسلامي فحل. ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة، فكان معلماً فيها. واعتقد مذهب الأزارقة. واتصل بخالد بن عبد الله القسري، فكان يكرمه ويستجيد شعره. وكان هجاءاً، معاصراً للكميت صديقاً له، لا يكادان يفترقان.

مَنْ يَرُمْ جمعَهمْ يجدْهمْ مراجيـ حَ[١] حُماةً لا العُزَّلِ[٢] الأَحْراضِ[٣]

أي ليسوا بالعُزَّل الأحراض.

وَأَمَّا حَدِيثُهُ الآخَرُ أَنَّهُ قَالَ: "لا يَمْرَضُ مُؤْمِنٌ إِلا حُطَّ هُدْبَةٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ"[٤] فَإِنَّهُ يُرِيدُ بِالْهُدْبَةِ القِطعة والطائِفَةَ مِنْهَا، يُقَالُ: هدبتُ الشيءَ، إِذَا قَطَعتَه، وَمِنْهُ حَدِيثُ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ[٥] أَنَّهُ قَالَ: "هاجَرْنا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنيا لَمْ يُصِبْ مِنْهَا شَيْئًا وَمِنَّا مَنْ أينَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا"[٦]. وأُرى هُدبةَ الثوب مِن هذا أُخِذتْ.

---

[١] مراجيح: حلماء راجحو العقول لا يستخفهم شيء.

[٢] هكذا في المطبوعة، وفي الديوان: للعزل.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (قَلَّ في شَطِّ نَهرَوانَ اِغتِماضي وَدَعاني هَوى العُيونِ المراضِ).

[٤] رواه أحمد وابن الأعرابي، بدون لفظة (هدبة).

[٥] خَبَّاب بن الأَرَتّ التميمي (المتوفي سنة ٣٧ هـ): صحابي من السابقين إلى الإسلام، وكان من المستضعفين الذين عُذّبوا ليتركوا الإسلام. سبُي صغيرًا من قبيلته تميم، وبيع في مكة فاشترته أم أنمار الخزاعية التي كانت حليفة لبني زُهرة من قريش. ثم هاجر إلى يثرب، وشهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، ثم انتقل أواخر حياته إلى الكوفة، فمات بها، ودُفن هناك.

[٦] متفق عليه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ فَقَالَ: "إِنْكَافُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ"[١].

قَوْلُهُ: إِنْكَافُ اللَّهِ، مَعْنَاهُ التَّنْزِيهُ وَالتَّبْرِئَةُ لَهُ مِمَّا يُسْتَنْكَفُ مِنْهُ، وحكى ابنُ السِّكِّيت عن أبي عَمْرو قَالَ: نَكِفْتُ من الأمر نَكَفًا، إذا استَنْكَفْتَ منه، فإذا قلتَ في اللازم: نَكفَ، قيل في المتعدي: أَنكَفَه، أَي نَزَّهه عما يُسْتَنكَف منه، ويقال: تَنكَّفْتُ عن فلان، بمعنى تَنَزَّهتَ، قَالَ حاتمٌ الطائيُّ[٢]:

وذلك أَنِّي لا أعادي سَرَاتَهُمْ ولا عن أَخي ضَرّائهمْ أتنكَّفُ[٣]

وقال الزجّاج[٤]: استنكَفَ الرجلُ، أي أنِفَ، أصلهُ مأخوذ من نكفْتُ الدمعَ، إذا نحيَّتَه بإصبعك عن خَدِّك.

---

[١] أخرجه الطبرانيُّ في "الدعاء" (١٧٥٥).

[٢] حاتم بن عبدالله الطائي: فارس جواد يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيئ). أدرك ولداه الإسلام فأسلما.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَرَسْماً جَديداً مِن نَوارَ تَعَرُّفُ تُسائِلُهُ إِذ لَيسَ بِالدارِ مَوقِفُ).

[٤] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج البغدادي (٢٤١ - ٣١١ هـ): نحوي من العصر العباسي، «من أهل العلم بالأدب والدين المتين» كما وصفه ابن خلكان. صنف العديد من الكتب، أشهرها كتاب معاني القرآن في التفسير، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف وكتاب

وقولك: سبحانَ الله، معناه سَبَّحتُ اللهَ ونزَّهتُه عن كل عيْب، فنُصِب عَلَى مذهب المصدر.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ"[١].

قولها: يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ: يريد قولَه عَزَّ وجَلَّ: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}.

وأخبرني الحسنُ بنُ خَلّاد قَالَ: سَأَلتُ الزَّجَّاجَ عن قَولِهم سبحانَك اللهم وبحمدِك، والعِلَّة في ظهور الواو؟ فَقَالَ: سألتُ أبا العباس محمدَ بنَ يزيد[٢] عما سألْتني عنه فَقَالَ: سألتُ أبا عثمان المازني[٣] عما سألْتني عنه فَقَالَ:

تفسير أسماء الله الحسنى. صحب وزير الخليفة العباسي المعتضد بالله عبيد الله بن سليمان، وعلم ابنه القاسم بن عبيد الله الأدب.

[١] متفق عليه.

[٢] أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبَرِّد ينتهي نسبه بثمالة، وهو عوف بن أسلم من الأزد. (٢١٠ – ٢٨٥): أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري.

[٣] أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازني (ت٢٤٧ هـ): نحوي ومتكلِّم من البصرة، ومن أشهر علماء عصره، ويُعدُّ شيخ المدرسة البصرية في النحو. امتلك المازني براعة في التصريف إلى جانب تعمُّقه في النحو، وهو أوَّل من ألَّف كتاباً مستقلاً يختصُّ بعلم الصرف. وكان للمازني إلى جانب

المعنى سبَّحتُك اللهُمَّ بجميع آلائِك وبحَمْدك سبَّحتُك، قَالَ: ومعنى سُبْحانَك سَبَّحتُك.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ"[١].

عن ثَعْلب قَالَ: الْمُزْعَةُ النُّتْفَةُ من اللحم، قال غيرُه: يقال: ما له جُزْعَةٌ ولا مُزْعة، فالجُزْعة ما بَقِيَ في الإناء، والْمُزْعَةُ القِطعَةُ من الشَّحم، وأصله من قولك: مَزعْتُ اللحمَ والشيءَ، إذا قطعتَه، قَالَ مُتَمِّمُ بن نُوَيْرة[٢]:

بِمَثْنى الأَيادي ثُمَّ لم يُلْفَ مالِكًا عَلَى الفَرْثِ يحمي اللحمَ أن يتَمَزَّعا[٣]

أبي عمر الجرمي دور في ترسيخ مبادئ النحو البصري في تلك الفترة واستكمال تدوينه، ومن ثمَّ نقل المذهب البصري إلى تلامذتهما.

[١] متفق عليه.

[٢] متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو نهشل: شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه. اشتهر في الجاهلية والإسلام. أشهر شعره رثاؤه لأخيه (مالك) ومنه قوله: (وكنا كندماني جذيمة حقبة=من الدهر، حتى قيل: لن يتصدعا) وندمانا جذيمة: (مالك وعقيل) سكن متمم المدينة، في أيام عمر، وتزوج بها امرأة لم ترض أخلاقه لشدة حزنه على أخيه.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي يرثي فيها أخاه مالكًا، ومطلعها: (لعمري وما دهري بتأبين هالكٍ ولا جَزِعٍ مما أصابَ فأَوجعا).

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "أَنَّ رَجُلًا غَضِبَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَارَ أَنْفُهُ كَأَنَّهُ يَتَمَزَّعُ"، أَيْ يَتَقَطَّعُ وَيَتَشَقَّقُ، رَوَاهُ أَبُو عُبَيْد فِي كِتَابِهِ ثُمَّ قال: يتمزَّع ليس بشيء، إنما يترمَّع، أي يَرْتَعِدُ، ولَسْتُ أَدرِي لِمَ أنكرَ الصَّوابَ واختار غيرَه؟ وإنما هُوَ يتَمزَّع، كذلك رواه الأثبات.

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى يُخَيَّلَ إِلَيَّ أَنَّ أَنْفَهُ يَتَمَزَّعُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ مِنَ الْغَضَبِ" فَقَالَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ " تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"[١].

ومعنى الحديث الأَوَّل أنه يَأْتي الله يومَ القيامة ذليلًا ساقِطَ القَدْر لا وَجْهَ له عند الله.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ: "فَيَلْقَى اللهَ وما في وجهه لُحَادَةٌ مِن لَحْم": أي قطعة من لحم، وفي رواية أخرى "ووجهُه عَظْم كُلُّه".

---

[١] رواه أحمد والنسائي والترمذي.

وَعَنْ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو [١] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْأَلُ حَتَّى يُخْلِقَ وَجْهَهُ، فَيَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ"[٢].

وهذا في الرجل يَسألُ عن غير حاجة، إنما يقصد الاستكثار من المال ويريد الاستِئْثارَ به عَلَى الناس.

فأمّا مَنْ سأل لِفاقَةٍ نزلتْ به أو جائحةٍ أصابتْه فالمسألةُ مُبَاحَةٌ له إلى أن يستغنيَ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا الْبَابِ أَخْبَارٌ مِنْهَا قَوْلُهُ: "لا تَحِلُّ الْمَسْأَلَةُ إِلا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ دَمٍ مُوجِعٍ"[٣].

فالفقر الْمُدقِع هُوَ الفَقْر الشديد الْمُفْظِعِي به إلى الدَّقْعاءِ وهو التُّراب، والدَّمُ الموجِع أن يتحمَّل الرجلُ الدِّيَةَ فيَسْعى فيها حتى يُؤَدِّيها إلى أولياءِ المقتول،

---

[١] مسعود بن الربيع بن عمرو القاريّ (المتوفي سنة ٣٠ هـ): صحابي بدري، من السابقين إلى الإسلام. هاجر إلى يثرب، وشارك مع النبي في غزواته كلها.

[٢] رواه ابن الأعرابي في معجمه: ٨١١.

[٣] انظر: هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة، ومعه تخريج الألباني للمشكاة.

وبيانُ هذا في حديثِ قَبِيصَة بن مُخارق الهلالّي[١] قَالَ: "تَحَمَّلْتُ بِحَمَالَةٍ[٢] فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: "نُؤَدِّيهَا أَوْ نُخْرِجُهَا عَنْكَ إِذَا قَدِمَتْ نَعَمُ الصَّدَقَةِ" ثُمَّ قَالَ "إِنَّ الْمَسْأَلَةَ حُرِّمَتْ إلا فِي ثَلاثٍ: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ وَحَاجَةٌ حَتَّى شَهِدَ أَوْ تَكَلَّمَ ثلاثةٌ من ذوي الْحِجَى أَنَّ بِهِ فَاقَةً وَحَاجَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ فَاجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ سُحْتٌ"[٣].

وعَنْ مَعْمَرٍ عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَتَسَاءَلُ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ: "نَعَمْ! يَسْأَلُ فِي الْفَتْقِ[٤] يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ، فَإِذَا بَلَغَ أَوْ كَرَبَ أمسك"[٥].

---

[١] قبيصة بْن المخارق بْن عَبْد اللَّه بْن شداد بْن رَبِيعة العامري الهلالي: عداده فِي أهل البصرة، وفد عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وله صحبة.

[٢] الحَمالَةُ: المالُ الَّذي يَتحمَّلُه الإنسانُ ويَستَدِينُه ويَدْفَعُه في إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ، كالإصلاحِ بيْن قَبِيلتيْنِ، ونحْوِ ذلك.

[٣] رواه مسلم.

[٤] الفتق: الحرب تقع بين الفريقين، فيكون فيها الجراحات.

[٥] انظر: شرح السنة للبغوي: ١٦٢٧ .

يريد بالفَتْق: التَّشاجُرَ والاختلافَ بسبب الدّماء، وأصل الفَتق الشَّقّ، يريد شَقَّ العصا وتفرّقَ الكلمة بعد اجتماعها.

فَأَمَّا حَدِيثُ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ[١] أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ "الْمَسَائِلُ كُدُوحٌ يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا"[٢]، فَإِنَّ هَذَا فِي سُؤَالِ الْمَرْءِ حَقَّهَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لا يضعُ هذا الحديثَ موضعَه ويرى أنه رُخْصةٌ في تناول ما تَحْوِيه أيدي بَعضِ السلاطين من غَصْب أموال المسلمين، ونعوذُ بالله من الجهل.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَهُ فَأَشْرَفُوا عَلَى حَرَّةِ وَاقِمٍ، فَإِذَا قُبُورٌ بِمَحْنِيَةٍ"[٣].

الْمَحْنِيَةُ: مُنْحَنَى الوادي ومنعرجُه حيث ينعطِف، قاله الأصمعي وغيرُه، قَالَ الشاعر:

وَمَحْنِيَةٍ كسوادِ البجا دِ قد خُضْتُ بالليل عُقَّارَها[٤]

---

[١] سمرة بن جندب (المتوفي سنة ٥٨ هـ): صحابي من صغار الصحابة، وأحد رواة الحديث النبوي.

[٢] أخرجه أبو داود (١٦٣٩) واللفظ له، والترمذي (٦٨١)، والنسائي (٢٥٩٩)، وأحمد (٢٠٢٧٨) باختلاف يسير. وصححه الألباني.

[٣] أخرجه أبو داود. والحَرَّة: الْأَرْض ذَات الْحِجَارَة، وَوَاقِم: أُطُم مِنْ آطَامِ الْمَدِينَة، وَإِلَيْهِ تُنْسَب الْحَرَّة.

[٤] البيت منسوب لابن وداعة الهذلي في المخصص ٨/ ٦٠؛ ولم أقع عليه في شرح أشعار الهذليين.

ومنه حِنْو الوَادِي، وكُلُّ شيءٍ فيه اعْوِجاجٌ فهو حِنْوٌ، والجمع الأَحْنَاء.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "كَانَتْ نُبُوَّةَ رَحْمَةٍ، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةَ رَحْمَةٍ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا يُمَلِّكُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، ثُمَّ تَكُونُ بَزْبَزِيًّا[١] قَطْعَ سَبِيلٍ وَسَفْكَ دِمَاءٍ وَأَخْذَ أَمْوَالٍ بِغَيْرِ حَقِّهَا"[٢].

قَوْلُهُ: بَزْبَزِيًّا، هَكَذَا رَوَاهُ لَنَا الْمُحَدِّثُ عَنْ مُوسَى بْنِ هَارُونَ، فإن كان محفوظًا فهو من البَزْبَزة، وهو الإسراع في السير والاستعجالُ فيه، يُريد بذلك عَسْفَ الوُلاةِ وإسراعَهم إلى الظلم، قال الشاعر:

وساقَها ثَمَّ سِيَاقًا بَزْبَزَا[٣]

---

[١] بَزْبَزِيًّا: استيلاء، منسوبًا إلى البَزْبَزة، وهي الإسراع في الظلم والخِفّة إلى العسف.

[٢] انظر: التكملة والذيل والصلة للصغاني: (ب ل ز).

[٣] في لسان العرب بلا نسبة، وتمامه: ثم أصاب ساعة فعقفزا ثم اعتلاها فزحا وارتمزا وساقها ثَم سياقًا بزبزا.

وقال أبو عمرو الشيباني[١]: يقال: رجلٌ بَزبز وبَزابز، أي شديد، وقال بعضهم: إنما هُوَ بِزِّيزَى[٢]، عَلَى وَزْن فِعِّيلَى، من قولهم: "مَن عَزَّ بَزَّ"[٣]، أي مَن غَلَب سَلَب.

ومِمَّا جاء عَلَى وزنه من المصادر: الخِلِّيفَى والرِّمِّيَّا، ونظائرُها.

- فِي حَدِيثِ النبي عليه السلام: "أنه كان يمسحُ الماقِيَيْن"[٤].

الماقِيان: تثنية مأق، وهو طَرَفُ العينِ الَّذِي يلي الأنفَ، وهو مَخرَج الدَّمْع[٥]، فأما الطَّرَف الآخر فهو اللِّحاظ، قَالَ الأصمعي: فيه لغات: هُوَ الْمُؤْق، ويجمع عَلَى آماق، وبعض العرب يقول: مأْقٌ، كما ترى، مهموزٌ مرفوع آخره، ويجمع أيضًا كالأَوّل، قَالَ: وبعض العرب تقول مُؤْقٍ، كما ترى، مهموزٌ

---

[١] أبو عمرو إسحاق بن مِرار الشيباني (١١٠ - ٢٠٦هـ): نحوي وعالم لغة عربية، عُدَّ من الثقات وروى الحديث، وكان له اهتمام بالشعر حيث جمع أشعاراً لأكثر من ثمانين قبيلة. ولد أبو عمرو واستقر في الكوفة، وهو أعجمي الأصل كانت أمه نبطية، وبعد مجاورته لقبيلة شيبان انتسب إليها وسُمِّي باسمها. انتقل بعدها إلى بغداد وظل فيها حتى مماته.

[٢] والبِزِّيزَى: السّلاح.

[٣] «مَن عَزَّ بَزَّ» مقولة جرت مجرى المثل، قائلها عبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي الشهير أحد أصحاب المعلقات، والقول مرتبط بقصة.

[٤] انظر: الغريبين في القرآن والحديث للهروي، أبي عبيد.

[٥] ومنه المآقي، جمع المأْق.

مخفوضٌ، ويجمع عَلَى مآقٍ، قَالَ: وبعض العرب يقول: مَاقٍ، غير مهموز، والجمع مواقٍ، مثل قاضٍ، والجمع قَواضٍ، وبهذه اللغة جاء الخبر، قال أبو حَيَّة النُّمَيْرِيّ[١]:

لَعَيناكَ يومَ البَيْنِ أسرعُ واكفًا من الفنِنِ الممطورِ وهو مَرُوحُ
إذا قلتُ يفنى ماؤها اليومَ أصبحتْ غَدًا وهي رَيّا الماقِيَيْنِ نَضُوحُ[٢]

وقال كُثَيِّر[٣]:

---

[١] الهيثم بن الربيع بن زرارة، من بني نمير بن عامر، أبو حية: شاعر مجيد، فصيح راجز، من أهل البصرة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مدح خلفاء عصره فيهما. قيل في وصفه: كان أهوج (به لوثة) جباناً بخيلاً كذاباً، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشب فرق، يسمّيه (لعاب المنية). مات في آخر خلافة المنصور (سنة ١٥٨ هـ).

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ألا يا غراب البين فيم تصيحُ ... فصوتك مشنوءٌ إليّ قبيحُ).

[٣] كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر. شاعر، متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وفد على عبد الملك بن مروان، فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاختص به وببني مروان، يعظمونه ويكرمونه. وكان مفرط القصر دميماً، في نفسه شمم وترفع. يقال له (ابن أبي جمعة) و(كثير عزة) و(الملحي) نسبة إلى بني مليح، وهم قبيلته. قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدمون عليه أحداً. أخباره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة. وكان عفيفاً في حبه، قيل له: هل نلت من عزة شيئاً طول مدتك؟ فقال: لا والله، إنما كنت إذا اشتد بي الأمر أخذت يدها فإذا وضعتها على جبيني وجدت لذلك راحة. توفي بالمدينة.

كأنهُ حين مارَ الماقِيانِ بهِ دُرٌّ تَسَلْسَلُ مِن أسلاكِهِ نَسَقُ[١]

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: "مَنْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ فِي إِسْلامٍ دَامِجٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ"[٢].

الدامِجُ: المجتمِع المنتَظِم، وأصل الدُّموج دخولُ الشّيء في الشيء، يقال: مَتْنٌ مُدْمَجٌ ورجلٌ مُدْمَجُ الخَلْق، إذا كان مجدولَ الخَلْق، وكلامٌ مُدْمَجٌ وخَطٌّ مُدْمَجٌ وهو الْمُداخَلُ، قَالَ حُمَيْد الأرقط[٣]:

حتى اتَّقَوْا بالطَّاعةِ الدُّماجِ وتَركَ النَّاسَ عَلَى منْهاجِ[٤]

وقال ابنُ مَيَّادَة[٥]:

بِشَعْفٍ عَلَى حين المشيبِ يهِيجُهُ غِناءُ الحَمامِ الدَّامجاتِ الهواتِفِ[٦]

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلِم بِعَزَّةَ إنَّ الرَكبَ مُنطَلِقُ وَإن نَأَتكَ وَلَم يُلمِمْ بِها خَرَقُ).

[٢] أخرجه الطَّبَرَانِيّ والخطابي فِي الْعُزْلَة من حَدِيث ابْن عَبَّاس بِسَنَد جيد.

[٣] حميد بن مالك الأرقط: شاعر إسلامي مجيد، لقب بالأرقط لآثار كانت بوجهه.

[٤] لم أجده.

[٥] ابن ميادة: الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني، وميادة أمه واشتهر بنسبته إليها، وهو شاعر عربي من المخضرمين من شعراء العصر الأموي والعباسي، كان يهجو الشعراء ويتعرض لهم في شعره، توفي عام ١٤٩هـ.

[٦] لم أجده.

يريد الدَّاخِلات في أوكارهن.

وفيه وجهٌ آخر، وهو أن يقال: وهُمْ في إسلامٍ داجٍ، أي تامٌّ وافٍ.

وفي كلام بَعضِ الفُصَحاء: كان ذَلِكَ منذ دَجَا الإسلام، ومثله قولُهم: عيشٌ داجٍ، ومنه قول الأعرابي، وقيل له: بأيّ شيء تَعرِف حَمْل شَاتِك؟ فَقَالَ: إذا استفاضَتْ خاصِرتَاهَا ودَجَت شعرتها[١].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أَبْرِقُوا؛ فَإِنَّ دَمَ عَفْرَاءَ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْ دَمِ سَوْدَاوَيْنِ"[٢].

قوله: أَبرِقُوا، معناه: ضَحُّوا بالبَرْقَاء، وهي الشَّاة التي يَشُقُ صُوفَها الأبيضَ طاقاتٌ سُودٌ، قَالَ رؤبة يصف الأسد:

دُبْسًا ونُمْرًا في شَمِيطٍ أبرقَا[٣]

ويقال للمكان الَّذِي يخالِط تربتَه حجارةٌ: أبرقُ وبُرقَةٌ، والعَفْراءُ التي يَضرب لونُها إلى البياض، أُخِذت من عُفْرةِ الأرض، وهي لَونُها الأغبر، ومنه قيل

---

[١] اللسان: "دجا": دجا شعر الماعزة: ألبس وركب بعضه بعضًا ولم ينتفش.

[٢] ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ١٨ بدون لفظ: "أبرقوا" وقال: وراه الطبراني في الكبير، وفيه مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ مَسْمُولٍ وهو ضعيف. وأخرجه أحمد ٢/ ٤١٧ من حديث أبي هريرة.

[٣] في ديوانه من أرجوزته التي يمدح فيها مروان بن محمد، ومطلعها: (أَرَّقَنِي طارِقُ هَمٍّ أَرَّقَا وَرَكْضُ غِرْبانٍ غَدَوْنَ نُعَّقَا) وقبل البيت: (تَرَى لَهُ بَرَانِساً وَيَلْمقا دُبْساً وَنُمْراً فِي شَمِيط أَبْرَقا).

للظِّباء: العُفْرُ، ولِولدِ البقرة اليَعْفُور، يقال: أَعْفَرُ ويَعْفُورُ وأَخْضَرُ ويَخْضُورُ، ورُوي هذا الخبر عن أبي هُريرة فَقَالَ: "دمُ بيضاءَ أحبُّ إلى الله مِن دمِ سَوداوين"[١].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَتَبَ لِوَائِلِ بْنِ حُجْرٍ[٢]: "مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى المهاجِر بن أبو[٣] أُمَيَّةَ أَنَّ وَائِلًا يُسْتَسْعَى وَيَتَرَفَّلُ عَلَى الأَقْوَالِ حَيْثُ كَانُوا مِنْ حَضْرَمَوْتَ"، وَكِتَابًا آخَرَ "لِلأَقْوَالِ شَبْوَةَ بِمَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ مُلْكٍ وَعُمْرَانٍ وَمَزَاهِرَ وَعُرمَانَ وَمِلْحٍ وَمَحْجِرٍ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ بِحَضْرَمَوْتَ أَعْلاهَا وَأَسْفَلِهَا مِنَ الْجِوَارِ وَالذِّمَّةِ، اللَّهُ لَهُمْ جَارٌ وَالْمُؤْمِنُونَ أَنْصَارٌ

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده، وإسناده ضعيف، فيه أبو ثفال، قال البخاري فيما نقله عنه العقيلي في "الضعفاء" ١/١٧٧: أبو ثفال المري عن رباح بن عبد الرحمن: في حديثه نظر.

[٢] كان وائل بن حُجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي قيلاً من أقيال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم. وفد على رسول الله، وكان رسول الله قد بشر أصحابه بقدومه قبل أن يصل بأيام، وقال: يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة، من حضرموت، طائعاً راغباً في الله عز وجل وفي رسوله، وهو بقية أبناء الملوك. فلما دخل عليه رحب به وأدناه من نفسه، وقرب مجلسه وبسط له رداءه، وأجلسه عليه مع نفسه، وقال: اللهم، بارك في وائل وولده. واستعمله النبي على الأقيال من حضرموت وأقطعه أرضاً. وشهد مع علي صفين، وكان على راية قبائل حضرموت يومئذ .

[٣] هكذا، وسوف يفسرها الخطابي بعد قليل.

إِنْ كُنَّا صَادِقِينَ"، وَكِتَابًا آخَرَ إِلَى :الأَقْوَالِ الْعَبَاهِلَةِ لا شِغَارَ وَلا وِرَاطَ[١] لِكُلِّ عَشَرَةٍ مِنَ السَّرَايَا مَا يَحْمِلُ القراب من التمر"[٢].

---

[١] الأقوال: جمع قَيل، وأصله قَيِّل، فَيْعل، من القول، فحذفت عينه، واشتقاقه من القول، كأنه الذي له قول: أي ينفذ قوله. والعباهلة الذين أُقروا على ملكهم لا يزالون عنه. والشِّغار: أن يشاغر الرجلُ الرجلَ، وهو أن يزوجه أخته على أن يتزوجه هو أخته ولا مهر إلا هذا، والوِرْطة، وهي خداع المصَدِّق، بأن يكون له أربعون شاة، فيعطى صاحبه نصفها لئلا يأخذ المصدق شيئا، مأخوذ من الورطة، وهي في الأصل الهوة الغامضة.

[٢] انظر: مجمع البحرين في زوائد المعجمين الأوسط والصغير للطبراني، لنور الدين الهيثمي، في مناقب وائل بن حجر، والحديث فيه بتمامه عن وائل بن حجر، قال: لما بلَغَنا ظهورُ رسول الله ﷺ خرجت وافداً على قومي، حتى قدمتُ المدينة، فلقيت أصحابه قبل لقائه، فقالوا: قد بشرنا بك رسول الله ﷺ من قبل أن تقدم علينا بثلاثة أيام، فقال: قد جاءكم وائل بن حجر، ثم لقيته ﷺ، فرحب بي، وأدنى مجلسي، وبسط لي رداءه، فأجلسني عليه، ثم دعا في الناس، فاجتمعوا إليه، ثم اطلع المنبر وأطلعني معه وأنا دونه، ثم حمد الله، وقال: يا أيها الناس! هذا وائل بن حجر، أتاكم من بلاد بعيدة من بلاد حضرموت طائعاً غير مكره، بقية أبناء الملوك، بارك الله فيك يا وائل وفي ولدك، ثم نزل، وأنزلني معه، وأنزلني منزلًا شاسعاً عن المدينة، وأمر معاوية بن أبي سفيان أن يُبَوئني إياه....، فلما أردت الرجوع إلى قومي، أمر لي رسول الله ﷺ بكتب ثلاثة، فيها كتاب لي خالص، يفضّلني فيه على قومي، وكتاب لي ولأهل بيتي بأموالنا هناك، وكتاب لي ولقومي. في كتابي الخالص: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبي أمية، أن وائلًا يُستسعَى، ويترفل على الأقوال حيث كانوا من حضرموت. وفي كتابي الذي لي ولأهل بيتي: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبي أمية لأبناء معشر، وأبناء ضمعاج أقوال شنوءة، فما كان لهم فيها من ملوك ومزاهر، وعمران وبحر، وملح، ومحجر، وما كان لهم من مال اتّرثوه، وما كان لهم فيها من مال بحضرموت أعلاها، وأسفلها، مني الذمة والجوار، الله لهم جار، والمؤمنون على ذلك

قوله: يُسْتَسْعَى: أي يُوَلَّى أَمرَ الصدقات، ويقال للمُصدِّق: السَّاعِي، قَالَ الشاعر:

يا أيها السَّاعي عَلَى غَيْر قَدَمْ

وقوله: يترفَّل: معناه يتَرأسُ: قَالَ ذو الرُّمَّة[1]:

إذا نَحن رفَّلْنَا امرأً سادَ قَومَهُ وإنْ لم يكن مِن قبلِ ذَلِكَ يُذْكَرُ

ويُروى: رَقَّلنا، بالقاف.

واختلفوا في تفسير هذه الأسماء، فَقَالَ لي كُعَيْدنَةُ بن مِرْفَد، رجل من أهل اليمن، إنها بلاد من حَضْرَمَوْت أَقطَعَها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيّاهم، وقال لي: أنا أَعرِف مَحْجِر، وهي قَريةٌ معروفة فيها، وقال لي غيرهُ من أهل حَضْرموت: بل هُوَ الْمَحْجِنُ.

أيضاً. وفي كتابي الذي لي ولقومي: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى وائل بن حجر، والأقوال العياهلة من حضرموت: بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة من الصرمة التيعة، ولصاحبها التبعة، لا جلب ولا جنب، ولا شغار، ولا وراط في الإسلام، لكل عشرة من السرايا ما تحمل القراب من التمر، من أجبى فقد أربى، وكل مسكر حرام.

[1] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (خليلي لا رسم بوهبين مخبرُ ... ولا ذو حجاً يستنطق الدار يعذرُ).

والاحِتجانُ: الاحتِظار للشَّيء، وقال أبو عَمْرو[١]: هُوَ الْمَحْجِر، وهو الحديقة، والمحاجِرُ الحدائِقُ، وأَنْشَد للبِيدٍ[٢]:

بَكَرتْ به جَرَشِيَّةٌ مَقْطُورَةٌ تُروِي المحاجِرَ بازِلٌ عُلْكُومُ[٣]

قَالَ: ومحاجِرُ النخل: حظائرُ تُتخذ حولها.

فأما الْمَحْجَر - بفتح الجيم - فهو الْمُحَرَّم، من الحَجْر، قَالَ حُمَيْد بن ثور[٤]:

فهممْتُ أن أَغْشَى إليها مَحْجَرًا ولَمِثْلُها يُغْشَى إليها الْمَحْجَرُ[٥]

---

[١] أبو عمرو الشيباني: أبو عمرو إسحاق بن مِرار الشيباني (١١٠ - ٢٠٦هـ): نحوي وعالم لغة، عُدَّ من الثقات وروى الحديث، وكان له اهتمام بالشعر حيث جمع أشعاراً لأكثر من ثمانين قبيلة. ولد أبو عمرو واستقر في الكوفة، وهو أعجمي الأصل كانت أمه نبطية، وبعد مجاورته لقبيلة شيبان انتسب إليها وسُمِّي باسمها.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (طَلَلٌ لِخَوْلَةَ بالرُّسَيْسِ قديمُ ... فبِعاقِلٍ فَالأَنْعَمَيْنِ رُسُومُ).

[٣] جرشية: التي انتسبت إلى جرش. مقطورة: أي مطلية بالقطران. البازل: الطاعن في السن. العلكوم: الضخمة ذات اللحم الكثير.

[٤] حُمَيْد بن ثَوْر بن حزن الهلالي العامريّ (توفي ٣٠ هـ): من أصحاب النبي. شاعر مخضرم عاش في الجاهلية، وقضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام. شهد معركة حنين مع المشركين، ثم أسلم بعد، وحسن إسلامه.

[٥] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أبصرْتُ ليلةَ مَنزلي بتَبالةٍ والمرءُ تُسْهِرُهُ الهمومُ فيسهَرُ).

قَالَ: الحَضْرميّ: فأَما العُرمان فإنه يريد المزَارِع، قَالَ: والعَرِيمُ ما يُرفَع حول الدَّبْرة، ويُجمع عَلَى العُرمان، قَالَ: والعُرْمَةُ أيضًا الكَدِيسُ، وهو حَصِيد الزرع إذا دُقَّ قبل أن يُذَرَّى، يقال: نصب فلانٌ عُرْمَتَه، وهو أنْ يجمَعَها فيجعلَها هَدَفًا لوَجْه الريح.

وأَمَّا العَرِمَةُ فهي الْمُسَنَّاةُ[١]، قاله أبو عُبَيْدَةَ، قَالَ: ويُجمَع عَلَى العَرِم، ومنه قوله تَعالَى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ} وأَنشد لأَبي سُفيان بن الحارِث[٢]:

فمزَّقهم ربُّهم في البِلا دِ وغَرَّقَ فيها الزُروعَ العَرِمْ

قَالَ: والمَزَاهِرُ الرِّياض، وسُمِّيت مَزاهِرَ لأنها تجمع أصنافَ الزَّهْر والنّبات، يقال: روضة مُزهِرةٌ، إذا خرج أزاهيرُها، وجمعُها مَزاهِرُ، ويقال: ازْهَارَّ النَّبتُ، قَالَ كُثَيِّر[٣]:

سَقَى مُطْفِئاتُ الْمَحْلِ جَوْدًا ودِيَمَةً عِظامَ ابنِ ليلى حيث كان رَمِيمُها
فأمرعَ منها كلَّ وادٍ وتَلْعَةٍ سوائِلُ خُضْرٌ مُزهِئرٌ عَميمُها

---

[١] المسناة: سد لحبس المياه.

[٢] أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (المتوفى سنة ١٥ هـ): صحابي، وابن عم النبي. تأخر إسلامه حتى فتح مكة، ثم شهد مع النبي غزوتي حُنَين والطائف، وتوفي في المدينة المنورة في خلافة عمر بن الخطاب.

[٣] لم أجدهما في ديوانه، وفيه قصائد من الوزن والقافية.

يريد مزْهارُّ، فهَمَز لئَلا يَلْتَقِي السَّاكِنان، وكان الأعَمْش يَقْرأ: {مُدْهَأمَّتَانِ}، وقرأ أَيُّوب السِّخْتِياني {ولا الضَّأْلِّين}، أنشدني أبو عُمَر[١] عن ثَعْلب:

يا قومِ إني قَدْ رأيتُ عَجَبَا حِمارَ قَبّانٍ يسُوقُ أرنَبَا

خاطِمَها زَأَمَّها أنْ تَهْرُبا[٢]

يريد زَامَّها، من الزِمّام، فهَمَز لئَلا يَلتَقِي السَّاكِنانِ.

والعَباهِلُ الْمُلوكُ، وقد فَسَّره أبو عُبَيْدٍ، وفَسَّر قولَه: "لا شِغَارَ ولا وَرَاطَ".

وأما قولُه: ما يَحمِل القِرابُ من التَّمر، فإن الرِّواية هكذا جاءَتْ بالباء، ولا موضع للقراب ههنا، إنما القِرابُ قِرابُ السَّيفِ، وأُرَاهُ القِرافَ، بالفاء، جمع قَرْف، وقد يجمع أيضًا عَلَى القُروف، وهي أوعية من جلود يُحمَل فيها الزَّادُ للأَسفار، قَالَ الشاعِرُ، هُوَ مُعقِّر بن حِمار البارِقِيّ[٣]:

---

[١] أبو عمر الزاهد أستاذ الخطابي، المعروف بغلام ثعلب.

[٢] حمار قبان: دويبة مستديرة تتولد في الأماكن الندية، مرتفعة الظهر كأن ظهرها قبة، إذا مشت لا يرى منها سوى أطراف رجليها، وهي أقل سوادا من الخنفساء وأصغر منها ولها ستة أرجل. وقوله: زأمها، أصله زامّها: أي ممسكًا بزمامها. وأن تذهب: على تقدير حرف الجر: أي من أن تذهب، أو على تقدير مضاف محذوف، والأصل: مخافة أن تذهب.

[٣] عمرو بن سفيان بن حمار بن الحارث بن أوس البارقي: شاعر جاهلي من شعراء الجودة المقلين وفارس من فرسان الجاهلية، وسمي معقراً لقوله في رائيته المشهورة: (لها ناهض في الوكر قد مهدت

وذَبيانيَّةٍ وصَّتْ بَنِيها بأن كَذَبَ القَراطِفُ والقُروفُ[١]

والمعنى أنَّ عليهم أن يُزَوِّدوا السَّرِيَّةَ إذا مرّت بهم، لكل عشرةٍ منهم ما يُحمَل في مِزْوَدٍ.

وقوله: إلى المهاجر بن أبُو أُميَّة؛ فقد كان حَقُّه في الإعراب أن يُقالَ ابن أَبِي أُمَيَّة؛ لأنه مضاف إلى أبيه، ولكن لاشتهاره تُرِك عَلَى حالِه، كما قيلَ: عليٌّ ابنُ أبو طالب.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ ذَكَرَ قِصَّةَ الدَّجَّالِ الَّتِي حَكَاهَا عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ[٢] عَنِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ رَكِبَ الْبَحْرَ، وَأَنَّهُ رَآهُ فِي جَزِيرَةٍ مِنَ الْبَحْرِ مُكَبَّلًا بِالْحَدِيدِ، بِأَزْوِرَةٍ، وَرَأَى دَابَّةً يُوارِيها شَعْرُهَا؛ فَقَالُوا: مَا أَنْتِ؟ قَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ[٣]... فِي حَدِيثٍ فِيهِ طُولٌ.

له كما مهدت للبعل حسناء عاقر) وقد كف بصره في آخر عمره. كان حليفاً لبني عامر بن صعصعة وشهد معهم يوم شعب وله فيه شعر.

[١] في ديوانه من قصيدة مدح بها بني نمير بن عامر بن صعصعة، ومطلعها: (أَجَدَّ الرَكبُ بعدَ غَدٍ خُفوفُ وأضحَت لا تواصِلُكَ الأُلوفُ).

[٢] تميم بن أوس الداري اللخمي: أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، اشتهر بقصة لقائه بالجساسة والمسيح الدجال في عهد النبي. وكان راهب الأمة في عصره، وعابد أهل فلسطين، واستأذن عمر بن الخطاب في القصص، فكان يقص، وأول من أسرج السراج في المسجد.

[٣] حديث الجساسة رواه مسلم.

قَالَ أبو عَمْرو[١]: واحد الأَزْوِرَة زِوارٌ، وهو حبلٌ يُجعَل بين التَّصدير والحقَب، ويُدعَى ذَلِكَ الحبل أيضًا الشِّكال، يقال: شكلتُ عن البعير، وهو أن تَجْعَل بين الحقَب والتَّصْدِير خَيْطًا ثُمَّ تَشُدَّه لكيلا يدنوَ الحَقَبُ من الثِّيل، والمعنى أنه رآه وقد جُمِعت يَداه إلى صدره فشُدتْ هناك.

والزِّيارُ أيضًا كاللَّبَبِ للدَّابَّة، والشَّيءُ الَّذِي يَشُدّ به البَيْطارُ جَحْفَلَةَ الدَّابَّةِ إذا أراد بَزْغَها يُسَمَّى أيضًا زِيارًا.

ويقال إن هذه الدَّابَّةَ إنما تُدعَى الجَسَّاسة لأَنَّها تُجَسِّسُ الأَخبارَ للدَّجّال، فعَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ فَاطِمَةَ[٢] عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن تَمِيمًا الدَّارِيَّ حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ رَكِبَ الْبَحْرَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ: ورأى الجَسَّاسة دابَّةً أَهدبَ القِبالِ، يريد كَثْرَةَ الشَّعَر في قِبالها، وهو النَّاصيَةُ والعُرْفُ ونحوُه ونحو ذَلِكَ من مُقَدَّمها، وقُبالُ الشَّيءِ وقُبْلُه: ما استَقْبَلك منه، ومنه قِبال النَّعْل، وهو زِمامُها، ورُوِيَ عن عَبْد الله بن عمر أنه قَالَ: الدَّابةُ الهَلباءُ التي كلمت تميمًا هي دابَّةُ الأرض التي تُكلّمُ الناسَ، وفي رواية أخرى أنَّه قَالَ لهم أخبِروني عن نَخْل بَيْسَان هل أَطْعَمَ؟ قَالُوا نَعَم، قَالَ فأَخبِروني عن حَمَّةِ زُغَر هل فيها مَاءٌ؟ قالوا نعم تتدفق جَنَبتاها.

---

[١] الشيباني.

[٢] فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ أُخْتَ الضَّحَّاكِ بنِ قَيْسٍ، وَكَانَتْ مِنَ المهَاجِرَاتِ الأُوَلِ.

قوله: أَطْعَم: معناه أَثْمَر ما يُطْعَم، والحَمَّةُ العَيْن، وهي حَمَّة زغر معروفة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ رَجُلًا أَحْبَنَ، أَصَابَ امْرَأَةً فَسُئِلَ فَاعْتَرَفَ، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجُلِدَ بِأُثْكُولِ النَّخْلِ"[١].

حَدَّثَنَاهُ عن يحيى بن سعيد وَأَبِي الزِّنَادِ كِلاهُمَا عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ أَحَدُهُمَا: أَحْبَنُ، وَالآخَرُ مُقْعَدٌ، وَقَالَ أَحَدُهُمَا: أُثْكُولٌ، وَقَالَ الآخَرُ: إِثْكَالٌ.

الحَبَنُ: نُتوءُ البَطْن وانْدحاقُه لمرض، والأَحْبَن الَّذِي به دَاءُ السَّقْي، قَالَ رؤبة[٢]:

فَباتَ ذُو الدَّاءِ انتفاخَ الكوْدَنِ يَحْكِي مِنَ الغَيْظِ زفِيرَ الأَحْبَنِ

ويقال: إنما سُمِّيت أُمّ حُبَيْن، لنُتُوء بطنها.

وعن الأَصْمَعِيّ أَنَّ رَجُلًا تَجَشَّأَ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: دَعَوْتَ عَلَى هَذَا الطَّعَامِ أَحَدًا؟ فَقَالَ لا، قَالَ: فَجَعَلَهُ اللَّهُ حَبَنًا وَقُدَادًا.

قَالَ الأصمعي: القُدادُ وجَع في البطن، قال أبو عمرو: العِلَّوْصُ والعِلَّوْزُ جميعًا الوجَع الَّذِي يقال له اللَّوَى، يقال من ذَلِكَ: اعْلَوَّصَ واعْلَوَّزَ، إذا اعْتَراه ذَلِكَ.

---

[١] رواه الشافعي في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرى.

[٢] في ديوانه من أرجوزة يمدح فيها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ومطلعها: (يا أَيُّهَا الكاسِرُ عَيْنَ الأَغْضَنِ وَالْقائِلِ الأَقْوالَ ما لَمْ يَلْقَنِي).

والأُثْكُول والإثْكَالُ لغتان في العِثْكال والعثكول، وهو الشِّمراخ من شماريخ العذق، قَالَ الشاعر:

طَوِيلَةُ الأَقْناءِ والأَثَاكِلِ[١]

ويقال: العِثْكالُ: الإهانُ[٢]، ما دام رَطْبًا، فإذا يَبِس فهو العُرجُون، والعَيْن قد تُبدَل همزةً لقرب مخارجهما، وكذلك الهَمْزَةُ تُبدَل عَيْنًا، كقول الشاعر:

فَما أُبالي إذا ما كُنتِ جارَتنا عَلَّا يُجاوِرَنا إلّاكِ دَيَّارُ

يريد أَلّا.

وقال آخر[٣]:

ألم تَعْلَمي عَلَّا يَرُدَّ مَنِيَّتي قُعُودِي ولا يُدِنِي المماتَ رَحِيلي[٤]

---

[١] في اللسان قبل هذا البيت: لو أبصرت سعدى بها كتائلي طويلة الأقناء والأثاكلِ

[٢] الإهانُ: العُرْجونُ.

[٣] هو كَعْب بن سعد الغنوي: من بني غنيّ. شاعر جاهلي حلو الديباجة أشهر شعره (بائيته) في رثاء أخ له قتل في حرب ذي قار أولها (تقول ابنة العبسي قد شبت بعدنا...وكل امرئ بعد الشباب يشيب)وهو صاحب الأبيات التي منها: (ولست بمبد للرجال سريرتي .. ولا أنا عن أسرارهم بسؤول)

[٤] في ديوانه من قصيدته البائية التي مطلعها: (لقد أنصبتنى أمُّ قيسٍ تَلُومُني ... ومَا لَوْمُ مِثْلي باطِلاً بِجَميلِ).

وفي الحديث من الفقه أَنَّ المريضَ إذا وجب عليه الحدُّ وكان مَرَضُه ممَّا لا يُرجَى له بُرْء أُقِيم عليه الحَدُّ بالضَّرب الخَفِيف بالإِثْكالِ ونحوِه، وإنْ كان مما يُرجَى بُرؤُه انْتُظِر به حتى يَبْرأَ فيُقامَ عليه الحَدُّ بالضَّرب الموجِعِ، وكذلك إنْ كان في البَرِدِ الشديد والحَرِّ الْمُفرِط اللَّذين يُخافُ معهما التَّلَفُ، وأمّا إذا وجب عليه الرَّجْمُ فلا نَظِرةَ[١] في أمره؛ لأنه إنما يُرادُ به التَّلفُ، فلا وجه للاستِينَاءِ[٢] به، والله أعلم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ "[٣].

هذا حديثٌ مشهور وتفسيرُه عَلَى وجوه: منها أَنَّ مَنْ بَذَلَ مَعْرُوفَه في الدنيا أنالَه اللهُ معروفَه في الآخرة، ومنها أن يُرادَ بالمعروف خصوصًا الشَّفاعة في الْمُذنبين وذَوِي الزَّلات التي لا تَبلُغ الحدودَ، يَقول: مَنْ تَشَفَّع للنَاس في الدنيا شَفّعه الله في الْمُذنِبين في الآخرة، فيكون وَجِيهًا عند الله كما كان وَجِيهًا عند خلْقه، وقد رُوي هذا الوجه عن بعض السَّلَفِ.

---

[١] إمهال.

[٢] الإمهال.

[٣] أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) (٦٠٨٦)، والسيوطي في الجامع الصغير (٥٠٢٣)، وصححه الألباني.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ[١] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اشْفَعُوا إِلَيَّ فَلْتُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ"[٢].

وفيه وجهٌ آخر ذكره أبو العباس ثعلب، قَالَ: سألتُ ابنَ الأعرابيّ عن هذا فَقَالَ: يُروَى عن الشَّعْبِيّ أنه قَالَ: يأتي أصحابُ المعروف في الدنيا يومَ القيامة فيُغْفَرُ لهم بمعروفهم وتبقى حَسناتُهم جامَّة[٣] فَيُعْطُونها لَمنْ زَادَت سَيِّئاتُه عَلَى حَسَناتِه فيغْفُر له ربُّه عَزَّ وجَلَّ.

والمعروف: كل ما تعرفه النفوسُ وتسحسنُه العُقولُ من مكارم الأخلاق ومحاسِن الشِّيَم، وهي التي كانت لم تَزَل مُسْتَحْسَنَةً في كل زَمان وعند أهل كل مِلَّة، فلا تَزال كذلك لا يَجرِي عليها النَّسْخ ولا يجوز فيها التَّبْديل، وإلى هذا أشار النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: "إنَّ مِمَّا بَقِيَ من كلام النُّبُوَّةِ الأُولَى: إذا لم تَسْتَحْيِ فاصنعْ ما شئتَ"[٤]، يُرِيد أن الحياءَ لم يَزَلْ مُسْتَحْسَنًا في شرائع الأنبياء الأَوّلين، وأنه لم يُرفعْ ولم يُنْسَخْ في جملة ما نُسِخَ من شرائعهم.

---

[١] أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري: صحابي، وَلَّاهُ النبي صلى الله عليه و سلم على زبيد وعدن، وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، وولاه عثمان بن عفان على الكوفة، وكان المحكّم الذي اختاره علي بن أبي طالب من بين حزبه يوم صفين.

[٢] متفق عليه.

[٣] وفيرة زائدة.

[٤] تفرد به البخاري.

وقوله: فاصْنَع ما شئتَ، فيه وجهان: أحدهما أن يكون معناه إخبارًا كأَنَّه قَالَ إذا لم تَسْتَحْيِ صَنَعْت ما شئْت، أي أَتيتَ ما يَقْبُح ولم تَسْتَحْي ولم تُبال به، وإلى هذا أو نحوه أشار أبو عُبَيد، ووجه آخر وهو أَنْ يكون معناه اصنعْ ما شئتَ من أمرٍ لا يُسْتَحْيَا منه، أي ما يُسْتَحْيَا منه فلا تَفعلْه، وفيه وجه ثالث قَالَه أبو العباس ثعلب وهو أن يكون معناه الوعيد كقوله: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ}.

وَمِنَ الْمَعْرُوفِ حَدِيثُ أَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ[١] أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: "أُوصِيكَ أَنْ لَا تَسُبَّ النَّاسَ وَلَا تَزْهَدْ فِي مَعْرُوفٍ وَإِنِ اسْتَسْقَاكَ أَخُوكَ مِنْ دَلْوِكَ فَصُبَّ لَهُ وَالْقَهْ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ"[٢].

وفي غير هذه الرواية من طَرِيقِ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي السَّلِيلِ عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْمَعْرُوفِ فَقَالَ: "لا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَوْ بِشِسْعِ النَّعْلِ وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ الْحَبْلَ وَلَوْ أَنْ تُؤْنِسَ الْوَحْشَانَ"[٣].

قوله: "تُؤْنِسُ الوَحْشَان" فيه وجهان: أحدهما أن تَلْقَاهُ بما يُؤنِسه من القَوْلِ الجميل، وإنما هُوَ فَعْلان من الوَحْشَةِ، يقال: رجل وَحْشَان من قوم وَحَاشَى،

---

[١] أبو تميمة الهجيمي: تابعي معروف، اسمه طريف بن مجالد، ت ٩٥ هـ.

[٢] رواه السيوطي في الجامع، وصححه الألباني.

[٣] أخرجه أبو داود (٤٠٨٤) مطولاً بنحوه، والنسائي في (السنن الكبرى) (٩٦٩٤) واللفظ له، وأحمد (٢٠٦٣٢) باختلاف يسير. وصححه الألباني في السلسلة.

والوجهُ الآخر أنه أُرِيد به المنقطع بأرضِ الفَلاة المستوحِش بها، تَحْمِلهُ فتُبَلِّغُه المكانَ الآنِسَ الآهِلَ، والأولُ أَشْبَه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كُفِّنَ فِي ثَوْبَيْنِ صُحَارِيَّيْنِ وَثَوْبٍ حَبِرَةٍ"[١].

الصُّحْرَةُ: حُمْرَةٌ خَفِيَّةٌ كالغُبْرة، يقال: ثَوبٌ أَصحَرُ وصُحَارِيّ، ومُلاءَةٌ صَحْراءُ وصُحارِيَّة، وقال بعض أهل اللغة: الأصحَرُ ما كان لونُه لونَ الصَّحراء من الأرض، قَالَ الأصمعي: الأصْحَرُ قريبٌ من الأصهب، ويقال إِنَّ الصُّحارِيَّ مَنْسوبٌ إلى صُحار، وهي قريةٌ باليمن.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَيْطَتَيْنِ وَبُرْدٍ نَجْرَانِيٍّ"[٢].

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: "كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ وَقَمِيصِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ"[٣].

---

[١] رواه عبد الرزاق في المصنف: ٦١٦٧، وابن سعد في الطبقات.

[٢] رواه أحمد، وانفرد به.

[٣] رواه أبو داود.

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ: "أَنَّهُ كُفِّنَ فِي ثَلاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ"[١]، وهي المقصورة، من قولك: سَحَلْتُ الشيءَ بالْمِسْحَل، كما تقول: بردتُه بالْمِبْرَدِ، ويقال: سَحُولٌ، موضعٌ باليمن، نُسِبتْ إليه الثِّياب، وهذا أصحُ الأخبار لأنها أعلمُ بباطن أمرِه إذ كان قد حُجِب عنه الناسُ ووليَه نِساؤه وأَهلُ بيتِه، وقد مات في بيت عائِشَةَ وفي حِجْرها ودُفِن في حُجْرتها لم يَخْفَ عليها شيءٌ من أمره، ويشبه أن يكون – والله أعلم – لَمَّا مات سُجِّيَ ببُرْدٍ، فَمَن رآه مُسَجًّى به ظَنَّ أنه قد كُفِّن فيه.

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ: "أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَتَى الْبَيْتَ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ النبي صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ بُرْدَ حِبَرَةٍ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ"[٢]، وَقَدْ جَاءَ عَنْ عَائِشَةَ مَا رَفَعَ الإِشْكَالَ فِي هَذَا الْبَابِ، قَالَتْ: "أُدْرِجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَوْبٍ حِبَرَةٍ ثُمَّ أُخِّرَ عَنْهُ"[٣].

فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ شَكَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ[٤] إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اعْفُ عَنْهُ؛ فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَقَدْ

---

[١] متفقٌ عَلَيْهِ.

[٢] رواه البخاري: ١٢٤١.

[٣] رواه أبو داود في السنن، وسكت عنه، فهو صحيح.

[٤] ابن سلول رأس المنافقين.

جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ الْبَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُعَصِّبُوهُ بِالْعِصَابَةِ، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ"[١].

قوله: أهلُ البَحْرة، يُريد أهلَ المدينة، قَالَ الأُمويّ[٢]: البَحْرةُ الأرضُ والبَلْدَةُ، يقال: هذه بَحْرَتُنَا أي بَلدَتُنا، وقال ابنُ ميّادَةَ[٣]:

ورَبْعٍ مُحِيلٍ تَلعبُ الريحُ فوقَه قديمًا عَهِدْنا أَهلَه منذُ أَعْصُرِ

كأنَّ بَقَاياهُ بِبَحْرةِ مالكٍ بَقيَّةُ سَحْقٍ من رِداءٍ مُحَبَّرِ[٤]

---

[١] أخرجه البخاري في تفسير القرآن، ومسلم في الجهاد والسير.

[٢] أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي الأموي (١٣٨ – ٢٠٢ هـ): ولد في البصرة وسكن بغداد وقدم مكة وحدّث بها. أخذ العربية عن أبي عمرو بن العلاء وابن إسحاق الحضرمي. وأخذ اللغة والعروض عن الخليل بن أحمد. وقال ابن النديم: أكثرت السؤال عن اليزيدي ومحله من الصدق ومنزلته من الثقة، فقالوا: ثقة صدوق لا يدفع عن سماع ولا يرغب عنه شيء.

[٣] الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني المضري: شاعر رقيق، هجاء، من مخضرمي الأموية والعباسية، قالوا: (كان متعرضاً للشر طالباً لمهاجاة الناس ومسابة الشعراء). وفي العلماء من يرى أنه أشعر الغطفانيين في الجاهلية والإسلام، وأنه كان خيراً لقومه من النابغة. مدح من الأمويين الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومن الهاشميين المنصور، وجعفر بن سليمان، كان مقامه بنجد، يفد على الخلفاء والأمراء ويعود. اشتهر بنسبته إلى أمه ميادة.

[٤] لم أجدهما في الديوان.

وقوله: يُعَصِّبوه أي يسوِّدوه، والسَّيِّدُ الْمُطاعُ يقال له الْمُعَصَّبُ؛ لأنه تُعَصَّبُ الأُمورُ برأسه، والتاجُ عندهم للمَلِك، والعِصَابةُ للسَّيِّدِ الْمُطاع في قومه، وقد جَمَعَهما هَوذَةُ بنُ عليٍّ الحَنَفِيّ[١] فَقَالَ الأعشى يَذْكُرُه:

مَنْ يَلْقَ هَوْذَةَ يَسجُدْ غيرَ مُمْتَنِعٍ إذا تَعَصَّبَ فوقَ التَّاجِ أو وَضَعا[٢]

ويقال: لم يكن في مَعَدٍّ مُتوَّجٌ غيرُه، ويقال للرئيس أيضًا الْمُعَمَّم، قَالَ الشاعر[٣]:

---

[١] هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي من بكر بن وائل: ملك اليمامة في نجد، وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام وفي العهد النبوي، كان ملكًا نصرانيًا حكم إقليم اليمامة النجدي وسيد من أسياد العرب، وزعيم بني حنيفة في الجاهلية، وشاعر ذو قدر عالٍ في قومه، له شرف وذكر، وصاحب تاج ورأي وحيلة.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (بانَت سُعادُ وَأَمسى حَبلُها اِنقَطَعا وَاِحتَلَّتِ الغَمرَ فَالجُدَّينِ فَالفَرعا).

[٣] هو المخبل السعدي، كما عند ابن قتيبة في المعاني الكبير في أبيات المعاني: ربيع بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي، من بني أنف الناقة، من تميم. شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام. هاجر إلى البصرة، وعمّر طويلاً، ومات في خلافة عمر أو عثمان. قال الجمحي: له شعر كثير جيد، هجا به الزبرقان وغيره، وكان يمدح بني قريع ويذكر أيام بني سعد (قبيلته).

رأيتُكَ هِرّيتَ العِمامةِ[١] بعدَما رأيتُكَ حينًا حاسِرًا لم تُعَصَّبِ[٢]

ويقال: إنما سُمِّي الرئيسُ مُعَمَّما عَلَى مثلِ ما ذكرتُ من مَذْهَبهم في تَسْمِيَته معَصَّبًا، ويقال: بل سُمِّي مُعَمَّمًا لأنه كان يعتَمُّ بعمامةٍ يُعرَف بها، وكان أبو أُحَيْحَة سَعيدُ بن العاص إذا اعتَمَّ لم يعتَمَّ قُرشِيٌّ إعظامًا له.

وعن أبي العباس ثعلب[٣]:

إذا الْمرءُ أَثْرى ثُمَّ قَالَ لقومِهِ أنا السَّيِّدُ الْمُفْضَى إليه الْمُعَمَّمُ

ولم يُعطِهِمْ مَالًا أَبَوْا أنْ يسُودَهمْ وهان عليهم فَقْدُهُ وهو أظْلَمُ[٤]

---

[١] هرّيت العمامة: لبس عمامة صفراء كما يلبس السادة، وكان السيد يعتم بعمامة مصبوغة بصفرة ولا يكون ذلك لغيره.

[٢] في ديوانه، وهو مطلع القصيدة وأحد بيتين، وبعده: (لَيالِيَ سَعدٌ في عُكاظَ يَسوقُها لَهُ كُلُّ شَرقٍ مِن عُكاظَ وَمَغرِبِ).

[٣] والبيتان للمغيرة بن حبناء: المغيرة بن عمرو بن ربيعة الحنظلي التميمي: شاعر، إسلامي. كان من رجال المهلب بن أبي صفرة. اشتهر بنسبته إلى أمه، أنفذ شعره في مدح المهلب وبنيه وذكر حربهم للأزارقة. وكان هو وأخواه (صخر ويزيد) شعراء فرساناً، وأبوهم شاعر. وكان المغيرة يهاجي أخاه صخراً. ومات شهيداً في نسف (بين جيحون وسمرقند) على مقربة من بخارى. وكان أبرص.

[٤] في ديوانه، وهما بيتان وحيدان.

وقوله: شَرِق بذلك، أي غَصَّ به، ويقال: غَصَّ الرجلُ بالطعام وشَرِق بالماء وشَجِي بالعَظْم، قَالَ الشاعر[١]:

يكادُ مِنْ تَنَحْنُحٍ وأَحِّ يحكي سُعالَ الشَّرِقِ الأَبَحِّ[٢]

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ[٣]: "أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم صلَّى الصبحَ بِمَكَّةَ، فَقَرَأَ سُورَةَ الْمُؤْمِنِونَ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى ذِكْرِ عِيسَى وَأُمِّهِ[٤] أَخَذَتْهُ شَرِقَةٌ فَرَكَعَ"[٥]، يُرِيدُ أَخَذَتْهُ سَعْلَةٌ فَعِيِيَ بِالْقِرَاءَةِ.

ومِن هذا أيضًا حديثُه الَّذِي يُروَى في تأخير الصلاة إلى شَرَق الموتى[٦]، قَالَ ابنُ الأعرابي: هُوَ من شَرَقِ الْمَيِّت بِرِيقه عند خروج نَفْسِه، فَشَبَّه ما بَقِيَ من

---

[١] هو رؤبة يصف رجلًا بخيلًا إذا سئل تنحنح وسعل.

[٢] في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (إِنِّي عَلَى جَنابَةِ التَنَحِّي وَعَضِّ ذاكَ المِغْرَمِ المِلحِّ).

[٣] عبد الله بن السائب ابن أبي السائب القرشي المخزومي المكي: قارئ أهل مكة. له صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. أخذ عنه أهل مكة القراءة، وعليه قرأ مجاهد وغيره من قراء أهل مكة، سكن مكة، وتوفي بها.

[٤] أي في قوله تعالى {وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}.

[٥] أخرجه الحميدي في مسنده، والشافعي في مسنده.

[٦] رواه الإمام مسلم موقوفًا على ابن مسعود، ولفظه: إنَّه سَتَكُونُ عليْكُم أُمَراءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاةَ عن مِيقاتِها، ويَخْنُقُونَها إلى شَرَقِ الموْتَى، فإذا رَأَيْتُمُوهُمْ قدْ فَعَلُوا ذلكَ، فَصَلُّوا الصَّلاةَ لِمِيقاتِها، واجْعَلُوا صَلاتَكُمْ معهُمْ سُبْحَةً. قوله "إلى شَرَقِ الموتى"، يعني عند آخرِ مَغِيبها، وشبَّهها بخروجِ نفسِ الآدميّ.

الوَقْت بما بقيَ من حياة الشَّرِق بروحِه، قَالَ غيره: شَرِقَتْ نَفسُ الْمَيّت، إذا زهَقَتْ، وشَرِقَتِ الشَّمسُ، إذا غابت، وشَرِقتْ، إذا بَدتْ، وأشرقتْ، إذا أضاءت.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الآخَرُ أَنَّهُ قَالَ: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ نَحْمَةً مِنْ نُعَيْمٍ"[١]، قَالَ مصعبُ بن عَبْد الله الزُّبَيْرِيّ[٢]: فسُمِّي النَّحَّامَ[٣]، فإن النَّحْمَةَ والنَّحِيمَ صوتٌ من الجَوْفِ، قَالَ رُؤبة:

بَيَّضَ عَيْنَيْهِ الْعَمَى الْمُعَمِّي مِنْ نَحَمانِ السيِّدِ النِّحَمِّ[٤]

---

[١] رواه ابن حجر في فتح الباري. ونعيم: هو نعيم بن عبد الله النحام: صحابي، اسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد القرشي العدوى المعروف بالناحم، سمي النحام لأن رسول الله قال (دخلت الجنة فسمعت نحمة من نعيم) فسمي النحام، أسلم نعيم قبل هجرة الحبشة وكان يكتم إسلامه وأقام بمكة وقدم مهاجرًا سنة ست ومعه أربعون من أهله فاعتنقه النبي وقبله، وكان نعيم النحام قديم الإسلام.

[٢] أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الزبيري (١٥٦ – ٢٣٦ هـ): عالم بالنسب والحديث وأيام العرب، علّامة بالأنساب، غزير المعرفة بالتاريخ، ثقة في الحديث، وله شعر حسن. وأمُّه هيّ أَمَةُ الجبَّار بنت إبراهيم بن جعفر بن مصعب بن الزبير بن العوام.

[٣] يعني أن نُعيماً سُمي النحام، بسبب ذلك.

[٤] في ديوانه من أرجوزته التي يمدح فيها الحارث بن سليم من آل عمرو، ومطلعها: (يا أُمَّ حُورَانَ اكْتُمِي أَوْ نُمِّي أَنِّهاتَ عَهْدُ العَرَبِ الصِيَمِّ).

وقال آخر:

ما لَكَ لا تَنْحِمُ يا رَواحَهْ إنَّ النَّحيمَ للسُّقاةِ راحَهْ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِالْبُرَاقِ، فَقَالَ ارْكَبْ يَا مُحَمَّدُ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ لأَرْكَبَ فَأَنْكَرَنِي، فَتَحَيَّا مِنِّي"[١].

قوله: تَحَيَّا مِنِّي[٢]، إنما هُوَ تَحَوَّى منّي، أبدل الواوَ ياءً، والتَّحَوِّي: أن يَلْتَوِيَ ويَسْتَدِير، ويقال: إنما سُمِّيت الحَيَّةُ لتحوِّيها، يقال: حَوِيَتِ الحَيَّةُ تَحْوَى، إذا استدارت، ويقال: بل سُمِّيَتْ حَيَّةً لِطُولِ حَياتِها، وهي فيما يقال طَوِيلَةُ الحياةِ، ويقال إنها من أطول الحيوان ذَماءً[٣].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ دَعَا بِشَيْءٍ نَحْوَ الْحِلابِ"[٤].

الحِلابُ: إناءٌ يَسَعُ حَلْبَةَ ناقةٍ، وهو الْمِحْلَب، بكسر الميم، فأما الْمَحْلَب، بفتح الميم، فهو الحَبُّ الطيّب الرّيح، قَالَ الشّاعر:

---

[١] أخرجه الترمذي وأحمد، بألفاظ أخرى.

[٢] فَتَحَيَّا مِنِي: أَيِ انْقَبَضَ وَانْزَوَى.

[٣] الذَّماءُ: بقيَّة الروح في المذبوح وغيره.

[٤] رواه البخاري. ونحو الحِلاب: أي مثل إناء الحلاب، وهو ما يَسَعُ حَلْبَ ناقةٍ.

وقَبرٍ تجاوزْتُ نَكْراءَهُ صُدودَ الهِزَبْرِ عن الثَّعلبِ
ولو شِئتُ بالرِّيحِ أَذْرَيتُهُ كطَحْنِ الرَّحا حَبَّةَ الْمَحْلبِ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ صَلَّى صَلاةً فَقَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي يَقْطَعُ الصَّلاةَ عَلَيَّ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَذَعَتُّهُ"[١].

قَوْلُهُ: ذَعَتُّهُ، يُرِيدُ خَنَقْتُهُ، أخبرني أبو عمر عن ثعلب قَالَ: يقال: ذَعَتُّه وسَأَتُّه وسأَبتُه بمعنى خَنَقْتُه، وأنشدنا:

ولا تزالُ بَكْرَةٌ تَغَّارَةْ[٢] يَسْأَبُها بحَبْلِهِ عُمَارَةْ

وعن الأصمعيّ قَالَ: كان عندنا رجلٌ يَشْتُم أبا بكر وعُمَر، فرأى في المنام عمرَ بن الخطاب، فَذَعَتَه عُمرُ ذَعْتَةً، فأَصْبَح الرجلُ وقد لَوَّثَ فِراشَه وجاءنا تائبًا.

وعن الْوَضِينِ بْنِ عَطَاءٍ قال: مَرَّ رَجُلٌ بِرَجُلٍ وَهُوَ يَخْنُقُ أَبَاهُ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ، فَأَرَادَ أن يُخَلِّصَهُ، فَقَالَ لَهُ آخَرُ: لا تَفْعَلْ؛ فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا يَذْغَتُ أَبَاهُ فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، هكذا قَالَ الْمَرْوَزِيُّ: يذغت، بالغين المعجمة، وهو غلط، والصواب يذعت، من الأول، والذَّعْتُ أيضًا أن تُمَعِّكَ الرجلَ في

---

[١] متفق عليه.

[٢] التغّارة: التي تشول بذنَبها وترغو.

التُّرابِ، فأما الذَّعْطُ فهو الذَّبْحُ الوَحِيُّ[١]، يقال: ذَعَطَه وسَحَطَه، إذا ذَبَحه، قَالَ الهُذَلِيُّ[٢]:

إذا وَرَدُوا مِصْرَهَم عُجِّلُوا من الموتِ بالهِمْيَعِ الذَّاعطِ[٣]

والهِمْيَع: الموتُ الْمُعَجَّل، ويقال: الهِمْيَغُ، بالغين أيضًا.

وفي الحديث من الفِقْه أن العَملَ اليَسِير لا يقطع الصَّلاةَ، وفيه إباحةُ دَفْع مَنْ يَمُرّ بين يديك في الصلاة، وقد قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَقَاتِلْه فإنه شيْطان"[٤]، يريد أن الشَّيطانَ يَحْمِله عَلَى ذَلِكَ، وفي بعض الأخبار: "فقاتِلْه فإنَّ مَعَه القَرِينَ".

---

[١] الوحيّ: السريع.

[٢] هو أسامة بن الحارث الهذلي: شاعر، جاهلي مخضرم من بني هُذيل، زاد عنه شهرة ولده سهم بن أسامة، وحفيده إياس بن سهم.

[٣] في ديوانه في شعر الهذليين، من قصيدته التي مطلعها: (ما أَنا وَالسَيرَ في مَتلَفٍ يُعَبِّرُ بِالذَكَرِ الضابِطِ).

[٤] متفق عليه.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ "أَنَّ النَّبِيّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – صلّى، فَجَاءَتْ بَهْمَةٌ تَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَا زَالَ يُدَارِئُهَا حَتَّى أَلْصَقَ بَطْنَهُ بِالْجِدَارِ"[١].

قَوْلُهُ: يُدَارِئُهَا: أَرَادَ يُدَافِعُهَا، مِنَ الدَّرْءِ، مَهْمُوزًا، وَلَيْسَ مِنَ الْمُدَارَاةِ الَّتِي تَجْرِي مَجْرَى الرِّفْقِ وَالْمُسَاهَلَةِ فِي الأُمُورِ.

وَالْبَهْمَةُ: السَّخْلَةُ، وَالذَّكَرُ وَالأُنْثَى فِيهِ سَوَاءٌ، قَالَ أبو زيد: يقال لأولاد الغنم ساعةَ تُوضَع من الضَّأْنِ والْمَعِز، ذَكَرًا كان أو أُنْثَى: سَخْلة، وجمعه سِخَالٌ، ثُمَّ هي البَهْمَةُ للذكر والأنثى، وَجَمْعُها بَهْم.

– فِي حَدِيثِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ جَارِيَتَيْنِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَاءَتَا تَشْتَدَّانِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي، فَأَخَذَتَا بِرُكْبَتَيْهِ، فَفَرَعَ بَيْنَهُمَا"[٢].

قَوْلُهُ: فَرَعَ بَيْنَهُمَا، يُرِيدُ أَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا، يقال: فرعْتُ بين القوم، إذا حَجزتَ بينهم، وفرعْتُ الفرسَ، إذا قَدَعْتَه باللِّجَام، ويقال: أَفرعتُه، بالألف، وفَرَعْتُ رأسَه بالعَصَا، إذا علاه بها، وافْتِراع البِكْر، وهو افتِضَاضُها، وهو مأخوذ من

---

[١] رواه أبو داود (٧٠٨)، والبيهقي (٣٥٨٥) وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

[٢] أخرجه النسائي (٧٥٤) ، وأبو داود (٧١٦)، وأحمد (٣١٦٧)، وصحح الألباني إسناده.

الفَصْل بين الشَّيئين، ويقال: بل هُوَ مأخوذ من إفراع اللِّجام الدَّابَّةَ، وهو أن يُدْمِيَ فَاهَا، قَالَ الأَعْشى[١]:

صَدَدْتَ عن الأعداء يومَ عُبَاعِبٍ[٢] صدودَ الْمَذاكي أقْرعتْها المساحِلُ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّه مَرَّ بِرَجُلٍ نُغَاشٍ، فَخَرَّ سَاجِدًا، ثُمَّ قَالَ: "أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ"[٣].

النُّغَاشُ: القَصير النَّاقِص الخَلْق، قَالَ النَّضْر بن شميل[٤]: رجل نُغاشي: أي قَصِير، وقَلَطِيٌّ، وهو فوق النُّغَاشِيّ، وسُئِل رجلٌ من أَئِمَّة أهلِ اللغة مِمَّن

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي يعير فيها قيس بن مسعود فراره يوم عباعب، ومطلعها: (يَلُمنَ الفَتى إن زَلَّتِ النَعلُ زَلَّةً وَهُنَّ عَلى رَيبِ المنونِ خَواذِلُ).

[٢] عُباعب: موضع فى ديار بكر.

[٣] رواه عبدالرزاق في المصنف بَابُ سُجُودِ الرَّجُلِ شُكْرًا: ٥٧٧٤.

[٤] النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم المازني التميمي البصري (١٢٢- ٢٠٣ هـ): قاضٍ ولغوي وراوٍ للحديث وفقيه، ولد بمرو ونشأ بالبصرة ثم غادرها إلى خراسان وأقام في نيسابور قليلاً. أخذ عن الخليل بن أحمد ولازمه مُدةً طويلةً، وأقام بالبادية زمناً فأخذ عن فصحاء العرب كأبي خيرة الأعرابي وأبي الدقيش وغيرهُما. وكان النضر من أهل السنة النبوية وهو أول من أظهرها بخراسان ومرو. وليَّ القضاء بمرو، وكان مُتقللاً مُتقشفاً زاهِداً. وله مع المأمون حكايات ونوادر لأنه كان يجالسه وأمَرَ له في وقت بخمسين ألف درهم.

أدركناه عن تِفْسير هذا الحرف – وكان قَصِيرًا فَظَنَّ أنّ السائلَ يعرِّض به – فَقَالَ: هُوَ أَقَصَرُ منِّي، ولم يَزِد عَلَى ذَلِكَ.

ويقال لكل شيء من الطَّير والهوامّ إذا خَفَّ وتَحَرَّك في مكانه: قد تَنَغَّش، قَالَ ذو الرُّمَّةِ يَصِف القُرادَ، وأنها أحسَّتْ بِوَطْء الإبِل فَخَفَّت[١]:

إذا سَمِعَتْ وَطْءَ الْمَطِيِّ تَنَغَشَتْ حُشَاشَاتُها في غير لحمٍ ولا دَمِ[٢]

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ فِي إِسْنَادٍ لَهُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ الأَنْصَارِيَّ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَكَانَ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ فِي أَصْحَابِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ[٣]"، قَالَ: فَمَرَرْتُ بِهِ وَسَطَ الْقَتْلَى صَرِيعًا فِي الْوَادِي، فَنَادَيْتُهُ فَلَمْ يُجِبْ، فَقُلْتُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ، قَالَ: فَتَنَغَّشَ كَمَا يَتَنَغَّشُ الطَّيْرُ[٤]: أي تحرَّك.

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلا أَيُّهَذا المنزِلُ الدارِسُ اِسلَمِ وَسُقّيتَ صَوبَ الباكِرِ المتَغَيِّمِ).

[٢] المعنى: إذا سمعت القردان وطء الإبل "تنغشت"، أي: تحركت. "حشاشاتها": بقية أنفسها.

[٣] سعد بن الربيع (ت ٣ هـ): صحابي من بني كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. شهد بيعة العقبة الثانية، وكان أحد نقباء الأنصار يومها. وشهد مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزوتي بدر وأحد، وقُتل يوم أحد.

[٤] انظر: كتاب المغازي للواقدي ١/ ٢٩٢.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ أَكَلَ كَتِفًا مُهَرَّتَةً، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ بِمِسْحٍ، ثُمَّ صَلَّى"[١].

قَوْلُهُ: مُهَرَّتة، إِنَّمَا هِيَ الْمُهَرَّدَة – بِالدَّالِ – قَالَ الكِسائِيُّ: إذا أَنْضَجْتَ اللحمَ فهو مُهَرَّد، وقد هَرَّدْتُه، وقد هَرِد اللحمُ، إذا نَضِج، قَالَ: والْمُهَرَّأُ مثله.

قَالَ أبو زيد: إذا شَوَيتَ اللحمَ قيل خَمَطْتَهُ خَمْطًا، وهو خميط، فإن شويتَه حتى يَيْبَس فهو كَشِيءٌ، وقد كَشَأْتُه، فإن جعلتَ اللحم عَلَى الجَمْر قيل حَسْحَسْتَه، فإن أدخلتَه النارَ ولم تبالغ في نُضْجِه قيل ضَهَّبْتَه، قَالَ امرؤُ القَيْس[٢]:

نَمشُّ بأعرافِ الجيادِ أَكُفَّنَا إذا نحن قُمنا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ

والأَنيضُ: اللَّحمُ غيرُ النَّضيج، يقال: أَنَضْتُ اللحمَ وأَنْهَأْتُه وأنأتُه، وهو بين النُّهوءة والنُّيوءة.

---

[١] رواه البخاري ومسلم، بدون كلمة (مهرّتة).

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (خليلّي مرّا بي على أم جندب نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفُؤادِ المعذَّبِ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي - فِيمَا بَيْنَ الْعِشَاءِ إِلَى أَنْ يَنْصَدِعَ الْفَجْرُ - إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، فَإِذَا سَكَبَ الْمُؤَذِّنُ بِالأُولَى مِنْ صَلاةِ الْفَجْرِ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ"[١].

قَالَ سُوَيْد: سَكَبَ، يُرِيدُ أَذَّنَ السَّكْب: الصَّبُّ والدَّفْقُ، وأصلُه في الماء يُصَبُّ، وقد يُسْتَعارُ فيُسْتَعْمَل في القول والكلام، كقول القائل: أُفْرِغَ في أُذُنِي كلامٌ لم أَسْمَعْ مَثلَه، وأَخَذَ فلانٌ في خُطبةٍ فَسَحلَها[٢]، وما أشبه هذا من الكلام، أنشد ابنُ دُرَيْد[٣]:

لا تُفْرِغَنْ في أُذُنَيَّ مِثْلَها ما يَسْتفزُّ فأريكَ فقدَها

إنِّي إذا السَّيفُ تَولَّى نَدَّها لا أَسْتَطيعُ عند ذَاكَ رَدَّها

وهذا رجل[٤] أُنشِدَ شِعرًا أعجبَه فقام إلى البَرْك بسَيْفه، وهي الإبلُ الْمُنَاخَةُ، فجعل يضربُها يمينًا وشِمالًا يَعْقِرُها.

---

[١] رواه البخاري ومسلم، بلفظ (سكت) بدل (سكب).

[٢] سحَلَ السُّورةَ والقصيدةَ: قرأها قراءة متصلة.

[٣] البيتان لهما قصة رواها الأصمعي عن أعرابي عالم بالشعر وأيام الناس، انظرها في: أمالي القالي، وديوان المعاني للعسكري.

[٤] الأعرابي المشار إليه في الهامش السابق.

وفي الحديث: "وَيْلٌ لأَقْماع القَوْل"[١] وهم الذينَ يَسْمَعُون ولا يَعْمَلون به، شَبَّه آذانهم بالأَقْماع يُصَبُّ فيها الكلامُ صَبَّ الماءِ في الإناءِ.

ورواه بعضُهم (سَكَتَ) بالأولى، أي فَرَغ من الأذان فسَكَتَ عنه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ بِلالًا أَتَاهُ يُؤْذِنُهُ بِصَلاةِ الْغَدَاةِ، فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالًا بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ حَتَّى فَضَحَهُ الصُّبْحُ فَأَصْبَحَ جِدًّا"[٢].

قَوْلُهُ: فَضَحَه الصُّبْح، أَيْ دهَمَتْه فُضْحَةُ الصُّبح، والفُضْحَةُ كالغُبْرَةِ في اللون، وقال أبو عمرو: الأَفْضَح الأبيض، وليس بشديد البياض، ومنه قولُ ابن مقبل[٣]:

فأضحى له جِلْبٌ بأكنافِ شِرمةٍ أَجَشُّ سِماكِيٌّ مِنَ الوَبْلِ أَفْضَحُ

ورواه بعضُهم: فَصَحَه الصُّبح، أي بانَ له وغَلَبَه ضوؤه، ومنه الفصيحُ من الكلام.

---

[١] أخرجه أحمد (٦٥٤١)، والبخاري في (الأدب المفرد) (٣٨٠)، والطبراني (٦٥١/١٣) (١٤٥٧٩).

[٢] أخرجه أبو داود والبزار والبيهقي، وصحح الألباني إسناده.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (سَلِ الدَّار مِنْ جَنَبَيْ حِبِرٍّ فَوَاهِبِ إلى مَا رَأَى هَضْبَ القَلِيبِ المضَيَّحُ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ النَّاسَ دَخَلُوا عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ أَرْسَالًا أَرْسَالًا يُصَلُّونَ عَلَيْهِ"[١].

قوله: أَرسالًا، يريد أفواجًا وفِرَقًا مُتَقَطِّعة، قَالَ أبو عُبَيْدة: إذا أَوردَ الرجلُ إِبِلَه مُتَقَطِّعة قَالُوا: أَوردَها أَرسالًا، قَالَ امرؤ القيس[٢]:

فهُنَّ أَرسالٌ كرِجْلِ الدَّبَى أَو كَقَطَا كاظمة النَّاهِلِ

وإذا أوردَها جماعةً قَالُوا أوردها عِرَاكًا. وواحد الأَرسَالِ: رَسَل، كما قيل لما نَشَرْتَه: نَشَر، ولما أَسْبَلْتَه: سَبَل، وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: "مَنْ جَرَّ سَبَلَهُ مِنَ الْخُيَلاءِ لَمْ يَنْظُرِ الله إليه يوم القيامة"[٣].

وَقَالَ سَعْدٌ[٤]: قَتَلْتُ يَوْمَ بَدْرٍ قَتِيلًا وَأَخَذْتُ سَيْفَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله عليه السلام: "اطْرَحْهُ فِي الْقَبَضِ"، يُرِيدُ فِيمَا قُبِضَ وَجُمِعَ مِنَ الْغَنَائِمِ قَبْلَ أَنْ يُقْسَمَ، قَالَ: فَنَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْفَالَ فَقَالَ لِي: "اذْهَبْ فَخُذْ سيفك"[٥].

---

[١] رواه محمد بن إسحق في السيرة.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (يَا دَارَ مَاوِيَّةَ بِالحَائِلِ فَالسَّهْبِ فَالخَبْتَيْنِ من عاقِلِ).

[٣] أخرجه البخاري ومسلم، بلفظ (ثوبه) بدل (سبله).

[٤] سعد بن أبي وقاص.

[٥] أخرجه أحمد، وسعيد بن منصور في سننه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه قَالَ فِيمَنْ شَهِدَ الْجُمُعَةَ فَصَلَّى وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا بِقَصْرِهِ: "إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَهُ جُمُعَتُهُ تِلْكَ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا أَنْ تَكُونَ كَفَّارَتُهُ فِي الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا"[١].

قَوْلُهُ: بقَصْره، مَعْنَاهُ: غَايَته ذَلِكَ، أَيْ حَسْبُه مِنَ الثَّوَابِ أَنْ تُكَفَّر ذُنوبُه، قَالَ أَبو زَيْد: يقال: قُصارُك أن تفعل ذَلِكَ، وقُصَاراك، وقَصْرُك، أي غايتُك، وعُنَاناكَ أن تفعل ذَلِكَ، بمعناه، قَالَ الأعشى[٢]:

فَقَالَ له: ماذا تُرِيدُ؟ وقَصْرُهُ عَلَى مائةٍ قد أَكملتْها وُفَاتُها

وقال هُدْبَةُ بن الخشْرم العُذرِيّ[٣]:

---

[١] أخرجه أحمد.

[٢] في ديوانه من قصيدته لشيبان بن شهاب الجحدري، ومطلعها: (أَجَدَّ بَيّاً هَجرُها وَشَتاتُها وَحَبَّ بِها لَو تُستَطاعُ طِياتُها).

[٣] هدبة بن خشرم العذري: من شعراء بادية الحجاز، وهو شاعر فصيح مقدم، وكان راوية الحطيئة، وأكثر شعره ما قاله في أواخر حياته حين سجن وقبيل قتله، وكان هدبة قد قتل زيادة بن زيد العذري في خلاف نشب بينهما فقتل به قَوَدًا، وشعر هدبة في رويته وبديهته سواء عند الأمن والخوف، لقدرته وسكون جأشه وقوة غريزته، عاش حتى زمن معاوية بن أبي سفيان وتوفي نحو سنة ٥٠ هـ.

وأنتَ أَميرُ المؤمنين فَما لَنا وَراءَك من مَعْدًى ولا عنكَ مِنْ قَصْرِ[١]

قَالَ الأصمعي: ويقال: حَبَابُك أن تفعلَ ذَلِكَ، أي جَهدُك، ومِثلهُ: حماداك.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ لاقْتَتَلُوا عَلَيْهِ وَمَا تَقَدَّمُوا إِلا بِنُحْبَةٍ"[٢].

قَوْلُهُ: مَا تَقَدَّمُوا إِلا بِنُحْبَةٍ، يُرِيدُ الْقُرْعَةَ، كَقَوْلِهِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: "لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي الأَذَانِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ"[٣]، وأَصلهُ من الْمُنَاحَبَةِ، وهي المحاكمة، يقال: ناحَبْتُ الرجلَ، إذا قاضيتَه وحاكمتَه، ويقال للقِمَار: النَّحْبُ[٤]؛ لأنه كالْمُساهَمَة، عن ابنِ الأعرابي:

وماذا عليه لو أعان بِلِقْحَةٍ عَلَى نَحْبِ مولاهُ أَعانَ وأَحْرَبا[٥]

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلا يا لَقَومي لِلنَّوائِبِ والدَّهرِ وِلِلمَرءِ يُردي نَفسَهُ وَهوَ لا يَدري).

[٢] رواه البخاري ومسلم، بغير لفظة (نحبة).

[٣] انظر التخريج السابق.

[٤] والنحب: النّذر، والنَّفس، والطول، والسّمن، والشدَّة، والْقمَار، والْمَوْت، وصَوت الْبكاء.

[٥] قَالَ ابْن الْأَعرَابِي: حربته إِذا أخذت مَاله كُله، وأحربته إِذا دللته على مَا يَسْتَغْنِي مِنْهُ، وأحربته إِذا رَأَيْته محروبًا، وحربته إِذا أغضبته.

قَالَ أبو عمر[١]: هذا رجلٌ كان مُقامِرًا فافتَقَر فجاء ابنُ عَمّه يسأَلُهُ لِقْحَةً لِيُقامِرَ عليها فيُرزقَ مالًا، فمَنَعَه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَرْوِيهِ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ فِي كُسُوفِ الْقَمَرِ قَالَ: فَدُفِعْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِأَزَزٍ، وَذَكَرَ صَلاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ خَطَبَ، وَذَكَرَ خُرُوجَ الدَّجَّالِ وَأَنَّهُ يَحْصُرُ الْمُسْلِمِينَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: "فَيُؤْزَلُونَ أَزْلًا شَدِيدًا ثُمَّ يَهْزِمُهُ اللَّهُ وَجُنُودَهُ"[٢]، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ.

قوله: بأَزَزٍ، يريد بجمْعٍ كثيرٍ ضاق عنهم الْمَسْجِد، يقال: الفضاء منهم أَزَزٌ والبيتُ منهم أَزَزٌ، إذا غَصَّ بهم، وقال أبو النجم[٣]:

أنا أبو النجمِ إذا شُدَّ الحُجَزْ واجتمع الأَقْدام في ضَيْقٍ أَزَزْ[٤]

---

[١] أبو عمر الزاهد شيخ الخطابي المعروف بغلام ثعلب.

[٢] رواه الطبراني في الكبير: ٦٧٩٧.

[٣] الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، من بني بكر بن وائل: من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر. نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام. قال أبو عمرو بن العلاء: كان ينزل سواد الكوفة، وهو أبلغ من العجاج في النعت.

[٤] في ديوانه يمدح نفسه ورجزه، وهما أول ثلاثة أبيات، والثالث: (تفنى إذا متُّ أفانينُ الرجزْ).

وفي غير هذه الرواية: فإذا المسجد يتأزَّزُ، وهو يَتَفَعَّل، من الأَزِيز، تَمثيلًا له بأزِيزِ الْمِرجَل، وهو صَوتُ الغَلَيان، وما أُراه محفوظًا.

وقوله: يُؤزَلُونَ: معناه يُقْحَطُون، قَالَ الأصمعي: الأَزْل الشِّدَّةُ، يقال أَزَلَه يأْزِلُه أَزْلًا، إذا ضَيَّق عليه، قَالَ زُهَيْر[١]:

تجِدهمْ على ما خيّلتْ همْ إزاءها وإنْ أَفْسد المالَ الجماعاتُ والأَزْلُ[٢]

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ اهْتَمَّ لِلصَّلاةِ كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ لَهَا، فَذُكِرَ لَهُ الْقُنْعُ، فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ رُؤْيَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ[٣] فِي الأَذَانِ"[٤].

---

[١] زُهَيْرْ بْنْ أَبِي سُلْمَى الْمَزِنِي: أحد أشهر شعراء العرب وحكيم الشعراء في الجاهلية وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء وهم: امرؤ القيس وزُهير بن أبي سُلْمى والنابغة الذبياني. توفي قبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها سنان بن أبي حارثة المري، ومطلعها: (صَحا القَلبُ عَن سَلمى وَقَد كادَ لا يَسلو وَأَقفَرَ مِن سَلمى التَعانيقُ فَالثِقلُ).

[٣] عبد الله بن زيد الأنصاري: صحابي من الأنصار، شهد بيعة العقبة الثانية، وشهد بدرًا وأُحدًا والخندق وباقي المشاهد، وهو الذي رأى رؤيا الأذان في النوم، فأمر النبي ﷺ بلال بن رباح أن يؤذِّن على ما رآه عبد الله، له أحاديث يسيرة، وحديثه في السنن الأربعة.

[٤] أخرجه أبو داود (٤٩٨)، والبيهقي (١٩٠٨) باختلاف يسير، وإسناده صحيح.

قد أكثرتُ السؤالَ عن هذا الحرف[١] والنِّشْدة له فلم أجد فيه إلا دون ما يُقْنِع، وقد ذُكر في الحديث أَنَّه الشَّبُّور[٢]، واختلفتِ الروايات فيه؛ فَقَالَ ابن الأعرابي: القُنْع، وسمعتُه مرةً أخرى يقول: القُنَع، وعن أبي عُمَير بن أنس: أخبرني عُمومةٌ لي من الأنصار، وذَكَر الحَدِيثَ، فَقَالَ فيه: القَتَع، بالتاء التي هي أختُ الطاء.

فأمّا القُنْع وتفسير الراوي أنه أراد الشَّبُّورَ فإنَّ الروايةَ إذا صَحَّتْ به أمكن أن يقال عَلَى بُعدٍ فيه، إنَّما سُمِّي قُنْعًا لإقناع الصَّوت بِهِ وهو رَفْعُه، قَالَ الراعي[٣]:

فإذا تعرَّضتِ المفازَةُ غادرتْ رَبِذًا يُبَعِّلُ خَلْفَها تَبْغِيلا
زَجِلَ الحُداءِ كأنَّ في حَيْزَومِهِ قصبًا ومُقْنِعَةَ الحَنِينِ عَجُولا[٤]

---

[١] يعني (القنع).

[٢] الشبور: البُوقُ الَّذي يُنفَخُ فيهِ فيُصدِرُ صوْتًا يَسمعُه النَّاسُ، وكان يتخذه اليهود.

[٣] الراعي النميري: عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري: شاعر من فحول المحدَثين. كان من جلة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. وكان بنو نمير أهل بيت وسؤدد. وقيل: كان راعي إبل، من أهل بادية البصرة. عاصر جريراً والفرزدق وكان يفضّل الفرزدق، فهجاه جرير هجاءً مُراً. وهو من أصحاب (المُلْحَمات).

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بالُ دَقِّكَ بِالفِراشِ مَذِيلا أَقَذىً بِعَينِكَ أَم أَرَدتَ رَحيلا).

يريد الناقةَ ترفع صوتَها بالحنين.

ورواه عُمارَةُ بن عَقِيل: وَمَقْنَعة الحَنِين، بفتح النون، وقال: هي النَّايُ.

وفيه وجه آخر وهو أن يكون إنّما سُمي قُنْعًا لأنه أُقْنِع أَطرافُه إلى داخله، قَالَ الأَصْمَعيُّ: الْمُقْنَع: الْفَمُ الَّذِي يكون عَطْفُ أسنانِه إلى داخل الفَمِ، ويقال: إن الطَّبَقَ الَّذِي يُؤكَل عليه الطَّعامُ إنما سُمِّي قُنْعًا لأنه تُقْنَع أَطرافُه إلى داخله.

وإن كانت الرِّواية القُبَع فالوجه في تَخْرِيجه – وإن كان في البُعدِ مثلَ الأول أو أشَدّ – أن يكون الشَّبُّورُ إنما سُمِّي قُبَعًا، إما لأنه يَقْبَع فَا صاحِبِه: أي يُوارِيه إذا نَفَخ فيه، يقال: قَبَع الرجلُ رأسَه إذا أدخله في قميصه، وقَبَعَ وراءَ الجِدارِ، إذا تَوَارَى، أو لأنه قد ضَمَّ أطرافَه إلى داخله، يقال: قبعتُ الجرابَ والجُوالِقَ ونحوَه، إذا ثَنَيْتَ أطرافَه فجمعتَها إلى داخل، وقد يُسَمَّى الشيءُ ذو القَعر: قُبَاعًا، فعن خالد بن سعيد قَالَ: استعمل ابنُ الزّبير الحارثَ بنَ عَبْد الله بن أبي ربيعة المخزوميَّ عَلَى البصرة، فأتَوْه بمكيال لهم، فَقَالَ: إنَّ مِكيالكُم هذا لَقُباعٌ، وهو ذو القَعْر، فسُمِّي قُبَاعًا[1]، فَقَالَ أبو الأسود الدؤليُّ[2] فيه:

---

[1] أي سمي الحارث المخزومي قباعاً بسبب ذلك.

[2] أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني: واضع علم النحو. كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، من التابعين. رسم له علي بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود. وأخذه عنه جماعة. وفي صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير. سكن البصرة في خلافة عمر، وولي إمارتها

أميرَ المؤمنين جُزِيتَ عنا أَرِحْنا من قُبَاعِ بَنِي الْمُغِيرَهْ[١]

وقال لي أَبُو عُمَر[٢]: إنما هُوَ القَتَع، بالثَّاء المثَلَّثة، وهو البُوقُ، وهذا عَلَى ما ذكره أَصَحُّ الوجوه، ورواية سعيد بن منصور تشهد لذلك، غَيرَ أَنِّي لم أَسْمَعْ هذا الحرفَ من غيره.

فأما القَتَع – بالتاء – فهو دود يكون في الخشب، والواحدة قَتَعَةٌ.

ومدار هذا الحديث عَلَى هُشَيْم[٣]، وكان كثيرَ اللحن والتّحريف، عَلَى جلالة مَحَلِّه في الحديث، رحمه الله.

في أيام علي، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص إلى الحجاز. ولم يزل في الإمارة إلى أن قتل علي. وكان قد شهد معه صفين، ولما تم الأمر لمعاوية قصده فبالغ معاوية في إكرامه. وهو – في أكثر الأقوال – أول من نقط المصحف.

[١] في ديوانه، وهو أول الأبيات، وبعده: (بَلَوناهُ وَلُمناهُ فَأَعيا عَلَينا ما يُمِرُّ لَنا مَريرَه).

[٢] غلام ثعلب.

[٣] هشيم بن بشير بن أبي خازم قاسم بن دينار السلمي الواسطي: من حفاظ الحديث الثقات، روى له أصحاب الكتب الستة، ولد سنة ١٠٤ هـ، وسكن بغداد، وصنف التصانيف ، قال يعقوب الدورقي :«كان عند هشيم عشرون ألف حديث».

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" قِيلَ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: "النُّزَّاع مِن القبائل"[١].

النُّزَّاع: جَمْعُ نَزِيعٍ، وَهُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي قَدْ نُزِعَ مِنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وقال حُمَيْد بن ثَوْر[٢]:

نَزِيعانِ من جَرْمِ بنِ زبّان إنهمْ أَبَوْا أَنْ يُمِيُروا في الهَزَاهِزِ مِحْجَما[٣]

وامرأة نَزِيعةٌ، إذا زُوِّجتْ في غير قبيلتِها من نِساء نَزائع، قَالَ الشاعر[٤]:

نَمَتْ بِيَ مِن شَيْبَان أُمٌّ نزيعةٌ كذلك ضربُ المنجِباتِ النَّزَائِعِ

---

[١] روى مسلم الجزء الأول منه، وتوقف الألباني في تصحيح وتضعيف الجزء الأخير (النُّزاع من القبائل). انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم١٢٧٣.

[٢] حُميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري: شاعر مخضرم عاش زمناً في الجاهلية وشهد حُنيناً مع المشركين، وأسلم سنة ١٠ هـ ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وأنشده قصيدة مطلعها: (أضحى فؤادي من سليمى مقصداً إن خطأً منها وإن تعمدا). ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه، وقيل أدرك زمن عبد الملك بن مروان.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلا هيّما مِمّا لَقيتُ وَهيّما وَويحاً لِمَن لَم أَلقَ مِنهُن وَيحَما).

[٤] هو جرير، والبيت من قصيدته التي مطلعها: (أَكُلِّفتَ تَصعيدَ الحُدوجِ الرَوافِعِ كَأَنَّ خَبالي بَعدَ بُرءٍ مُراجِعي).

وأولاد الغُرَباء عندهم أشدُّ وأقوى، قَالَ الشاعر[١]:

فَتًى لم تَلِدْهُ بنتُ عَمٍّ قَرِيبَةٌ فَيَضْوَى وقد يَضْوى رَدِيدُ الغرائِبِ[٢]

ومنه قَولُ عَنْتَرَة[٣]:

إِنِّي أَنا عَنتَرَةُ الهَجينُ فَجُّ الأَتانِ قَد عَلا الأَنينُ[٤]

افتخر بأنه هَجِينٌ لأنه أَقوى من الصَّرِيح وأَجْلَدُ.

قَالَ الأصمعي: والنَّزِائعُ من الإبل الغَرائبُ التي تُنُقِّذتْ من أيدي الغرباء.

---

[١] هو النابغة الذبياني: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو بن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظياً عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمناً. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. وعاش عمراً طويلاً.

[٢] في ديوانه، وهو ثاني بيتين، وقبله: (لَعَمري لَنِعمَ المرءُ مِن آلِ ضَجعَمٍ تَزورُ بِبُصرى أَو بِبُرقَةِ هارِبِ).

[٣] عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي (٥٢٥ – ٦٠٨ م): أحد أشهر شعراء العرب قبل الإسلام، اشتهر بشعر الفروسية، وله معلقة مشهورة. وهو أشهر فرسان العرب وأشعرهم وشاعر المعلقات والمعروف بشعره الجميل وغزله العفيف بعبلة.

[٤] في ديوانه، وهو مطلع الأبيات، وبعده: (يُحصَدُ فيهِ الكَفُّ وَالوَتينُ مِن وَقعِ سَيفي سَقَطَ الجَنينُ).

ونُرَى، والله أعلم، أَنه أَرادَ بذلك الْمُهاجرين الذين هَجَرُوا دِيَارَهم وأَوطانهم إلى الله عَزَّ وجَلَّ.

وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ وَجْهٌ آخَرُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَنَّةَ[١] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" قِيلَ مَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ"[٢].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ أَوْ تِسْعٍ ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى سُمِعَ ضَغِيزُهُ أَوْ ضَفِيزُهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ"[٣].

الضَّغِيزُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، فأَمَّا الضَّفِيزُ فَهُوَ كَالْغَطِيطِ، وَهُوَ الصَّوتُ يُسْمَع مِنَ النَّائِمِ عِنْدَ تَرْدِيدِ النَّفَسِ، وأَصْلُ الضَّفْزِ اللَّقْم واللَّوْك، قَالَ رُؤبةُ[٤]:

دُلامِزٍ يُرْبِي على الدِّلَمْزِ يَبْتَلِعُ الهامَةَ قبل الضَّفْزِ

---

[١] عَبْد الرَّحْمَن بْن سنة الأسلمي عداده فِي أهل المدينة.

[٢] رواه أحمد في المسند - مسند المدنيين حديث عبد الرحمن بن سنّة (حديث رقم: ١٦٦٩٠).

[٣] رواه البخاري ومسلم، بألفاظ قريبة.

[٤] في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (يَا أَيُّهَا الجاهِلُ ذُو التَنَزّي لا تُوعِدَنِّي حَيَّةٌ بِالنَكْزِ).

ويقال: ضَفَزْتُ البعيرَ، إذا علفْتَه الضَفائِزَ، وهي اللُّقَمُ الكِبارُ، واحدتُها ضَفِيزَة، وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِوَادِي ثَمُودَ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ بِوَادٍ مَلْعُونٍ، مَنْ كَانَ اعْتَجَنَ بِمَائِهِ فَلْيَضْفِزْهُ بَعِيرَهُ"[١].

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيٍّ: "أَلا إِنَّ قَوْمًا مِمَّنْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَكَ يُضْفَزُونَ الإِسْلامَ ثُمَّ يَلْفِظُونَهُ ثُمَّ يُضْفَزُونَهُ ثُمَّ يَلْفِظُونَهُ ثَلاثًا يُقَالُ لَهُمُ الرَّافِضَةُ"[٢].

قوله: يُضْفَزُونه، معناه يُلقَّنونَه فيَلْفِظُونَه ولا يَقْبَلُونَه، ويقال: ضَفَزْتُ الفَرسَ لِجامَه إذا أدخلْتَه في فِيهِ.

والضَّفْزُ أيضًا بمعنى الجِماع، وهو قريب من الأول، وفي بعض الكلام: ضَفَزْتُه النَّصِيحةَ فقاءها، أي لم يَقبَلْها، ولولا أَنَّ حقَّ السّماع الاتّباعُ لقُلتُ: إنَّه الصفير، إلا أنَّ الصَّفِيرَ بالشَّفَتَيْن.

وقد رُوِي في هذا الحديث أَنَّه نام حتى سُمِع فَخِيخُه، وحتى سُمِع غَطِيطُه، وهُما من الحَلْق، إلا أَنَّ الفَخِيخَ أَخَفُّ من الغَطِيط، ويُروى عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول:

طُوبَى لمن كانت له مِزَخَّهْ يَزُخُّها ثُمَّ يَنامُ الفَخَّهْ[٣]

---

[٣] في رواية: «أفلح من كانت ... إلخ.» والمِزخّة: زوجة الرجل، لأنها يزخُّها، أي يجامعها. والفخّة: نومة الغداة، وقيل: نومة التعب.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ".. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ: "وَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ أَوْ خَطِيطَهُ"[١]، فَأَحَدُهُمَا قَرِيبٌ مِنَ الآخَرِ، وَالْخَاءُ وَالْغَيْنُ أُخْتَانِ في قرب المخْرج.

وكان مَعْصُومًا فِي نَوْمِهِ مِنَ الْحَدَثِ، وَكَانَ يَقُولُ: "تَنَامُ عَيْنِي وَلا يَنَامُ قَلْبِي"[٢]، وفي ذَلِكَ دليل عَلَى أنّ النَّومَ عَينَه لَيْس بحدَث؛ إذ لا فرقَ بين رَسُول الله وبين أُمَّتِه في الأحداث، وإنما النَّومُ مَظِنَّةٌ للحَدَث؛ لأن النائِمَ قد يُوجَد في الأغلب منه الحَدَثُ، فَحُمِل عَلَى حُكم الأحداثَ، وحقيقةُ النوم هو الغَشْيَةُ الثَّقِيلَةُ التي تَهْجِم عَلَى القلب فتَقْطَعه عن معرفة الأمور الظاهرة، والناعِسُ هُوَ الَّذِي رَهِقه ثِقلٌ قَطَعَه عن معرفة الأحوال الباطنة، وقد فَصَل الشاعرُ[٣] بينهما فَقَالَ:

---

[٢] أخرجه ابن الأعرابي في معجمه ١٥٣، والهيثمي في مجمعه ٢٣/١٠.

[٣] في رواية: «أفلح من كانت ... إلخ.» والمزِنّة: زوجة الرجل، لأنها يزنُّها، أي يجامعها. والفحّة: نومة الغداة، وقيل: نومة التعب.

[١] رواه البخاري ومسلم.

[٢] رواه البخاري عن عائشة.

[٣] هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عاملة: شاعر كبير، كان معاصراً لجرير، مهاجياً له، مقدَّماً عند بني أمية، مدّاحاً لهم، خاصاً بالوليد بن عبد الملك. لقبه ابن دريد في كتاب

وَسْنَانُ أقصَدَهُ النُّعَاسُ فرَنَّقَتْ في عَيْنِهِ سِنَةٌ وليس بنائمِ[١]

قَالَ الْمُفَضَّل: السِّنَةُ فِي الرَّأْسِ والنَّومُ فِي القَلْب، قَالَ: ومنه قَولُ الله تعالى: {لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ}.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِيمَا سِوَى هَذِهِ الْخِصَالِ: بَيْتٍ يُكِنُّهُ، وَثَوْبٍ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَجِرَفِ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ"[٢].

وعَنْ حُرَيْثِ بْنِ السَّائِبِ: "جِلَفِ الخُبْزِ وَالْمَاءِ".

قَوْلُهُ: جِرَف الْخُبْزِ: يُرِيدُ كِسَرَ الْخُبْزِ، وَاحِدَتُهَا جِرْفَةٌ، وَكَذَلِكَ الْجِلَفُ، وَاحِدَتُهَا جِلْفَةٌ، وَهِيَ قِطَعُ الْخُبْزِ الْيَابِسِ الَّذِي لَيْسَ بلَيِّنٍ وَلا مَأْدُومٍ، قَالَ ابنُ الأعرابيّ: وهو مأخوذ من جَرفتُ الشيءَ أجرِفُه، إذا قَشَرْتَه، ويقال: جَرَفَتْه السَّنَةُ وجَلَفَتْه، إذا أَذهبَتْ مالَه، قَالَ أبو عُبَيدة: الْمُجَلَّف والْمُعَصَّبُ هُوَ الَّذِي أَتى الدَّهرُ عَلَى ماله، يقال: جَلَّفَتْه السِّنُون وَعَصَّبَتْهُ السُّنُون، إذا أكلتْ مالَه،

الاشتقاق بشاعر أهل الشام. مات في دمشق (٩٥ هـ). وهو صاحب البيت المشهور: (تزجي أغنَّ كأن إبرة روقه *** قلم أصاب من الدواة مدادَها).

[١] في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها الوليد بن عبدالملك، ومطلعها: (أَلِم عَلى طَلَلٍ عَفا مُتَقادِمِ بَينَ الذُؤَيبِ وَبَينَ غَيبِ الناعِمِ).

[٢] أخرجه الترمذي في "سننه" (٢٣٤١)، وأحمد في "مسنده" (٤٤٠)، والحاكم في "المستدرك" (٧٨٦٦)، وقال فيه الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٠٦٣): منكر.

وقال غيره: الْمُجَرَّفُ مَنْ بقي له شيء قليل، والمجلَّف: المستأصل. وقال رجلٌ من طيّئ، يرثي الربيعَ وعمارةَ ابنيْ زيادٍ العَبْسِيّين:

وإنْ تكنِ الحوادثُ جَرَّفَتْني فلم أَرَ هالِكًا كابْنَيْ زيادِ

هما رُمْحانِ خَطِّيّانِ كانا مِن السُّمْرِ الْمُثَقَّفَةِ الصِّعادِ[١]

وقال أبو عُبَيْدَةَ: يقال: أتانا بخُبزٍ كِسَفٍ، أي قِطَعٍ، ومنه قولُه تعالى: {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ} قال: واحدتُها كسفة. ويقال: أصابتهم جَلِيفَةٌ عظيمة، إذا اجْتَلَفتْ أموالَهم، ويُجمَع عَلَى الجَلائِف، قَالَ الشاعر[٢]:

وإذا تَتَبَّعَتِ الجَلائِفُ مالَهُ خُلِطَتْ صَحِيحَتُنَا إلى جَرْبَائِهِ[٣]

ومنه قَولُ الفرزدق[٤]:

---

[١] في الحماسة، وبعدهما: (تهابُ الأرض أن يطأا عليها ... بمثلهما تسالمُ أو تعادي).

[٢] هو الراعي النميري.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إِنّي وَإِن كانَ اِبنُ عَمّي كاشِحاً لَمُزاحِمٌ مِن خَلفِهِ وَوَرائِهِ).

[٤] هَمَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه – وكان أبوه من الأجواد الأشراف – وكذلك جده. وكان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعداً، وأراد

وعَضُّ زمانٍ يا بْنَ مَرْوان لم يَدَعْ مِنَ المالِ إلا مُسْحَتًا أو مُجَلَّفُ[١]

ويروى إلا مُسحَتٌ أو مُجَلَّفٌ، فمن روى (إلا مُسحتًا) بالنصب، جعل معنى لم يدع: لم يترك، ورفع مجلّف بإضمار كأنه قال أو هو مجلَّفٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ لَمَّا تَوَجَّهَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ خَرَجَ بُرَيْدَةُ الأَسْلَمِيُّ[٢] فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ بَنِي سَهْمٍ فَيَتَلَقَّى نَبِيَّ اللَّهِ لَيْلًا فَقَالَ لَهُ: "مَنْ أَنْتَ"؟ قَالَ بُرَيْدَةُ: فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ بَرَدَ أَمْرُنَا وَصَلُحَ" ثُمَّ قَالَ: "مِمَّنْ"؟ قَالَ: مِنْ أَسْلَمَ، قَالَ لأَبِي بَكْرٍ: "سَلِمْنَا"، ثُمَّ قَالَ: "مِمَّنْ"؟ قَالَ: مِنْ بَنِي سَهْمٍ، قَالَ: "خَرَجَ سَهْمُكَ"[٣].

سليمان بن عبد الملك أن يقيمه فثارت طائفة من تميم، فأذن له بالجلوس! ولقب بالفرزدق، لجهامة وجهه وغلظه. وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة.

[١] في ديوانه من قصيدته التي يهجو فيها جريراً، ومطلعها: (عَرَفتَ بِأَعشاشٍ وَما كِدتَ تَعرِفُ وَأَنكَرتَ مِن حَدراءَ ما كُنتَ تَعرِفُ).

[٢] الصحابي بريدة بن الحصيب الأسلمي، أسلم حين مر به النبي مهاجراً، هو ومن معه، وكانوا نحو ثمانين بيتاً، فصلى رسول الله العشاء الآخرة فصلوا خلفه، وأقام بأرض قومه، ثم قدم على رسول الله بعد أُحد، فشهد معه مشاهده، وشهد الحديبية، وبيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان من ساكني المدينة، ثم تحول إلى البصرة، وابتنى بها داراً، ثم خرج منها غازياً إلى خراسان، فأقام بمرو حتى مات ودفن بها، وبقي ولده بها. وكانت وفاته عام اثنين وستين للهجرة.

[٣] أخرجه ابن عبد البر في (التمهيد) (٢٤/ ٧٣) وفي (الإستيعاب) (١/ ١٨٥).

قوله: "بَرَدَ أَمْرُنَا" فِيهِ قَوْلانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ سَهُلَ أَمْرُنَا، وَمِنْهُ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ"[١]، ويقال: عيشٌ باردٌ، أي ناعِمٌ سَهْل، ومن هذا قولُهم في الدعاء للمَيِّت: اللهُمَّ بَرِّد عليه مَضْجَعَه، وأَنشد الباهليُّ[٢]:

قليلةُ لحمِ النَّاظِرَيْنِ يَزِينُها شَبابٌ ومَخْفوضٌ مِنَ العيشِ

والوجه الآخرُ أن يكون مَعْناه: ثَبَتَ أمرُنا واستقام، من قولهم بَرَد لي عَلَى فلان حَقٌّ، أي وَجَبَ وثَبَتَ، قَالَ الأصمعيّ: ما بَرَد لَكَ عَلَى فلان شيء، وكذلك ما ذابَ لك عليه شيءٌ، ويقال إن أصحابَك لا يبالون ما بَرَدوا عليكَ، أي ما ثَبَتُوا عليك، قَالَ الشاعر:

اليومَ يومٌ باردٌ سَمُومُهْ مَنْ جَزِعَ اليومَ فلا نَلُومُهْ

---

[١] أخرجه الترمذي (٧٩٧)، وأحمد (١٨٩٧٩)، وابن خزيمة (٢١٤٥).

[٢] هو للعباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر: شاعر فارس، من سادات قومه. أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة. وكان من المؤلفة قلوبهم. ويدعى فارس العُبيد – بالتصغير – وهو فرسه. وكان بدوياً قحاً، لم يسكن مكة ولا المدينة، وإذا حضر الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه. وكان ينزل في بادية البصرة، وكان ممن ذم الخمر وحرمها في الجاهلية. ومات في خلافة عمر.

[٣] في ديوانه، وهو مطلع القصيدة، وبعده: (أَرادَت لِتَنتاشَ الرِواقَ فَلَم تَقُم إِلَيهِ وَلَكِن طَأطَأَتهُ الوَلائِدُ).

أي ثابت سَمُومُه.

وفيه وجهٌ آخر وهو أن يكون بَرَد بمعنى ضَعُفَ وفَتَر، يريد به أمر قُريشٍ والخارِجِين في أثَره من الطَّلب، يقال: جَدَّ فلانٌ في الأمر ثُمَّ بَرَد، أي فَتَر واستَرْخَى، قَالَ الراجز:

الأبيضانِ أَبرَدا عِظَامِي الفَثُّ والماءُ بلا إدامِ

ويقال: ضَرَبَه بالسّيف حتى بَرَد، أي مات وسَكَن.

وأخبرني أبو عُمَرَ أنا أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ عن ابن الأعرابي قَالَ: سمعتُ أبا المكارم قَالَ: كان مِنَّا فَتى يقال له في الحَيِّ عَلَقٌ[1]، وكان عفيفَ الخَلْوةِ، فجاءنا يومًا وهي في بيتِها، فَدخَل يتَحدَّثُ إليها فأسرع الخروجَ، فقلنا له: ما لَكَ؟ قَالَ: منعني البَرْدُ، قَالَ: فدخلنا فإذا الجارية مَيِّتَةٌ.

ومن هذا حديثُ عمرَ بنِ الخطاب أنه شَرِب النّبيذَ بعد ما بَرَد غَلْيُه، أي سكن، وقد يجوز أن يكون النَّومُ إنما سُمِّيَ بَرْدًا لهذا المعنى؛ ذَلِكَ لأنه يُرخي المفاصِلَ ويُسَكِّنُها، وزعم بعضُهم أنه إنما سُمِّي بَرْدًا لأنه يُبرِّد حرارةَ العطش ويسكِّنها.

وقوله: خَرجَ سَهمُك، معناه الفَلْجُ والظَّفَر، وأصله في الشيء يتداعاه الجَماعةُ فيستهمون عليه، أي يُجيلون السِّهام، فمن خرج سهمهُ منهم حَازَه دون

[1] العلق: المحبوبة.

أصحابه، قَالَ اللهُ تعالى: {فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ}، وقال: {إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ}.

وفي الحديث من الفقه استحبابُ الفَأْلِ والتيَمُّن بالاسْم الحَسَن، وكان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبّ الفأْل ويكره التَّطَيُّر.

وسُئِل ابنُ عَوْن عن الفأل فَقَالَ: هُوَ أن يكون مَريضًا فيسمع يا سَالِم، أو يكون باغيًا فيَسْمَع يا واجد.

والفرقُ بين الفأل والطِّيَرة أَنَّ الفَأْلَ إنما هُوَ من طَرِيق حُسْن الظَّنِّ بالله عَزَّ وجَلَّ، والطِّيَرة إنما هي من طريق الاتّكال عَلَى شيء سِواه، وفي هذه القِصة أَنَّ بُرَيْدَةَ أَسلَم ومعه سَبْعُون راكِبًا من أهل بيته، ثُمَّ قَالَ: الحمدُ لله إذا أَسلَمتْ بَنُو سَهْم طائِعين غير مُكْرَهِين، ودعا لهم رَسُول الله فَقَالَ: "أسلَمُ سالَمها اللهُ"[1]؛ وذلك لأن إسلامَهم كان سِلمًا عن غير حَرْب.

وأما قولُه: "غِفَارُ غَفَر اللهُ لها"[2] فَنُرى – والله أعلم – أَنَّه إنّما خَصَّهم بالدُّعاء بالمغْفِرَة لِمُبادرتهم إلى الإسلام، وقد أَسلَم أبو ذَرٍّ في أول أَيّامِ رَسُول الله وهو بمكة غيرَ ظاهر، وَفِي قِصَّةِ إِسْلامِهِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَأَسْلَمْتُ فَرَأَيْتُ الاسْتِبْشَارَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: "مَنْ أَنْتَ"؟ قُلْتُ أَنَا جُنْدَبٌ رَجُلٌ مِنْ غِفَارٍ،

---

[1] متفق عليه.

[2] متفق عليه.

فَكَأَنَّهُ ارْتَدَعَ وَوَدَّ أَنِّي كُنْتُ مِنْ غَيْرِ قَبِيلَتِي، وَذَلِكَ لِمَا كَانُوا يُقْرَفُونَ[١] بِهِ مِنَ الشَّرِّ وَكَانُوا يَسْتَحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيَسْرِقُونَ الْحَجِيجَ، فَيُشْبه أن يكون، والله أعلم، إنما دعا لهم بالْمَغْفِرة ليمحوَ تلك السُّبَّةَ ويُزِيلَها عنهم، ثُمَّ حَسُنَ بَلاءُ هاتَين القبيلتين في الإسلام.

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: وَيُقَالُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِنْ أَسْلَمَ أَرْبَعُمِائَةٍ وَمِنْ غِفَارٍ مِثْلُ ذَلِكَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ ضَحَّى بِكَبْشٍ أَدْغَمَ[٢].

الأَدْغَمُ: مِنَ الْكِبَاشِ مَا اسْوَدَّتْ أَرْنَبَتُهُ وَمَا تَحْتَ حَنَكِهِ، والدُّغْمَةُ السَّواد، ويقال إنه إنَّما سُمِّي أدغم لأنه أُدغم في السَّوادِ أي أُدخِل، ومنه إدغام الحُروفِ، قَالَ الهُذَلِيّ[٣]:

---

[١] يُعرفون.

[٢] انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

[٣] سَاعِدةُ بنُ جُؤَيَّةَ بن كعب بن كاهل من سعد هذيل: شاعر، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، أسلم وليست له صحبة قال الآمدي: شعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة.

بِمُقْرَباتٍ[١] بأيديهمْ أعنَّتُها خوصٍ[٢] إذا فَزِعوا أُدْغِمْنَ في اللُّجُمِ[٣]

أي أُدخلن.

وقال أبو زيد: إذا اسودَّت نخرةُ الشاة وحكمتُها فهي دغْماء، فإن اسودَّ رأْسُها فهي رأساء، فإن أبيضَّ رأسُها من بين جَسَدِها فهي رَخْماء ومُرخَّمة، فإن اسودَّت العُنُق فهي دَرْعاء، فإن كان بعُرضِ عُنُقِها سَوادٌ فهي لَعْطاء.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ"[٤].

البَرْدان: الغَداةُ والعَشِيُّ، وهما الأبردان، قَالَ الشَّمَّاخ[٥]:

إذا الأَرْطَى تَوسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خدودُ جوازِئٍ بالرَّمْلِ عِينِ

وإنما قيل أَبردان لِطِيب الهَواء وبَرْدِه في هذين الوَقْتَين.

---

[١] المُقْرَبات: اللّواتي عند البيوتِ لِصارِخٍ أو لفَزِع.

[٢] خوص: من الخَوَص، وهو ضيق العين وغؤورها.

[٣] في ديوانه في شعر الهذليين من قصيدته التي مطلعها: (يا لَيْتَ شِعْرِي أَلَا مَنْجَى مِن الهَرَمِ ... أم هل على العَيْشِ بعد الشَّيْبِ مِن نَدَمِ).

[٤] رواه البخاري.

[٥] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (كِلا يَوْميْ طُوالةَ وَصْلُ أَرْوَى ظَنونٌ آنَ مُطَّرَحُ الظُنونِ).

وأنشد أبو العباس ثَعْلَب[١]:

فلا الظِّلُّ من بَرْدِ الضُحَى تَسْتَطِيعُهُ ولا الفَيْءُ من بردِ العَشِيِّ تَذُوقُ[٢]

قَالَ: وقال أبو العباس: أُخْبِرتُ عن أبي عُبَيْدة قَالَ: قَالَ رُؤْبَةُ: كُلُّ ما كانت عليه الشمسُ فزالت عنه فهو فَيْء وظِلٌّ، وما لم تكن عليه الشمسُ فهو ظِل.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الآخَرُ أَنَّهُ قَالَ: "إذا اشْتَدَّ الحَرُّ فأَبرِدوا بالصّلاة"[٣]، فليس هذا من بَرْدَيِ النهار، ولا من الجائز تأخيرُ الظُّهر إلى ذَلِكَ الوقت، وإنما الإبرادُ انكسارُ وهَج الشمس بعد الزوال، وسُمِّي ذَلِكَ إبرادًا لأنه بالإضافة إلى حَرّ الهاجرة بَرْدٌ، وقد روينا هذا التّفسيرَ عن محمد بن كعب القُرَظِيّ[٤] فِي قَوْلِهِ: "أَبْرِدُوا بِالصَّلاةِ" قَالَ: كلام العرب إذا كان القَومُ في السَّفر فزالت الشَّمسُ

---

[١] لحميد بن ثور الهلاليّ، من بني هلال بن عامر بن صعصعة، كان في الجاهلية وشهد معركة حنين (سنة ٨ هـ) مع المشركين. ثم أسلم ووفد على الرسول. وأدرك حميد بن ثور خلافة عثمان وقد أسنّ، وقال في أثنائها شعرًا.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (نأَت أُم عَمرٍو فالفؤادُ مَشوقُ يَحنّ إِلَيها والِهاً وَيَتوقُ).

[٣] رواه البخاري.

[٤] محمد بن كعب القرظي: مُحدث من التابعين، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة، وكان عالمًا بتفسير القرآن. قال ابن سعد: «كان ثقة، عالمًا، كثير الحديث، ورعًا، وهو من رجال الكتب الستة».

وهَبَّت الأَرْوَاح تَنادَوْا: أَبْردتُم فالرَّواحَ، قَالَ: وكان يُعَدُّ إبرادًا حين تزول الشّمسُ.

وَأَمَّا حَدِيثُهُ الآخَرُ أَنَّهُ قَالَ: "حَافِظْ عَلَى الْعَصْرَيْنِ"[١]، فإن العَصْرَيْن عند العرب: الغَدَاةُ والعَشِيّ، قَالَ حُمَيْد بنُ ثَوْر[٢]:

ولن يَلْبَثَ العَصْرانِ يومٌ ولَيْلَةٌ إذا طُلَبا أن يُدْرِكَا ما تَيَمَّمَا

فجعلهما يومًا وليلةٍ.

وقال آخر[٣]:

أُمَاطِلُهُ العَصْرَيْن كَيْما يَمَلَّني ويَرْضى بِنصفِ الدَّينِ والأَنفُ

---

[١] رواه أبو داود وصححه الألباني.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلا هيّما مِمّا لَقيتُ وَهيّما وَويحاً لِمَن لَم أَلقَ مِنهُن وَيحَما).

[٣] هو عَبْد الله بن الزَّبِير الأسَدِيّ: عبد الله بن الزَّبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ بن طريف الأسدي: شاعر من الكوفة من الشعراء المشهورين بالهجاء كان مرهوب اللسان كثير الهجاء سريع الغضب كثير التقلب. كوفيّ المنشأ والمنزل. ولما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة جيء به أسيراً فأطلقه وأكرمه فمدحه وانقطع إليه. وعمي بعد مقتل مصعب ومات في خلافة عبد الملك بن مروان. (والزَّبير على وزن أمير، وهو الداهية والكبش الضخم، والشديد من الرجال، والرجل الظريف الكَيّسُ).

[٤] في ديوانه، وهو بيت مفرد، وقد قال محقق الديوان إنه يظن أن الرواية هي (ويرضى بنصف الدين في غير نائلٍ) وأنه ساقط من قصيدته التي مطلعها: (أَحَابِسَ كَيْدِ الفِيْلِ عَنْ بَطْنِ مَكَّةٍ ... وَأَنْتَ

وقد ذهب بعضُ أهلِ اللغة في العَصْرَيْن إلى مجاز تَغْليبِ أحدِ الاسمين عَلَى الآخر، كقولهم: الأسودان، للتَّمْرِ والماء، وسِيرَة العُمَرَيْن، يريدون أبا بكر وعُمَر، وهو عند أصحاب المعاني عَلَى حقيقة الاسم والوضع في كل واحد منهما، كالبَرْدَين والجَديدَيْن وما أَشْبَهَهُما من مُثَنَّى الأَسماء.

ويقال - والله أعلم - إن صلاة العَشِيّ إنما سُمِّي عصرًا لأن مَدَى وَقْتِها يُقارِب غُروبَ الشمس، من قولهم: أعصَرتِ الجاريةُ، إذا قاربتِ الإدراكَ، وجاريةٌ مُعْصِرٌ، قَالَ الشاعر[1]:

جاريةٌ بسَفْوانَ دَارُها قد أَعْصَرَتْ أو قد دنا إعصارُها[2]

عَلَىَ مَا شِئتَ جَمُّ الفَوَاضِلِ) وأنه في الترتيب بعد البيت: (أَلِينُ إِذا اِشتَدَّ الغَرِيمُ وَألتَوِي اذا لانَ حَتّى يُدرِكَ الدينَ قابِلِي).

[1] والشاهد منسوب لمنظور الأسدي: منظور بن مرثد بن فروة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر ابن جحوان بن فقعس الأسدي: شاعر راجز محسن، من العصر الإسلامي ينسب إلى أمه فيقال منظور ابن حبة، له أراجيز جياد منها لامية يتحسر فيها على ما فات من عمره، ويشكو من هجران محبوبته، وأخرى في مدح طليحة الأسدي والخالدين : خالد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان الأسدي وخالد بن قيس بن المضلل الأسدي قال: (هل كنت تدري من أبو حبال وطلحة المبرح بالأبطال والخالدان بانيا المعالى وقائدا الخيل إلى الأقتال) وهو صاحب البيتين السائرين في كتب الأدب (يا رب أباز من العفر صدعْ تقبض الذئب إليه واجتمعْ لما رأى أن لا دعه ولا شبعْ مال إلى أرطاة حقف فاضطجعْ).

[2] وهو في كتب اللغة على النحو الآتي:

وكذلك هذا المعنى في تسمية صلاةِ الفجرِ عَصْرًا، وذلك أن الوقت الَّذِي تُصَلَّى فيه قد يمتد إلى طلوع الشمس أو يُقارِبه، وقد روي عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى} أنه قَالَ: "أَلا وهي العَصْرُ" وذهب عبدُ الله بن عمر وابنُ عباس وعطاءٌ وطاووس في تأويلها إلى أنها صلاة الفجر، وتابَعَهم عَلَى ذَلِكَ من فقهاء الأمصار الشّافعيُّ، ولا أُراهم توهَّموه إلا معنى الخبر وهو قوله: "أَلا وهي العَصْرُ"، عَلَى أن ضَرَبًا من الاستنباط قد يشهد لمذهبهم؛ وذلك أَنَّ صَلاةَ الفجر واسِطَةٌ بين صلاتين قبلها تُجْمَعَان في السفر وهما المغرب والعشاء، وبين صلاتين بعدها وتجمعان كذلك وهما الظُّهر والعَصْر، وصلاة الفجر لا تُجمَع إليها صلاة فهي واسطة بين الصَّلَوات الخمس.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ الْقِثَّاءَ أَوِ الْقَثَّدَ بِالْمُجَاجِ"[1].

الْمُجاج: فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدُ شَيْئَيْنِ: إِمَّا الْعَسَلُ أَوِ اللَّبَنُ، ويُسَمّى العَسَلُ مُجاجًا؛ لأن النَّحلَ يَمُجُّها، وكذلك اللبنُ إنما يُسَمَّى مُجَاجًا لأَنَّ الضَّرْع يَمُجُّه

جارية بسفوان دارُها تمشي الهوينا مائلا خمارُها

ينحل من غلمتِها إزارُها قد أعصرتْ أو قد دنا إعصارُها

[1] انظر: التكملة والذيل والصلة للصغاني: م ج ج.

عند الحَلْب، وكُلُّ ما تَحَلَّب من شيءٍ فهو مُجاجُه، ولذلك قيل للريق: مُجاجٌ، قَالَ طَرَفة[١]:

شَهِيَّةُ طَعْم الرِّيقِ يجري سِواكُها عَلَى بَرَدٍ عذبِ الْمُجاجَةِ أَشْنَبِ

وقال آخر:

وماءٍ قَدِيمِ العَهْدِ أَجْنٍ كأنَّهُ مُجاجُ دَبًى لاقَى بهاجرةٍ دَبَى

وللجراد لُعابٌ يسيل من أفواهها، قَالَ أبو ثَروان العُكْلِيُّ في كلام له: "أقويتُ فلم أَطْعَم ثلاثًا، إلا لَثا الإذخِر ومُجاجَةَ صَمْغ الشَّجَر"، أي ما يتحلَّب من الصمغ.

وخُبزُ مُجاجا: خُبزُ الذُّرة يُفَتُّ فيُروَّى باللَّبن ثُمَّ يُؤكلُ، ولذلك يقول قائلُهم:

أَطْيبُ شيءٍ باليَمَنْ خُبزُ مُجاجَا باللّبنْ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ ذَكَرَ قِصَّةَ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ وَأَنَّهُمَا لَمَّا رَكِبَا السَّفِينَةَ حَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ"[٢].

---

[١] لم أجده في ديوانه.

[٢] رواه البخاري عن أبيّ بن كعب، في حديث طويل.

قوله: بغير نَوْل، يريد بغير جُعْلٍ[١]، والنَّوْلُ والنَّالُ: الْمَنالةُ، وأما النَّيْلُ والنَّوال فإنهما العطاء ابتداءً، يقال: رجلٌ نَالٌ، إذا كان كثيرَ النَّوال، ورجلان نالان وقومٌ أَنوالٌ، كما قَالُوا: رجلٌ مالٌ، أي كثيرُ المال، وكبشٌ صافٌ، كثيرُ الصُّوف، ويقال: نُلتُ الرَّجلَ أَنُولُه نَوْلًا، ونِلْتُ الشيءَ أَنالُه نيلًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ نَابِغَةَ بَنِي جَعْدَةَ[٢] أَنْشَدَهُ شِعْرًا فَقَالَ لَهُ: "أَجَدْتَ لا يَفْضُضِ اللَّهُ فَاكَ" فَنَيَّفَ عَلَى الْمِائَةِ وَكَأَنَّ فَاهُ الْبَرَدُ الْمُنْهَلُّ تَرِفٌّ غُرُوبُهُ[٣].

وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ: فَمَا سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ إِلا فَغَرَتْ مَكَانَهَا سِنٌّ.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَرَادٍ قَالَ: سمعتُ نابغةَ بَنِي جَعْدَةَ يَقُولُ: أَنْشَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَوْلِي:

عَلَوْنَا السَّمَاءَ عِفَّةً وَتَكَرُّمًا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرا

---

[١] أجرة.

[٢] النابغة الجعدي الكعبي (٥٥ ق هـ/٥٦٨م): شاعر وصحابي من المعمَّرين. ولد في (الأفلاج) جنوبي نجد. اشتهر في الجاهلية، وقيل إنه زار اللخميين بالحيرة. وسمي «النابغة» لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله.

[٣] أخرجه أبو الشيخ بن حيَّان في (طبقات المحدثين بأصبهان) (١/ ٢٧٤).

فغَضِب رسولُ الله وقال لي: "إلى أَيْنَ الْمَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى"؟ قُلْتُ: إِلَى الْجَنَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "أَجَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ:

فَلا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرُ أَصْدَرَا

قَالَ: "أَجَدْتَ لا يَفْضُضِ اللَّهُ فَاكَ"، قَالَ[1]: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَكَأَنَّ فَاهُ الْبَرَدُ الْمُنْهَلُّ تَرِفُّ غُرُوبُهُ[2].

الْمَظْهر: الْمَصْعَد والْمُرْتَقَى، قَالَ الله تعالى: {وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ}.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ فِي حُجْرَتِي قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ"[3]، تُرِيدُ: قَبْلَ أَنْ تَرْتَفِعَ وَتَصْعَدَ إِلَى شَعَف الجُدُر.

وقال محمدُ بنُ إسحاق: لم يَظْهر: أي لم يَغلب الفَيْءُ عَلَى الشّمس في حُجرتها.

وليس هذا عندي بالوَجْه؛ لأن الفَيْءَ وَقْتَ العَصْر في الأبنية لا محالةَ أَغلبُ من الشمس، وإنما معناه: لم يصعد الفَيْءُ بعد إلى أعالي الحيطان.

---

[1] القائل عبد الله بن جراد، راوي الحديث.

[2] رفّ: برق وتلألأ. غروب: حدة الأسنان، وترف غروبه: تتلألأ أسنانه.

[3] رواه النسائي وصححه الألباني.

فأما قَولُه: "إنه كان يُصَلِّي والشَّمسُ حَيَّةٌ"[١] فإنَّ حَياتَها صَفاءُ لونِها قبل أن تَصْفَرَّ أو تَتغَيَّر، قَالَ ذو الرُّمَّة[٢]:

أراها نُجومَ اللَّيلِ والشمسُ حيَّةٌ زِحامُ بناتِ الحارِثِ بنِ عُبَادِ[٣]

---

[١] رواع البخاري ومسلم.

[٢] بل القائل الفرزدق، وهو في ديوانه، انظر قصة البيت في الهامش التالي.

[٣] في المطبوعة (زحامٌ بباب) وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه من الديوان. وقد قال الفرزدق هذه الأبيات يردّ بها على امرأته النوار عندما تزوج عليها امرأةً من اليرابيع من ولد الحارث بن عُبَاد، فقالت له: إنما تزوجتَها أعرابيةً دقيقة الساقين، فقال:

أَراها نُجومَ اللَيلِ وَالشَمسُ حَيَّةٌ زِحامُ بَناتِ الحارِثِ بنِ عُبادِ

نِساءٌ أَبوهُنَّ الأَغَرُّ وَلَم تَكُن مِنَ الحُتِّ في أَجبالِها وَهَدادِ

وَلَم يَكُنِ الجَوفُ الغَموضُ مَحَلَّها وَلا في الهِجارِيّينَ رَهطِ زِيادِ

وَلَيسَت وَإِن نَبَّأتُ أَنّي أُحِبُّها إِلى دارِمِيّاتِ النِجارِ جِيادِ

أَبوها الَّذي أَدنى النَعامَةَ بَعدَما أَبَتْ وائِلٌ في الحَربِ غَيرَ تَمادِ

عَدَلتُ بِها مَيلَ النَّوارِ فَأَصبَحَتْ وَقَد رَضِيَتْ بِالنِّصفِ بَعدَ بِعادِ

وقوله: "بَوَادِرُ تَحمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا" فإنها جمع بادِرَة، وهي الكلمة تكون من الإنسان في حال الغضب، يقول: إنَّ الحليمَ إذا لم تكن منه بادرةٌ يَقمَع بها السَّفِيهَ استُضْعِف واستُذِلَ، كقول الشاعر[١]:

إذا أنتَ لم تَخْشِفْ مع الحِلْمِ خَشْفَةً من الجَهْلِ لم يَعْزِزْ أَخٌ أنتَ ناصِرُهْ[٢]

وقوله: "لا يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ" عن ابن الأعرابي قَالَ: معناه لا يكسِرِ اللهُ أسنانَك التي في فيك، ثُمَّ حُذِف لعِلم المخاطَب، كما يقال: يا خَيلَ الله اركبي، أي يا رُكَّابَ خيلِ الله، ومثلُ هذا في الاختصار قوله: {وَأُشْرِبُوا فِي

---

[١] هو الأعنَقُ بن الباهليةِ الحبيبي، وقد صرح باسم نفسه في القصيدة التي منها الشاهد، انظر الهامش التالي.

[٢] ورد هذا البيت ضمن أربعة أبيات، في كتاب التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري، قال: وللأعنق بن الباهلية الحُبيبيّ، أحد بني لُبينَى:

إذا أنتَ لم تَخْشِفْ مَعَ القومْ خَشْفَةً ... منَ الجَهلِ لَمْ يأمن أخٌ أنت صاحبُهُ

ورَامتك ذُلاّنُ الرِجال ولم تُهَبْ ... لِشَيءٍ إذا ما هِيبَ للّيثِ جانبُهُ

أَنا الأَعنَقُ بنُ الباهليَّةِ أَرتَدي حَمائلَ عَضبٍ لم تُفَلَّلْ مَضارِبُهْ

تَعَيَّشْتُهُ الدَيّانَ في عامِ لِزْبةٍ ... تَخَبْخَبَ فيها بُدْنُهُ وَحقائبُهْ

قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} أي حبَّ العِجل وقال: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} أي: أهلَ القَريَة: وأنشدنا أبو عُمَر[١]:

حَسِبتَ بُغامَ راحِلَتِي عَنَاقًا وما هيَ - وَيْبَ غَيرِكَ - بالعَناقِ

يريد: بُغَامَ عَناقٍ.

وفيه لغتان: لا يَفْضُضِ اللهُ فاك ولا يُفْضِ اللهُ فَاكَ، فَمنَ قَالَ يَفْضُض، فمعناه يكسر ويَفُلُّ، ومَن قَالَ يُفْضِي، أَراد لا يجعلِ اللهُ فَاكَ فَضاءً لا سِنَّ فيه، والبَرَدُ الْمُنْهَلُّ هُوَ الَّذِي سَقط لوقْتِه وفيه بَيَاضُه ورونَقُه، يقال: هَلَّ السَّماءُ بالْمَطرِ هَلًا، وانهل انهلالًا، وهو شِدَّة انْصبابِه.

وقولُه: تَرِفُّ غُروبُهُ، معناه تَبرُق وتَلأْلأُ، يقال: رفَّ الثَّغْرُ يَرِفُّ، قَالَ عُمرُ بنُ أبي ربيعة المخزومي[٢]:

---

[١] والبيت للشاعر ذي الخرق الطهوي: خليفة بن حمل بن عامر بن حميري، شاعر جاهلي من بني طهية، وذو الخرق لقب له لقوله يصف إبلاً جاءت غرثى أى جائعة من المرعى بسبب الجدب فقال: (جاءت عجافاً عليها الريش والخرق)، والشاهد من أبيات قالها في وصف ذئب، وهي في اللسان في (عقا) وقبل هذا البيت: (ألم تعجب لذئب بات يسري ... ليؤذنَ صاحبًا له باللحاقِ).

[٢] عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي: أرق شعراء عصره، ولم يكن في قريش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. ورُفع إلى عمر ابن عبد العزيز أنه يتعرض لنساء الحاجّ ويشبب بهن، فنفاه إلى (دهلك) ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقاً.

يَرِفُّ إذا تَفْتَرُّ عنه كأنّهُ حَصَا بَرَدٍ أو أُقْحوانٌ مُنَوَّرُ[١]

وقال نَصْرُ بنُ حَجَّاج[٢] وقد حَلَقَه عُمرُ بن الخطاب:

فَصَلَّعَ رأْسًا لم يُصَلِّعْهُ رَبُّهُ يَرِفُّ رفيفًا بعد أسودَ جاثلِ[٣]

وغُروبُه: ماؤُهُ وأُشُرُه، قال امرؤ القيس[٤]:

فَتورُ القيامِ قطيعُ الكلا مِ تَفْتَرُّ عن ذي غُرُوبٍ خَصِرْ

وقوله: فَغَرت، يُرِيد طَلَعت، ويقال فَغَر الوردُ، إذا تَفَتَّق، ومنه فغْرُ الفم، وهو فَتْحُه، ويجوز أن يكون ثغَرتْ، أي طَلَع ثَغْرُه، والفاءُ تُبدَل من الثّاء في لغة كثير من العرب، كقولهم جَدَثٌ وجَدَفٌ، وثُومٌ وفُومٌ.

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَمِن آلِ نُعمٍ أَنتَ غادٍ فَمُبكِرُ غَداةَ غَدٍ أَم رائِحٌ فَمُهَجِّرُ).

[٢] نصر بن حجاج بن علاط السلمي ثم البهزي: اشتهر بجماله وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعس بليلٍ امرأة تقول: هل من سبيل إلى خمر فاشربها أو من سبيل إلى نصر بن حجاج، فلما أصبح سأل عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإذا هو من بني سُليم، فأرسل إليه فأتاه فإذا هو من أحسن الناس شعراً وأحسنهم وجهاً، فأمر عمر أن يحلق شعره، ففعل، فخرجت جبهته فازداد حسناً.

[٣] الجاثل: الكثيرُ الشَّعر. وقبل هذا البيت: (وضَنَّ ابنُ خَطّابٍ عليَّ بجُمَّةٍ ... إذا رُجِّلَت تَهتَزُّ هزَّ السَّلاسِلِ).

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَحارِ بنُ عَمروٍ كَأَنّي خَمِر وَيَعدو عَلى المرءِ ما يَأتَمِر).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ صَلَّى فَجَاءَ رَجُلٌ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ قَالَ: "أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ"؟ فَأَرَمَّ الْقَوْمُ[1]. وَيُرْوَى: فَأَزَمَّ الْقَوْمُ.

قوله: حَفَزَه: أي جَهَده النَّفَسُ وعَلاه البُهر، وأصلُ الحَفْز الحَثُّ والاستِعْجالُ، يقال: احْتَفَزتُ للأمر، إذا انزعَجْتَ له، قَالَ الشاعر:

وقد أَغدُو غَداةَ الرَّوْع هَشًّا بمُنكَفِتِ الثَّمِيلَةِ ذي احتَفازِ

وقوله: فأَرَمَّ القومُ، معناه سَكَتُوا ولم يُجيبوا، يقال للساكت الْمُطرِق: مُرِمٌّ، قَالَ ذو الرُّمَّة[2]:

مُرِمّينَ مِن لَيْثٍ عليه مهابَةٌ تَفَادى الأُسُودُ الغُلبُ منه تَفادِيا

وقال آخر[3]:

يَرْدْنَ واللَّيلُ مُرِمٌّ طائِرُهْ مُرْخى رِواقَاهُ هُجُودٌ سامِرُهْ

---

[1] رواه مسلم.

[2] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ألا حي بالزرق الرسوم الخواليا ... وإن لم تكن إلا رميماً بواليا).

[3] ينسب لحميد الأرقط: حميد بن مالك الأرقط، ولقب بالأرقط لآثار كانت بوجهه، وهو شاعر إسلامي مُجيد. له قصائد فى مدح الحَجَّاج. واشتهر حميد ببراعته فى الرجز وكان سابقًا للعجاج ورؤبة.

فأما قولُه: أَزَمَ، فمعناه راجعٌ إلى الأول، والأَزْمُ: الإمساك عن الكلام وعن الطعام، ولذلك سُمِّيَت الحِمْية أَزْمًا، وقيل للحارث بن كَلَدة[١]: ما الطِّبُّ؟ قَالَ: الأَزْمُ، يريد الحِمْيَة، ويقال إن الأصلَ في الأَزْم العَضّ، وذلك أن العَاضَّ عَلَى الشّيء يَشُدّ أحد لِحْيَيه عَلَى الآخر، فَشُبِّه الْمُمْسِك عن الطعام به.

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الآخَرُ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلا الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَهُوَ زَامٌّ لا يتكلم"[٢] فمعناه أنه رافع رأسه لا يُقْبِل عليه ولا يستمع إليه، يقال: حَمَل الذِّئبُ السّخْلَةَ زامًّا بها، أي رافِعًا بها رأسه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه ذَكَرَ قارئَ الْقُرْآنِ وَصَاحِبَ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَكَ النَّجْدَةَ تَكُونُ فِي الرَّجُلِ، فَقَالَ: "لَيْسَتْ لَهُمَا بِعَدْلٍ، إِنَّ الْكَلْبَ يَهِرُّ مِنْ وَرَاءِ أَهْلِهِ"[٣].

قَوْلُهُ: "أَرَأَيْتَكَ" هُوَ كَقَوْلِهِ: أَرَأَيْتَ، ويَجرِي فِي الْكَلامِ مَجْرَى الاسْتِخْبَارِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ}.

---

[١] طبيب العرب، الثقفي.

[٢] رواه ابن هشام في السيرة.

[٣] رواه أحمد ١٦٩٦٦.

وقوله: إنّ الكلبَ يَهِرُّ من وراء أهله، مَثَل، ومعناه أن النَّجدةَ والشَّجَاعَةَ غَرِيزَةٌ في الإنسان فهو قد يَلْقَى الحربَ ويُقاتِلُ حَمِيّة لا حِسْبة، وضرب الكلبَ مَثَلًا إذْ كان من طَبْعه أن يَهِرّ دون أهلِه ويَذُبَّ عنهم.

وقوله: لَيْسَت لهما بِعَدْل، أي بِمِثْل، قَالَ الفَرّاء: ما كان من جِنْس الشيء فهو عِدْلُه وما كان من غيرِ جِنْسِه فهو عَدْله، يقال: عندي عِدْل غُلامِك، أي عندي غُلامٌ مِثلُه، وعَدْل غُلامِك أي قيمته من الدراهم والدَّنانِير.

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ عَادَ سَعْدًا فَوَصَفَ لَهُ الْوَجِيئَةَ"، فعَنْ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَادَهُ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ وَقَالَ: "إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْئُودٌ، فَائْتِ الْحَارِثَ بْنَ كَلْدَةَ أَخَا ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ يَتَطَبَّبُ، فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلْيَجَأْهُنَّ ثُمَّ لِيَلُدَّكَ بِهِنَّ"[1].

وفي رواية أَنَّهُ وَصَفَ لَهُ الْفَرِيقَةَ.

قوله: "فَلْيَجَأْهُنَّ"، الوَجِيئَةُ: التّمرُ يُبَلّ بلبَن أو سَمْن حتى يلزَمَ بعضُه بعضًا ويؤكل، واللدود: كلّ ما يوجَرُه الإنسان من أَحدِ شِقَّيه، ومنه قيل لجانبي

[1] سنن أبي داود – كتاب الطب باب في تمرة العجوة (حديث رقم: ٣٨٧٥).

الوادي اللَّدِيدان، يقال: لَدَّه لدًّا ولَدُودًا، والاسم اللِّداد، ويُجمَع أَلِدَّة، قَالَ ابن أحمر[١]:

شَرِبْتُ الشُّكَاعَى[٢] والتَدَدتُ أَلِدَّةً وأَقْبلتُ أَفواهَ العُروقَ المكاوِيَا[٣]

والفَرِيقَةُ نَحوٌ من الوَجيئة، قال ذو الرمة[٤]:

ولقد وردتَ الماءَ لونُ جمامِهِ لونُ الفريقةِ صُفِّيتْ للمُدْنَفِ[٥]

---

[١] عمرو بن أحمر الباهلي: عمرو بن أحمر بن العمرَّد بن عامر الباهلي: شاعر مخضرم، عاش نحو ٩٠ عاماً. كان من شعراء الجاهلية، وأسلم. وغزا مغازي في الروم، وأصيبت إحدى عينيه. ونزل بالشام مع خيل خالد بن الوليد، حين وجهه إليها أبو بكر. ثم سكن الجزيرة. وأدرك أيام عبد الملك بن مروان. له مدائح في عمر وعثمان وعليّ وخالد. ولم يلق أبا بكر. وهجا يزيد بن معاوية، فطلبه يزيد ففرّ منه.

[٢] الشكاعى نبت يُتداوى به.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي يهجو فيها يزيد بن معاوية ومطلعها: (لَعَمرِيَ ما خُلِّفتُ إِلّا لِما أَرى وَراءَ رِجالٍ اَسلَموني لِما بِيا).

[٤] بل الصحيح أنه لأبي كبيرٍ الهذلي: عامر بن الحليس الهذلي أبو كبير بن السهلي الهذلي: شاعر فحل، من شعراء الحماسة قيل: أدرك الإسلام وأسلم، وله خبر مع النبي صلى الله عليه وسلم. ويروى أنه تزوج أم تأبط شراً وكان غلاماً صغيراً وله معه خبر طريف ورد في خزانة الأدب.

[٥] في ديوانه في شعر الهذليين من قصيدته التي مطلعها: (أَزُهَيرَ هَل عَن شَيبَةٍ مِن مَصرِفِ أَم لا خُلودَ لِباذِلٍ مُتَكَلِّفِ).

وقوله: "مَفْئُود"، يريد أنه أُصيبَ بداءٍ في فؤاده، يقال منه: فُئِد الرَّجلُ، إذا أُصيبَ فُؤادُه، وصُدِر، إذا أُصِيبَ صَدرُه، ومنه الْمَثَل: لا بد للمَصْدُور من أَنْ يَنْفِثَ، ومثلُه جُنِب وبُطِن، فهو مَجْنُوبٌ ومَبْطون، قَالَ الشاعر:

إذا ضَرَبتَ مؤقَرًا فابطُنْ لَهْ بَيْنَ قُصَيْراهُ وبَيْن الجُلَّهْ[١]

وزعم بعضُهم أن الفؤادَ غِشاءُ القلب، وأن القَلْبَ حَبَّتُه وسُوَيْداؤه، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً"[٢].

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الآخَرُ: "أَنَّ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ دَخَلَتْهُ خَشْيَةٌ مِنَ النَّارِ فَحَبَسَتْهُ فِي الْبَيْتِ حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْفَرَقَ مِنَ النَّارِ فَلَذَ كَبِدَهُ"[٣] فإنه يريد أنَّ الخَوفَ قد خَلَع كَبِدَه وقَطَعَها، والفِلْذَةُ القِطْعَةُ منها، ويقال فَلَذ له من العَطاءِ، أي قَطَع له، قَالَ الشاعر، وهو كُثَيِّر[٤]:

---

[١] يعني جملًا عليه جلة فهو بها موقَر. أي إذا ضربت بعيراً موقراً بحمله فاضربه في موضع لا يضرّ به الضرب، فإن ضربه في ذلك الموضع من بطنه خير له من غيره.

[٢] متفق عليه.

[٣] أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين – كِتَابُ التَّفْسِيرِ– تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّحْرِيمِ – حديث رقم ٣٧٨٧.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها عبد العزيز بن مروان ومطلعها: (وَقُلنَ وَقَد يَكذِبنَ فيكَ تَعَيُّفٌ وَشُؤمٌ إذا ما لَم تُطَع صاحَ ناعِقُه).

إذا المالُ لم يوجِبْ عليك عَطاءَه صَنيعَةُ تَقْوَى أو صديقٌ توامِقُهْ

بَخِلتَ وبَعضُ البُخل حَزمٌ وقُوَّةٌ ولم يَفْتَلِذْكَ المالَ إلا حَقَائِقُهْ

ويروى يَفْتَلِتْك، يقال: افتَلَتُّ الشيءَ، إذا أَخَذتَه فُجاءةً، قَالَ الشاعر[١]:

فإن تَفْتَلِتْها والخِلافَة تَنْفِلتْ بأكرمَ عِلْقَى مِنْبَرٍ وسَرِيرِ[٢]

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُهُ الآخَرُ: "أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْهُ فَقَالَتْ إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا"[٣]، أَيْ أُخِذَتْ نَفْسُهَا فُجَاءَةً.

قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ صُبَيْرَةُ، يَقُومُ عَلَى الْمَجَالِسِ فَيَقُولُ: هَلْ تَرَوْنَ بِي بَأْسًا؟ إِعْجَابًا بِنَفْسِهِ، فبينا هو كذلك إذا فَجِئَهُ الْمَوْتُ أَصَحَّ مَا كَانَ، فَقِيل فيه:

مَنْ يأمَنِ الحَدَثان بعـ ـدَ صُبَيْرَةَ القُرَشيّ ماتَا

سَبَقَتْ مَنِيَّتُه المشيـ ـبَ وكان مِيتَتُهُ افْتِلاتَا

قَالَ العَنْبرِيّ: صُبَيْرة، وقال غيره: ضُبَيْرَةَ بالضَّادَ المعجمة.

---

[١] هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، كما عند ابن عساكر في تاريخ دمشق، قاله في زوجته آمنة بنت سَعِيد بن العاص، وأمها أم عمرو بنت عثمان بْن عفان.

[٢] وقبل هذا البيت: (كعاب أبوها ذو العصابة وابنه * وعثمان ما أكفاؤها بكثيرِ).

[٣] أخرجه البخاري ومسلم. وتمامه: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وأَظُنُّهَا لو تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قالَ: نَعَمْ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَمْ يَشْعُرْ بعسكر رسولِ الله يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى تَصَايَحَ الْفَرِيقَانِ، فَفَزِعَ أَبُو الْحَكَمِ فَقَالَ: مَا الْخَبَرُ؟ فَقِيلَ: مُحَمَّدٌ فِي الدَّهْمِ بِهَذَا الْقَوْزِ[١]، فَأَخَذَتْهُ خَوَّةٌ فلا ينطق"[٢].

الدَّهْمُ: العَدد الكثير، يقال: جيشٌ دَهْم، أي كَثِير، قَالَ طَرَفة[٣]:

وأنا امرؤ أَكْوِي مِنَ القَصَرَ[٤] الـ ـبادي وأغشى الدَّهْمَ بالدَّهْمِ

وقال آخر:

جِئْنَا بِدَهْمٍ يَدْحَرُ الدُّهُومَا مَجْرٍ كأنَّ فوقَهُ النُّجوما

المَجْر: جيش شَاكُونَ[٥].

وعَنْ ابن الأعرابي قال: الدَّهْم: الخَلْق الكَثِيرُ، وقال أَعرابِي - وقد سَبَقَ النَّاسَ إلى عَرفَةَ -: اللَّهُمّ اغْفِر لي قبل أَنْ يَدْهَمَك النَّاسُ[٦].

---

[١] القَوْزُ: الْعَالِي مِنَ الرَّمْلِ كأَنه جَبَلٌ.

[٢] انظر: الغريبين في القرآن والحديث للهروي، أبي عبيد.

[٣] في ديوانه من قصيدة يهدد فيها المسيب بن علس، ويمدح قتادة بن مسلمة الحنفي وأصاب قومه سَنة، فبذل لهم، ومطلعها: (إنَّ امرأ سرف الفؤاد يرى ... عسلًا بماء سحابة شتمي).

[٤] القصر: داء يصيب العنق.

[٥] يقال: الجندي شاكي السلاح: تامُّ السلاح كاملُ الاستعداد.

[٦] أي يَكثُروا.

وَمِنْهُ حَدِيثُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ بِدَهْمٍ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ"[١].

والقَوْزُ: الكَثيبُ من الرَّمْل، ويجمع عَلَى القِيزانِ، والخَوَّةُ: الفَتْرَةُ، أصلُه من الخَوَى، قَالَ ابنُ الأعرابي: الخَوَّةُ الجوع، كانت في الأصل خَوْية، يقال: خَوِي فلان يَخْوَي خَوًى، إذا جاعَ، فشُدِّدتْ الواو وتُركت الياء.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ لِهَذَا الْقُرْآنِ شِرَّةً، ثُمَّ إِنَّ لِلنَّاسِ عَنْهُ فَتْرَةً، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى الْقَصْدِ فَنِعِمَّا هُوَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى الإِعْرَاضِ فَأُولَئِكُمْ بُورٌ"[٢].

قوله: إنَّ للقرآنِ شِرَّةً، معناه إن للقارئ المبتدئ فيهِ رَغْبَةً ونشاطًا، ومنه شِرَّةُ الشَّبَابِ، وهي مَيْعَتُه ونشاطُه، قَالَ الشاعر[٣]:

رأتْ غلامًا قد صَرَى في فِقْرتِهْ ماءُ الشَّباب عُنْفُوانَ شِرَّتِهْ[٤]

---

[١] رواه مسلم.

[٢] أخرجه أحمد (٦٩٥٨)، وابن حبان (١١)، والطبراني (٤٢٩/١٣) (١٤٢٧٤) باختلاف يسير، وصححه الألباني.

[٣] هو أبو محمد الفقعسي: عبد الله بن ربعي بن خالد الحنظلي الفقعسي الأسدي: راجز إسلامي، عاصر حروب الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. تردد اسمه كثيراً في كتب اللغة والمعاجم حيث كانت أراجيزه تستخدم كشواهد لغوية أو نحوية لِمَا أهملته كتب الأدب.

[٤] في ديوانه وهو بيت منفرد.

والمعنى: مَدْحُ الاقتصاد في القراءة والأَمرُ بالمواظبة عليه.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى الاقْتِصَادِ فِي الْعِبَادَةِ أَخْبَارٌ مِنْهَا قَوْلُهُ: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ؛ فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ وَلا ظَهْرًا أَبْقَى"[١].

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَسْأَمُ حَتَّى تَسْأَمُوا"[٢]، ومعناه لا يَسأمُ إذا سَئِمْتُم، كقول الشَّنْفَرَى[٣]:

صَلِيَتْ مِنِّي هُذَيلٌ بِحِزْقٍ لا يَمَلُّ الشَّرَّ حتى يَمَلُّوا[٤]

يريد أنه لا يَمَل إذا مَلُّوا، ولو أَراد به النِهاية لم يكن فيه مَدْحٌ ولا له عليهم فَضلٌ.

---

[١] أخرجه البيهقي وضعفه العجلوني في "كشف الخفاء" والألباني في "السلسلة الضعيفة".

[٢] رواه البخاري ومسلم.

[٣] الشنفرى: عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان. شاعر جاهلي، يماني. كان من فتاك العرب وعدّائيهم. وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. وقيست قفزانة ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة. وفي الأمثال: (أعدى من الشنفرى) وهو صاحب (لامية العرب) التي مطلعها: أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميلُ.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إِنَّ بِالشِّعبِ الذي دونَ سلعٍ لَقتيلاً دَمُه ما يُطَلُّ).

وفيه وجهٌ آخر وهو أن يكون معناه أن اللهَ لا يسأَمُ الثَّوابَ ما لم تَسْأَمُوا العَمَلَ، أي لا يترُك الثَّوابَ ما لم تَترُكُوا العَمَل، ومَثَّلَ العَرَبُ هذا في قولهم: "القَصْدُ أنجى للسير"[١] قال الأعشى[٢]:

إذا حاجةٌ ولَّتْكَ لا تَسْتَطِيعُها فخُذْ طَرَفًا مِنْ غيرِها حينَ تُسْبَقُ

فذلك أَحرَى أنْ تَنالَ جَسِيمَها ولَلْقَصْدُ أَنْجَى في المسيرِ وأَلْحَقُ

وقال مَرّارٌ الفَقْعَسِيُّ[٣]:

نُقَطِّعُ بالنُّزولِ الأرضَ عَنَّا وبُعدُ الأَرضِ يَقْطعُهُ النُّزُولُ[٤]

يقول إن إِجمامَ الْمَطِيَّةِ بالنُّزول مَعُونَةٌ لها عَلَى السير عند الرحيل.

---

[١] أَي: الاقتصاد فِي السّير أسلم لَهُ من الِانْقِطَاع.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها المحلق بن خنثم بن شداد بن ربيعة، ومطلعها: (أَرِقتُ وَما هَذا السُهادُ المؤَرِّقُ وَما بِيَ مِن سُقمٍ وَما بِيَ مَعشَقُ).

[٣] المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي: شاعر إسلامي، من شعراء الدولة الأموية. وهو القائل: (إذا افتقر المرارُ لم ير فقره.. وإن أيسر المرارُ أيسر صاحبه) وكان مفرط القصر، ضئيلا. نسبته إلى (فقعس) من بني أسد بن خزيمة. كان يهاجي المساور بن هند.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (بِحَزمِ الأَنعَمَيْنِ لَهُنَّ حادٍ مُعَرٍّ ساقَهُ غَرِدٌ نَسولُ).

وقوله: فأولئكم بُورٌ، يقال: رجل بائِرٌ أي هالِكٌ، وقوم بُورٌ: هَلْكَى، ويقال أيضًا للواحد بُورٌ، قَالَ ابنُ الزِّبَعْرَى[١]:

يا رَسُولَ الْمَلِيكِ إنَّ لساني راتقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أَنَا بُورُ[٢]

والبوار: الكساد أيضًا، ومنه الحديثُ: "نَعُوذُ باللهِ مِن بَوارِ الأيِّمِ"[٣].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ مَضَغَ وَتَرًا فِي رَمَضَانَ وَرَصَفَ بِهِ وَتَرَ قَوْسِهِ"[٤].

---

[١] عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدي السهمي القرشي، شاعر قريش ومكة الأول، عرف بحبه لقبيلته وتمسكه في الدفاع عنها والذب عن مآثرها، وكان لشعره دور كبير في مناهضة الدعوة الإسلامية والرد على شعراء المسلمين من مثل حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وقد وثق في شعره معظم المعارك التي قامت بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش؛ من بدر وأحد والخندق وغيرها. هرب بعد فتح مكة إلى نجران، وهجاه حسان بن ثابت بأبيات جعلته يعيد النظر في موقفه من النبي ويتوجه إليه معتذرًا ومعلنًا إسلامه، فقبل منه النبي وخلع عليه حلة. وقد مدح ابن الزعبرى النبي صلى الله عليه وسلم بمجموعة من القطع والقصائد، وشهد المشاهد في الإسلام، إلى أن توفي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم ويعتذر إليه، حين جاء يعلن إسلامه، والبيت مطلع القصيدة، وبعده: (إذ أُباري الشَيطانَ في سِنَنِ الغَيّ وَمَن مالَ مَيلَهُ مَثبورُ).

[٣] بوار الأيم أي كسادها، مِن بارت السوق، والأيم التي لا زوج لها.

[٤] أخرجه أبو نُعَيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٠٦) بإسناد ضَعيف.

الرَّصْفَةُ: عَقَبَةٌ تُلوَى عَلَى مَدْخل النَّصل في السَّهم، يقال: رصَفْتُ السَّهمَ فهو مَرْصُوف، وكذلك هي تُلوَى عَلَى مَوضع الفُوقِ من الوَتَرِ ويُشَدُّ بها.

وفي الحديث مِن الفَقْه أَنَّ مَضْغَ العِلْك لا يُفْطِر الصائم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كَانَ إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعًا يُعْرَفُ فِي مَشْيِهِ أَنَّهُ غَيْرُ غَرِضٍ وَلا وَكِلٍ"[1].

الغَرِضُ: الْمَلُولُ الضَّيِّقُ الصَّدرِ، والغَرَضُ: الْمَلالَةُ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ قَالَ: لَمَّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ كَرِهْتُهُ أَشَدَّ كَرَاهِيَةٍ، فَسِرْتُ حَتَّى نَزَلْتُ أَقْصَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَأَقَمْتُ بِهَا حَتَّى اشْتَدَّ غَرَضِي .. "، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ قُدُومِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَإِسْلامِهِ.

يُرِيدُ: اشْتَدَّ ضَجَرِي، والغَرَضُ أيضًا شِدَّةُ النِّزاعِ إلى الشيء والاشتِياق إلى قُربِه، ومنه قول أعرابيّ من بني كلاب[2]:

فَمَنْ يَكُ لم يَغْرَضْ فإنّي وناقَتِي بِحَجْرٍ إلى أهْلِ الحِمَى غَرِضانِ

---

[1] رواه القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

[2] بل هو عروة بن حزام: أحد عشاق العرب وعذرييها، عُرف بغرامه بابنة عمه عفراء العذرية، فقد مات أبوه فنشأ في حجر عمه أبي عفراء، وتحابّا في صباهما، فلما كبرا زوّجها أبوها لغيره، وسافرت مع زوجها إلى الشام، وكان عروة غائباً، فلما عاد قيل له إنها ماتت. ثم علم بخبرها ورآها قبل موته وبلغها نعيه فقالت أبياتاً في رثائه ومضت إلى قبره، فماتت ودفنت إلى جانبه. وبلغ معاوية خبرهما فقال: لو علمت بحال هذين الحرّين الكريمين لجمعت بينهما.

تَحِنُّ فتُبْدي ما بها مِن صَبَابَةٍ وأُخْفِي الَّذِي لولا الأُسَى لقَضَانِي[١]

وأنشد ابنُ الأعرابي[٢]:

مَنْ ذا رَسُولٌ ناصِحٌ فُمبَلِّغٌ عَنّي عُلَيَّةَ غيرَ قِيلِ الكاذبِ

إنّي غَرِضتُ إلى تَنَاصُفِ وَجْهِها غَرَضَ الْمُحِبّ إلى الحبيبِ

قوله: تَنَاصُفِ وَجْهِها: أي تَنَاسُب مَحاسِنِها وتَشَاكُلِها.

وقولُه: غير وَكِلٍ: معناه غير ضَعيفٍ ولا ثَقِيلِ الحركات، قال الراجز[٤]:

---

[١] في ديوانه من نونيته الغزلية العذرية الطويلة التي مطلعها (خَليليَّ من عُليا هلالِ بنِ عامرٍ بِصَنْعاءَ عوجا اليومَ وانتظراني) وبالتحديد في المقطع الذي مطلعه (متى تكشفا عنّي القميصَ تَبَيَّنا بِيَ الضُّرَّ من عَفْراء يا فَتَيانِ).

[٢] هما لإبراهيم بن هرمة: إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي: شاعر غزل من سكان المدينة. من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد الأموي، فأجازه، ثم وفد على المنصور العباسي في وفد أهل المدينة، فتجهم له، ثم أكرمه. وانقطع إلى الطالبيين وله شعر فيهم. وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم. قال الأصمعي: ختم الشعر بابن هرمة. وكان مولعاً بالشراب جلده صاحب شرطة المدينة.

[٣] وهما في ديوانه.

[٤] هو قيس بن عاصم المنقري: قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي، أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة، كان شاعرا اشتهر وساد في الجاهلية وهو ممن حرم على نفسه الخمر. وفد على النبي صلى الله عليه و سلم في وفد تميم سنة (٩ هـ) فأسلم وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيد أهل الوبر. نزل العراق وتوفي بالبصرة وكان له ٣٣ ولداً.

ولا تكونَنَّ كَهِلَّوفٍ وكِلْ يُصبحُ في مصْرعِهِ قد

ويقال: إنَّ الوَكِل هُوَ الَّذِي يَكِل الأمَر إلى غيره ولا يباشرُه بنفسه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "ابْتَغُوا الرِّزْقَ فِي خبايا الأرض"[٢]، يُتأول عَلَى وجهين: أحدهما الحَرْثُ والزراعة، والآخر استخراج ما في المعادن من جواهر الأرض.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أنه ذكر خروجَ الدَّجال وَأَنَّهُ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ غَرَضٍ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يضحَك"[٣].

قَالَ الأصمعي: يقال: ضرب الصّيدَ فقطعه جَزْلَتَيْن: أي قِطعَتَيْن، قَالَ: ويقال جَازَ، من الجزَال، وهو زَمن صِرام النَّخْل، وأنشد[٤]:

---

[١] وهو في ديوانه أحد بيتين، وكان أخذ صبيًّا من أمه يرقِّصه، وأمه منفوسة بنت زيد الفوارس، والصبي هو ابنه واسمه حكيم، والبيتان:

أشبِهْ أبا أمّكَ أو أشبِهْ حملْ ولا تكونَنَّ كهِلَّوفٍ وكِلْ

يبيت في مقعده قد انجدلْ وارْقَ إلى الخيرات زناً في الجبلْ

[٢] ضعف الألباني إسناده.

[٣] رواه مسلم في حديث طويل.

[٤] هو لأبي النجم العجلي.

حتى إذا ما حَانَ من جِزَالِها وحَطّتِ الجُرَّام من جِلالِها[١]

يريد أوعِيَتها.

وقوله: رَمْيَة الغَرَض، يريدُ أَنَّ بُعدَ ما بين القطعتين رميةُ غَرَض.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مِعْنَقًا صَالِحًا، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ"[٢].

قوله: بَلَّحَ، معناه أَعيَا وانْقَطَع، يقال: بلَّح الفرسُ، إذا انقطع جَرْيُه، وبلَّحَتِ الرَّكِيَّةُ[٣]، إذا ذهب ماؤُها، وَبَلَّحَ الغَرِيمُ، إذا أَفْلَس، والْمَعْنَى في هذا كله يرجع إلى شيءٍ واحدٍ، قَالَ مُتَمِّم بن نُوَيْرَة يصف فرسًا[٤]:

مُلِحٌّ إذا بلَّحْنَ في الوعثِ لاجقُ سنابِكُ رِجليْه بِعَقْد حزامِ[٥]

---

[١] في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (زوجٌ لأسماء على هزالها ظلت، وورْدٌ صادقٌ من بالها).

[٢] رواه أبو داود، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

[٣] البئر.

[٤] متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي: شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه. اشتهر في الجاهلية والإسلام. وكان قصيراً أعور. أشهر شعره رثاؤه لأخيه (مالك) ومنه قوله: (وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر، حتى قيل: لن يتصدعا) سكن متمم المدينة، في أيام عمر، وتزوج بها امرأة لم ترض أخلاقه لشدة حزنه على أخيه.

[٥] لم أجده في ديوانه. وهو في المعاني الكبير لابن قتيبة بلا عزو.

وقال قَيسُ بن الخَطِيم[١]:

وإنَّا إذا ما مُمْتَرُو الحَرْبِ بَلَّحُوا نُقِيمُ بآسادِ العرينِ لواءها[٢]

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُهُ الآخَرُ فِي الرَّجُلِ الَّذِي يَدْخُلُ آخِرَ النَّاسِ الْجَنَّةَ: "فَيُقَالُ لَهُ: اعْدُ مَا بلغتْ قدماك، فيعدو حَتَّى إِذَا بَلَّحَ..."[٣].

وقوله: مِعْنَقًا، مأخوذ من العَنَق، وهو انبساط السَّيْر، يقال: دابَّة مِعْنَاقٌ، قَالَ الشاعر[٤]:

ومِن سَيْرِها العَنَقُ الْمُسْبَطِرُّ والعَجْرَفِيَّةُ بعدَ الكَلالِ[٥]

---

[١] قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي: شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية، أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما وقال في ذلك شعراً. وله في وقعة (بعاث) التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة. أدرك الإسلام وتريث في قبوله فقتل قبل أن يدخل فيه.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تَذَكَّرَ لَيلى حُسنَها وَصَفاءَها وَبانَت فَأَمسى ما يَنالُ لِقاءَها).

[٣] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥١٤٦) في حديث طويل في وصف الجنة.

[٤] هو أميّة بن أبي عائذ العمريّ أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (ت ٧٥ هـ): شاعر أدرك الجاهلية، وعاش في الإسلام. كان من مداحي بني أمية، له قصائد في عبد الملك بن مروان. ومما أنشده قصيدة له مطلعها: (ألا إن قلبي مع الظاعنينا حزين فمن ذا يعزي الحزينا) وأقام عنده مدة بمصر، فكان يأنس به ويوالي إكرامه. ثم تشوق إلى البادية وإلى أهله، فرحل.

[٥] في ديوانه من قصيدة يصف فيها الناقة، ومطلعها: (تَمُرّ كَجَنْدَلَةِ المِنْجَنيقِ يَرْمي بها السّورُ يومَ القتالِ).

والْمِعْنقُ من أوصافِ المبالغة.

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُهُ الآخَرُ فِي قِصَّةِ الْغَارِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ رَهْطًا ثلاثةً انطلقوا فأصابتْهمُ السماءُ فلجؤوا إِلَى غَارٍ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِيهِ إِذِ انْقَلَعَتْ صَخْرَةٌ مِنْ قُلَّةِ الْجَبَلِ، حَتَّى تَدَهْدَهَتْ حَتَّى جَثَمَتْ عَلَى بَابِ الْغَارِ، فَقَالَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: كُفَّ الْمَطَرُ وَعَفَا الْأَثَرُ وَلَنْ يَرَاكُمْ أَحَدٌ إِلا اللَّهُ، فَلْيَنْظُرْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَفْضَلَ عَمَلٍ عَمِلَهُ قَطُّ فليذكرْه ثُمَّ لِيَدْعُ اللَّهَ".. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، قَالَ: فَانْفَجَرَتِ الصَّخْرَةُ فَانْطَلَقُوا مُعَانِقِينَ[١]، أَيْ مُسَارِعِينَ، مِنَ الْعَنَقِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَمْ يَتَنَدَّ مِنْ دِمَاءِ الْحَرَامِ بِشَيْءٍ دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ"[٢]، فمعناه لم يُصِب منها شيئًا، يقال: ما نَدِيَني مِن فلان بَأسٌ، أي ما أصابَني، وما نَدِيتُ بشيء، قَالَ النَّابِغَةُ[٣]:

---

[١] أخرجه الطيالسي في (مسنده)، وابن حبان والطبراني في (المعجم الأوسط) بإسناد صحيح، وروى القصة البخاري ومسلم بألفاظ قريبة.

[٢] رواه ابن ماجه، وصحح الألباني إسناده.

[٣] في ديوانه يعتذر للنعمان، من قصيدة مطلعها: (يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلياءِ فَالسَنَدِ أَقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ).

ما إنْ نَدِيتُ بشيءٍ أَنتَ تكرَهُهُ[1] إذن فلا رفَعَتْ سَوْطِي إليَّ يدي

فأما قولهم: فلان يَتَنَدَّى عَلَى أصحابه، فمعناه يَتَسَخَّى عليهم، والنَّدَى العَطاء.

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الآخَرُ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ"[2]، فإنَّ شَطْرَ الْكَلِمَةِ نِصْفُهَا، وعن سفيان بن عُيَيْنَة قَالَ: هُوَ أن يقول أُقْ .. أي اقْتُل، وهذا كقوله: كَفَى بالسَّيْفِ شا .. يريد شاهدًا.

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ ذَكَرَ الرَّجُلَ الَّذِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ آخِرَ الْخَلْقِ، قَالَ: "فَيَسْأَلُ رَبَّهُ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَأَكُونَ تَحْتَ نِجَافِ الْجَنَّةِ"[3]. قَالَ الأصمعي: النِّجَافُ أُسْكُفَّةُ الباب، قَالَ: والنِّجاف في غير هذا: القِطعةُ من الجِلد أو الخَصَفَةُ تُرْبَطُ عَلَى التَّيْس إذا كَرِهُوا سِفادَه لئلا يَسْفَد.

---

[1] في الديوان: ما قُلتُ مِن سَيِّئٍ مِمّا أُتيتَ بِهِ.

[2] رواه ابن ماجه، وضعف الألباني إسناده.

[3] انظر: العباب الزاخر للصغاني: (نجف).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يُؤَرِّضْهُ مِنَ اللَّيْلِ"[١].

قوله: يؤَرِّضه: معناه يُهَيِّئه ويُقَدِّم النِّيَّة له من اللَّيل، كقوله: "لا صِيام لمن لم يُبَيِّتْه من الليل"[٢]، ويقال: أَرَّضْتُ المكانَ، إذا سَوَّيتَه وَهَيَّأْتَه، وقال الأصمعيّ: مكان أرِيضٌ، إذا كان خَلِيقًا للخَيْر جَيِّدَ النّبات، ويقال: تأرَّضَ الرجلُ، إذا لزِم الأرضَ ولم يَبْرَحْ، وأنشد أبو زيد[٣]:

وصاحبٍ نَبَّهتُه ليَنْهَضَا إذا الكَرَى في عينِهِ تَمَضْمَضَا

فقامَ عَجلانَ وما تَأَرَّضَا يَمْسَحُ بالكَفَّيْنِ وجْهًا أَبْيَضَا[٤]

وقال ابن السِّكِّيتِ: يقال: تَرَكتُ القومَ يتأرَّضُونَ المنزلَ: أي يختارون.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الآخَرُ: "أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِصِيَامِ اللَّيَالِي الْبِيضِ"[٥] فإنه يُتَأَول أيضًا عَلَى تقْديم النِّيَّة له من الليل؛ إذ كان الليلُ غيرَ مَحَلٍّ للصَّوم، وفيه وجه آخر

---

[١] رواه ابن ماجه (١٧٠٠).

[٢] أخرجه النسائي (٢٣٣٤)، وأبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠)، وصحح الألباني إسناده.

[٣] وهما لرَكّاض بن أباق بن بديل الدُبيري الأسدي أبو الذائد: شاعر عباسي وراجز مشهور، أدخل على هارون الرشيد وهو ابن سبع سنين فوضع بين يديه دنانير ودراهم وقال: أيهما أحب إليك؟ فقال: أمير المؤمنين أحب إليَّ منهما.

[٤] في ديوانه.

[٥] رواه ابن ماجه، وصحح الألباني إسناده.

وهو أن تُذكَرَ اللَّيالي ويُرادَ بها الأَيَّام، كقولهم: خرجنا لَياليَ الفِتْنَة وخِفنا ليالي إمارَةِ فلان. وقال أبو عمرو بن العلاء: هَرَبنا لَياليَ إمارَةِ الحَجَّاج، وإنما يُراد في هذا كله الأَيّام بلياليها، وعلى هذا يُتَأَوَّلُ قَولُه تَعالَى: {يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً} يُرِيد – والله أعلم – الأيّامَ بلياليها. وكان الْمُبرِّد يقُول: إنما أَنّث العَشْرَ لأَنَّ المرادَ به الْمُدَّةَ، وذهب بعضُ الفقهاء إلى أنه إذا انقَضَى لها أربعةُ أشهر وعَشْرُ ليالٍ حَلَّت للأَزْواج، وذلك لأَنَّه رأَى العَددَ مُبْهَمًا فغَلَّبَ مَعنَى التّأنيث، وتأوّلها عَلَى اللّيالي، وإليه ذهب الأوزاعِيُّ من الفقهاء وأبو بكر الأَصَمّ من أهل الكلام.

ويقال إنهم إنما اعْتَبروا إنشاءَ التَّاريخ من اللَّيالي؛ لأَنَّ الأَهِلَّةَ تَسْتَهِلُّ فيها.

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ مَكَثَ فِي الْغَارِ وَأَبُو بَكْرٍ ثَلاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلامٌ شَابٌّ لَقِنٌ ثَقِفٌ يُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ كَبَائِتٍ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مِنْحَةً فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلِهَا وَرَضِيفِهَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا بِغَلَسٍ"[١].

يقال: رجلٌ لَقِن، إذا كان حَسَن التَّلَقُّن لِمَا يَسْمَعُه، وثَقِفٌ: إذا كان ذا فِطْنَةٍ وفَهْم، قَالَ طَرَفَةُ[٢]:

---

[١] رواه البخاري في حديث طويل.

[٢] في ديوانه وهو بيت مفرد.

أَوَما عَلِمْتَ غَداةَ تُوعِدُني أنيَّ بِحَزْبِكَ[١] عالِمٌ ثَقِفُ

ويقال رجل ثَقِف، وامرأة ثَقَافٌ.

وَمِنْهُ قَوْلُ أُمِّ حَكِيمِ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمَّا جَاوَرَتْ أُمَّ جَمِيلِ بِنْتَ حَرْبٍ: إِنِّي لَحَصَانٌ فَمَا أُكَلَّم، وَثَقَافٌ فَمَا أُعَلَّم، وَكِلْتَانَا مِنْ بَنِي الْعَمّ، ثُمَّ قُرَيْشٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْلَم[٢]. ومِثلُه: رجل رَزِينٌ وامرأةٌ رَزَانٌ، قَالَ حسان[٣]:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحُومِ الغَوَافِلِ[٤]

والرَّضيف: اللَّبَن المرضوف، وهو الَّذِي يُحقَن في السِّقاء حتى يصير حازِرًا ثُمَّ يُصبّ في القَدَح، وقد سُخِّنَت له الرِّضاف فَتُوضَعُ فيه الرِّضْفَةُ الْمُحماةُ

---

[١] في المطبوعة (بحربك)، والتصويب من الديوان.

[٢] رواه الحميدي في مسنده.

[٣] حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري: الصحابي، شاعر النبيّ (صلى الله عليه وسلم) وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وفضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبيّ في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. وكان شديد الهجاء، فحل الشعر.

[٤] قاله حسان في مدح أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، ومعتذراً بعدما شارك في حادث الإفك، و"لا تُزنّ بريبة": أي لاتتّهم بريبة. وهو في ديوانه مطلع القصيدة.

فتكْسِر من بَرْدِه وتذهْبُ بوخَامَتِه، ورواه بعضُهم: وصَرِيفها، والصَّريفُ اللَّبَنُ ساعةَ يُحلَبُ، قَالَ الراجز:

لكن غَذَاها لَبَنُ الخَرِيف الْمَحْضُ والقَارِصُ والصَّرِيف[١]

والنَّعْق دُعاء الغَنَم بلَحْن تُزْجَر به، قال الشاعر[٢]:

---

[١] رُوِيَ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ، فَنَزَل رَاجِزُ الْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ:

لَمْ يَغْذُهَا مُدٌّ وَلَا نَصِيف ... لَكِنْ غَذَاهَا لَبَنُ الخَرِيف

وَلَا تُمَيْرَاتٌ وَلَا تَعْجِيف ... المحْضُ وَالقَارِضُ وَالصَّرِيف

فَقَالَ الأَنْصَارُ لِرَاجِزِهَا: إِنَّهُ إِنَّمَا يُعَرِّضُ بِنَا، انْزِلْ، فَقَالَ:

لَمْ يَغْذُهَا مُدٌّ وَلَا نَصِيف ... وَلَا تُمَيْرَاتٌ وَلَا تَعْجِيف

لَكِنْ غَذَاهَا الحَنْظَلُ النَّقِيف ... وَمُذْقَةٌ كَطرَّةِ الخَنِيف

تَبِيتُ بَيْنَ الزَّرْبِ وَالكَنِيف

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (ارْكَبَا، مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ). أخرجه عبدالرزاق في المصنف (١١/ ٢٦٥) من طريق مَعْمَر عن هشام بن عروة عن أبيه به.

[٢] هو الأخطل التغلبي: ولد عام ١٩ هـ، وهو شاعر عربي ينتمي إلى قبيلة تغلب العربية، وكان نصرانيًا، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل.

انعَقْ بضَأْنِكَ يا جَرِيرُ فإنَّما مَنَّتْكَ نفْسُكَ في الخلاءِ ضَلالَا[١]

يهجو جَرِيرًا وجَعَلَه راعِيًا لأَنَّ بني كليب أصحاب غنم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ"[٢].

قوله: مِدَادَ كلماتِه، يريد قَدْرَ كلماتِه أو مِثْلَها في العدد كثرةً، والمداد مَصْدر كالْمَدد، يقال: مَددتُ الشيءَ أَمُدُّه مَدَدًا ومِدَادًا.

ومن هذا حديثُه الآخر في ذِكْر الحَوْض أنه قَالَ: "ينْثَعِب فيه مِيزَابَان من الجَنَّة مِدادُهما الجَنَّةُ"[٣]: أي تمدّهما أنهارُ الجَنَّة، قَالَ الشاعر[٤]:

رَأَوْا بَارقاتٍ بالأُكُفِّ كأنَّها مَصابيحُ سُرْجٍ أُوقِدَتْ بمدادِ

أي: بزَيْت يَمُدُّها.

قَالَ الحارثي: يجمعون الْمُدَّ مِدادًا، وأنشد:

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (كَذَبَتكَ عَينُكَ أَم رَأَيتَ بِواسِطٍ غَلَسَ الظَلامِ مِنَ الرَبابِ خَيالا).

[٢] رواه أبو داود وصحح الألباني إسناده.

[٣] رواه ابن حبان وأحمد وابن أبي شيبة.

[٤] هو الأخطل. قاله في هجاء بني بكر وقيس عيلان، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَتَغضَبُ قَيسٌ أَن هَجَوتُ اِبنَ مِسمَعٍ وَما قَطَعوا بِالعِزِّ باطِنَ وادي).

مايَرْنَ في البحرِ بخيرِ سِعْرِ وخيرِ مُدٍّ من مِدادِ البَحْرِ

ويقال: بَنى القومُ بيوتَهم عَلَى غِرارٍ واحد وعلى مِدادٍ واحد: أي عَلَى نَسَقٍ واحد، وأنشدني بعض أهل الأدب[١]:

ومِن طِرازِ الرّجَزِ الأجاوِدِ عَلَى غِرارٍ ومدادٍ واحدِ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا عَرَّسْتُمْ[٢] فَاجْتَنِبُوا هَوْمَ الأَرْضِ فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهَوَامِّ"[٣].

قوله: هَوْم الأرض، هكذا رواه لنا المحدِّث، ولَستُ أدري ما هَوْمُ الأَرْض ولا سمعتُ فيه من ثِقَةٍ ما أَعتمدُه، إلا أن بعض أهل اليمن قَالَ لي: هَوْم الأَرْض مشهور في لُغَتِنا وهو بُطْنَانُ الأرض، وقال بعضُ أهل اللغة: الهَوْمَةُ والهَوْمَات اسم يقع عَلَى جميع الفَلَواتِ، وقال بعضُهم: هذا تصحِيفٌ وإنما هُوَ فاجتَنِبُوا هُوَى الأَرْض، جَمْعُ هُوَّة، وهي الحُفْرةُ يشرف عليها أَسنادٌ غِلاظٌ، وقال آخر:

---

[١] هو لجندل بن المثنى الطهوي: وهو شاعر إسلامي راجز، كان يهاجي الراعي. ورواية مع ما قبله في اللسان: (لم أقو فيهن ولم أسانِدِ على مدادٍ وروي واحدِ)

[٢] عَرَّسَ الْمُسَافِرُونَ: نَزَلُوا آخِرَ اللَّيْلِ لِلاسْتِرَاحَةِ.

[٣] رواه مسلم بلفظ (الطريق) بدل (هوم الأرض).

بل هُوَ هَزَم الأرض، وهو ما تَهَزَّمَ منها أي تكسَّر وتَشَقَّق، ومنه حديث أسعد بن زُرارَة: "أن أول جمعة جمعت في الإسلام بالمدينة في هَزَم بني بياضَة"[١].

وجاء في الحديث: "أن زَمْزَمَ هَزْمَةُ جبريل"[٢]: أي من ضَرْبِه الأرضَ وشَقِّه إياها، قَالَ الأصمعي: يقال: سمعتُ هَزْمَةَ الرَّعْد، وهو صوته الَّذِي كأنَّ فيه تشقُّقًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ مَرَّ بِغُلامٍ يَسْلَخُ شَاةً فَقَالَ لَهُ: "تَنَحَّ حَتَّى أُرِيكَ" فَدَحَسَ بِيَدِهِ حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الإِبِطِ ثُمَّ مَضَى فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ[٣].

قوله: دَحَس بها، يريد أنه أدخل يدَه دَسًّا بين اللَّحم والجِلد.

وَمِنْهُ حَدِيثُ عَطَاءٍ قَالَ: "حَقٌّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَدْحَسُوا الصُّفُوفَ حَتَّى لا يَكُونَ بَيْنَهُمْ فُرَجٌ"[٤].

---

[١] رواه أبو داود بلفظ (حرَّةِ بني بياضةَ) بدل (هَزَم بني بياضَة). وصحح الألباني إسناده.

[٢] رواه الدارقطني من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: "وهي هزمة جبريل وسقيا إسماعيل".

[٣] رواه أبو داود في كتاب الطهارة.

[٤] رواه عبد الرزاق في المصنف، والصغاني في العباب الزاخر.

قال الأصمعي: بيتٌ دِحاسٌ، أي مَمْلُوءٌ، ويقال: قد أَدْحسَ الزَّرعُ، إذا امتلأت أَكمتهُ من الحَبّ، ودحَسَ الرجلُ بالشَّرِّ: إذا دسَّه من حيثُ لا يُعلم به، قال الشاعر[١]:

وإن دَحَسُوا بالشَّرِّ فاعْفُ تَكَرُّمًا وإن كَتَمُوا عنكَ الحَدِيثَ فلا تَسَلْ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّه كَانَ أَسْجَرَ الْعَيْنَيْنِ.

قَالَ الأصمعي: السَّجر أن يكون سوادُ العين مُشرَبًا حُمرةً، يقال رجلٌ أَسْجرُ وامرأةٌ سَجراءُ، وقال غيره: السَّجَرُ والسُّجْرَةُ حُمرةٌ في بياضِ العين، وهذا أشبَه بمَعْنى الحديث؛ لأنه قد رُوِي في نعتِه أنه كان أَشْكَلَ العَيْنَيْن، والشُّكْلَةُ: حُمرةٌ في بياض، قَالَ الشاعر[٢]:

فَما زالَتِ القَتْلَى تَمُورُ دِماؤُها بدِجْلَةَ حتى ماءُ دِجلةَ أَشْكلُ

---

[١] جاء في الجامع الكبير للسيوطي: عن أنس قال: استأذنَ العلاءُ بن يزيدَ الحضرمي على النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستأذنت له فأذِنَ، فلمَّا دَخَلَ عليه سُفِر له النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أجلسه وتحدثا طويلًا، ثُمَّ قَالَ: يا عَلاء هل تروي من الشعر شيئًا؟ قالَ: نعم، ثم أنشده:

وَحَيّ ذَوي الأضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبَهمْ ... تَحِيتكَ الأدْنَى فَقَد يرفَعُ النَّغَلْ

وَإنْ دَحُسوا للشَّر فَاعفُ تَكَرُّمَا ... وَإنْ كَتَمُوا عَنْكَ الحَدِيثَ فلا تَسَلْ

فَإنَّ الذى يُؤذِيكَ مِنْه سَمَاعُهُ ... وَإنَّ الذى قَالُوا وَرَاءَك لَمْ يُقلْ

[٢] هو جرير، في قصيدته التي يهجو فيها الأخطل، ومطلعها: (أَجِدَّكَ لا يَصحو الفُؤادُ المعَلَّلُ وَقَد لاحَ مِن شَيبٍ عِذارٌ وَمِسحَلُ).

وأخبرني أبو بكر الخُوارِي قَالَ: سألت أبا العباس أحمد بن يحيى عن قوله: أشكل العَيْنَين فَقَالَ: كانت بعينيه سُجْرة، فجعل السُّجْرة والشُّكْلَة واحدة، على خلاف مذهب الأصمعي، ويقال: إبِل سُجْرٌ أي حمرٌ، قال ذو الرُّمة[١]:

إذا ما ادَّرَعْنا جَيْبَ خَرْقٍ نَحَتْ بِنَا غُرَيْرِيَّةٌ أُدْمٌ هَجَائِنُ أَو سُجرُ

ويروى: نَجَتْ بِنَا.

وَمِنْ نُعُوتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كَانَ فِي خَاصِرَتَيْهِ انْفِتَاقٌ"[٢].

قَالَ يَزِيدُ بْنُ عِيَاضٍ: مَعْنَاهُ اسْتِرْخَاءٌ.

ورُوِي في حديث آخر: "أَنَّه كان مُفَاضَ البَطْن"[٣]، وهو أن يكون فيه امتلاء. والعرب تَمدح به السادة وتقول: اندِحَاقُ البَطْن من علامات السُّؤْدَدِ، وتَذُمُّه في النِّساء، قَالَ امرؤ القيس[٤]:

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي يهجو فيها بني امرئ القيس بن زيد مناة، ومطلعها: (ألا يا اسلمي يا دار ميٍّ على البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ).

[٢] انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

[٣] رواه البيهقي في دلائل النبوة.

[٤] في معلقته الشهيرة.

مهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضةٍ تَرائِبُها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ[١]

وقد وُصِف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غير هذين الخَبَرَيْن بالخَمَص، وقد يَتَّفِق أن يُجمَع بين النَّعْتَين بأن يكون الضُّمر في أعلى البَطْن والوُفورُ في أَسفَله، يَدُلُّ عَلَى صِحة ذَلِكَ قولُهُ: "كان في خاصِرَتَيْه انفِتاق".

ومنها خَبرَ أنس "أنه كان أسمر".

وَفِي نَعْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالب رسولَ الله "أَنَّهُ كَانَ أَبْيَضَ مُشْرَبًا".

وَفِي خَبَرٍ آخَرَ: "أَنَّهُ كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ".

والسُّمْرَةُ لَونٌ بين البياض والأُدْمَةِ، وقد يُجمعَ بين الخَبَرين بأن تكون السُّمرةُ فيما يبرز للشَّمسِ من بدنه والبَياضُ فيما واراه الثِّيابُ، ويُستَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ بقول ابن أَبِي هَالَةَ[٢] في وصفِه: "أَنَّه كان أَنْوَر الْمُتَجَرَّد"، ويُتَأَوّل قولُه: كان أزهرَ، عَلَى إشراق اللون ونُصُوعه، لا عَلَى البَياضِ.

وفيه وجهٌ آخر وهو أنه مُشرَبُ الحُمرة، والحُمرةُ إذا أُشْبِعَت حَكَتْ سُمْرَةً، ويدُلّ عَلَى هذا المعنى قَولُ الواصِفِ له: لم يكن بالأبيض الأمهق.

ومنها ما رُوِي عن بعض الصحابة قَالَ: رأيتُ رَسُولَ الله حَسَنَ السَّبَلَة، فعن جَهْضَم بْن الضَّحَّاكِ قَالَ: مَرَرْتُ بِالرَّجِيعِ، فَرَأَيْتُ شَيْخًا، قَالُوا هَذَا الْعَدَّاءُ

---

[١] المعنى: هيفاء، دقيقة الخصر، بيضاء، غير مكترشة البطن، وترائبها لامعة كالمرآة.

[٢] هند بن أبي هالة.

بْنُ خَالِدٍ بن هَوْذة، قُلْتُ: رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ! قُلْتُ: صِفْهُ، قَالَ: كَانَ حَسَنَ السَّبَلَةِ. قَالَ: وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي اللِّحْيَةَ السَّبَلَةَ[١].

وقد يدفعه قومٌ ويرونه مخالفًا لسُنّته في قص الشوارب، وليس بينهما خلاف، وإنما يتوهم ذلك من أجل أن السَّبَلة عند العامة الشَّاربُ وهي عند العرب مُقَدَّم اللِّحْية، قَالَ الأصمعيّ: السَّبَلَةُ ما أُسْبل من مُقَدَّم اللَّحْيةِ عَلَى الصدر، يقال للرجل الطَّويلِ السَّبَلَة: إنه لأسْبَلُ ومُسبِلٌ، قَالَ الشاعر:

تَرى لِحْيَةَ الجَرْميّ مِن تحتِ حَلْقِهِ فَما نبَتَتْ من لؤمِ جَرْمٍ سِبالُها

أي لحاؤها.

وَمِنْهَا خَبَرُ جَابِرِ بن سمرة: "أنه كان أَخْضَرُ الشَّمَطِ". وَإِنَّمَا كَانَ يُخَضِّرُ شَيْبَتَهُ بِالطِّيبِ وَالدُّهْنِ وَالنَّرْجِيلِ[٢].

---

[١] رواه الطبراني في الكبير.

[٢] انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ شَمِطَ[١] مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، فَإِذَا ادَّهَنَ وَامْتَشَطَ لَمْ يَتَبَيَّنْ، وَإِذَا شَعِثَ رَأْسُهُ رَأَيْتَهُ مُتَبَيِّنًا"[٢]. والخُضْرة أيضًا السواد، ولا موضع له ههنا.

ومنها في خَبَر لِعَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: "دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ تَبْرُقُ أَكَالِيلُ وَجْهِهِ"[٣]، وَهِيَ جَمْعُ إِكْلِيلٍ، تُرِيدُ بِهِ نَاحِيَةَ الْجَبْهَةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنَ الْجَبِينِ، كَحَدِيثِهَا الآخَرِ: "أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ"[٤]؛ وَهِيَ خُطُوطٌ بَيْنَ الْحَاجِبَيْنِ وَقُصَاصُ الشَّعرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الإِكْلِيلَ إِنَّمَا يُوضَعُ هُنَاكَ، وَكُلُّ مَا أَحَاطَ بِالشَّيْءِ وَتَكَلَّلَهُ مِنْ جَوَانِبِهِ فَهُوَ إِكْلِيلٌ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا أُخِذَتِ الكلالة من تكلُّل النسب.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كَانَ أَبْيَضَ مُقَصَّدًا"[٥].

---

[١] شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأسِه ولِحيتِه: ظَهَر الشَّيبُ في بعضِ شَعرِ رَأسِه ولِحيتِه.

[٢] رواه مسلم.

[٣] رواه البخاري ومسلم بلفظ أسارير، بدل أكاليل.

[٤] متفق عليه.

[٥] رواه مسلم.

قيل لأَبِي الطُّفَيْلِ[١]: أرأيت رسولَ الله؟ فقال: نَعَمْ، قُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ صِفَتُهُ؟ قَالَ كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا مُقَصَّدًا"[٢].

الْمُقَصَّدُ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي لَيْسَ بِجَسِيمٍ وَلا قَصِيرٍ.

ورواه بعضُهم: مُقْصَدًا، ساكنةَ القاف مخففةَ الصاد مفتوحتَها، قَالَ: وهو الرَّبَعَة من الرجال.

قَالَ: وكل شيء مستوٍ غير مُسرِف ولا ناقص فهو قَصَد ومُقْصَد.

ورواه يحيى بن معين: مُعْضَدًا، وهو الموثَق الخَلْق، والمحفوظ هو الأول.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِعُطْبُولٍ وَلا بِقَصِيرٍ".

العُطبولُ: الطَّويل، يقال: رجل عُطبولٌ، وجاريَةٌ عُطبول، ويقال: هُوَ الَّذِي جَمَع امتدادَ القامَةِ وطولَ العُنُق، وعن ابن الأعرابي[٣]:

قد أبصرتْ سُعدَى بها كتائلي مثلَ الجواري الحُسَّرِ العَطَابِلِ

---

[١] أبو الطُّفَيْلِ عامِرُ بنُ واثِلةَ الكناني: صحابي. كان سيدًا من سادات قومه وأشرافهم، فاضلًا عاقلًا حاضر الجواب فصيحًا شاعرًا محسنًا. وهو آخر من رأى النبي من الصحابة. وأصله من الكوفة ثم أقام بمكة وتوفي فيها.

[٢] رواه مسلم.

[٣] في اللسان، والثاني والثالث: (طويلة الأقناء والعَثاكِلِ ... مثل العذارى الخُرَّد العطابِلِ).

الكتائل: جمع كتيلة، وهي بلُغة طيئ: النخلة التي قد فاتت اليد، أراد أنّه كان رَبْعَةً من الرجال من غير طولٍ بائن ولا قِصَر شائنٍ، وهذا كما وصفه هِنْدُ بنُ أبي هالة فَقَالَ: كان أَطْوَلَ من الْمَرْبوع وأَقْصَر من الْمُشَذَّب، وفَسَّره ابنُ قتيبة فَقَالَ: الْمُشَذَّبُ الطَّويلُ البائِنُ الطُّولِ. وأخبرني بعض أصحابنا عن ابن الأنباري أنه قَالَ: هذا غلط؛ لأنه لا يقال للبائن الطّول إذا كان كثير اللحم مُشَذَّبٌ، حتى يكون في لَحْمه بعضُ النُّقْصانِ، فَوصَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه يخالف الْمُشَذَّبَ في طوله ولا يخالفه في نُقْصان بَعضِ لحمهِ إذ كان الْمُشَذَّبَ عندهم مُشَذَّبًا لنُقْصانِ بعض الَّذِي عليه، والعرب تقول: جِذْعٌ مُشَذَّب، إذا قُشِر ما عليه من الشَّوكِ وغيرِه، ويقولون: فرسٌ مُشَذَّبٌ، إذا كان طويلًا ليس بكثير اللحم في أعضائه، فالرجل الْمُشَذَّبُ بمنزلة الفرس الْمُشَذَّب في المعنى الَّذِي وصفناه، قَالَ الشاعر[1] يصف فرسًا:

أَمَّا إذا استَقْبَلْتَهُ فكأنَّهُ ... في العَيْن جِذعٌ من أَوالَ[2] مُشَذَّبُ[3]

---

[1] هو أنيف بن جبلة الضبي:

[2] أوال: قرية في البحرين.

[3] من أبيات ثلاثة يصف فيها الفرس في حالاته، فقال:

ولقد شهدتُ الخيلَ يحمل شِكَّتي ... عَتِدٌ كسرحانِ القصيمةِ قِرْهَبُ

أما إذا استقبلته فكأنهُ ... في العين جذع من أوالَ مشذَّبُ

وإذا اعترضت له استوت أفناؤهُ ... فكأنه مستدبراً متصوِّبُ

وقال امرؤ القيس[١]:

لهُ جُؤْجُؤٌ حَشْرٌ كَأَنَّ لِجَامَهُ يُعَالِي بِهِ فِي رَأْسِ جِذْعٍ مُشَذَّبِ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ الرِّبَا بِالْبَيْعِ، وَالْخَمْرُ بِالنَّبِيذِ، وَالْبَخْسُ بِالزَّكَاةِ، وَالسُّحْتُ بِالْهَدِيَّةِ، وَالْقَتْلُ بِالْمَوْعِظَةِ"[٢].

أصل البَخْسِ النُّقصانُ، قَالَ الله تعالى: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ} وإنما أريد به الْمَكْسُ وما يأخذه الوُلاةُ باسم العُشْر، ويتأوَّلون فيه مَعنَى الزكاة والصّدقات، وهو مَكْس وظُلم، وقد قال: "لا يَدخُل الجَنَّةَ صاحبُ مَكْسٍ"[٣].

قَالَ الشاعر[٤]:

أفي كُلِّ أَسواقِ العِراقِ إتَاوَةٌ وفي كلِّ ما باعَ امرؤٌ بخْسُ دِرْهَمِ؟[٥]

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (خليليَّ مُرَّا بي على أمِّ جندبِ لنقضي لُباناتُ الفؤاد المعذبِ).

[٢] ليس بحديث، وإنما هو قول للأوزاعي، انظر: شرح السنة للبغوي.

[٣] رواه أبو داود والدارمي وأحمد، وضعف الألباني إسناده.

[٤] قيل: هو لزهير، ولم أجده في ديوانه، وقيل هو لجابر بن حُني التغلبي (ت ٦٠ ق.هـ): شاعر جاهلي قديم، يذكر أنه نصراني من أهل اليمن، طاف أنحاء نجد وبادية العراق، وأشار في بعض شعره إلى منازلها.

[٥] وبعده: (ألا تستحي منا ملوك وتتقى ... محارمنا لا تتقي الدم بالدمِ).

ويروى: مَكْسُ دِرْهم.

وأَصلُ المكس النُّقصان، يُقالُ: مَكسَني حَقِّي وبَخَسَني، ومنه أُخِذَ الْمِكاسُ في البَيْع، وهو أن يَسْتَوْضِعَه الْمُشتَري شيئًا من الثمن، قَالَ الأخفش: العرب تَقولُ في الرجُلين بينهما نِزاعٌ وتجاذُبٌ: بينهما عِكاسٌ ومِكَاسٌ، وأَنْشَد – أو غيرُه – لِقُلاخ بن حَزْن الْمِنْقَرِيّ[1]:

حتى تَقُولَ الأَزْدُ لا مِسَاسَا إنْ نَحنُ خِفْنا مِنْهُمُ مِكَاسَا[2]

وقوله: والسُّحْتُ بالهَدِيَّة: أي الرِّشْوة في الحُكم والشهاداتِ وما أشبهها من الأمور اللازِمَة لأَهلِها الواجبِ عليهم القيامُ بها.

والقَتْلُ بالْمَوعِظَة: أن يُقْتَل البَرِيءُ ليتَّعظَ به العامة.

---

[1] القُلَاخُ بْنُ حَزْنٍ المِنْقَرِيُّ، له ديوان مفرد، وهو راجز، وهو القائل: (أنا القلاخ بن جناب بن جلا أبو خناثير أقود جملا).

[2] في تفسير القرطبي قوله تعالى "أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ": (حَمَّالُ رَايَاتٍ بِهَا قَنَاعِسَا ... حَتَّى تَقُولَ الْأَزْدُ لَا مسابسا).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَهُ فِي غَزَاةٍ فَأَتَاهُ سَهْمُ غَرْبٍ[١]، فَمَكَثَ مُعَالَجًا، فَجَزِعَ مِمَّا بِهِ، فَعَدَا عَلَى سَهْمٍ مِنْ كِنَانَتِهِ فَقَطَعَ رواهشَه"[٢].

قال أبو عمرو: الرواهِشُ والنّواشِرُ: عُروقُ باطِنِ الذِّراع، والأَشاجعُ: عُروق ظاهر الكَفِّ.

وقال الأصمعيّ: الرّواهِشُ: العَصَب الَّذِي في ظاهر الذِّراع، وأَنشد[٣]:

وأَعددتُ للحربِ فَضْفَاضَةً دِلاصًا تَثَنَّى عَلَى الرَّاهِشِ[٤]

---

[١] سهم غرب: لا يعلم من رماه.

[٢] انظر: تاريخ الطبري.

[٣] هو لعمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة. وفد على المدينة سنة ٩هـ، في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو في اليمن. ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. وكان عصيّ النفس، أبيّها، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور. وأخبار شجاعته كثيرة. له شعر جيد أشهره قصيدته التي يقول فيها: إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع).

[٤] في ديوانه وهو مطلع القصيدة، وبعده: (وَأَجرَدَ مُطَّرِداً كالرِّشاءِ وسَيفَ سَلامَةَ ذي فائشِ).

قَالَ: والنَّواشِرُ: عَصَبُ الذِّراع من باطن وخارج، والواحدةُ ناشِرَة، قَالَ الشاعر[١]:

ودارٌ لها بالرَّقْمَتَيْن كأنها مَراجِعُ وَشْمٍ في نَواشِرِ مِعصَمِ[٢]

وَنَحْوَ هَذَا حَدِيثُ الطُّفَيْل بْن عَمْرٍو الدَّوْسِيّ[٣]، هَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَاجْتَوَى الْمَدِينَةَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ فقَطَعَ بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ[٤].

قَالَ الأصمعي: البَرَاجِم واحدها بُرْجُمة، وهو مُلْتَقَى رُؤوسِ السُّلامِيات من ظَهْر الكَفّ إذا قَبَض الإنسانُ كَفَّه نَشَزَت وارتَفَعَت، وبها سُمِّيت البَراجِمُ من بني تميم.

---

[١] هو زهير بن أبي سلمى.

[٢] من معلقته: (أمِنْ أُمّ أوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلّمِ بِحَوْمَانَةِ الدّرّاجِ فالْمُتَثَلَّمِ).

[٣] الطُّفيلَ بنَ عَمرٍو رَضي اللهُ عنه: وكانَ من وُجَهاءِ قومِه فأسلَمَ، وجاءَ من وطنِه باليَمنِ إلى مكَّةَ، وعرَضَ على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قبْلَ هِجرته إلى المدينةِ أن يُهاجِرَ إلى قَبيلةِ دَوسٍ التي باليَمنِ، فقالَ: «يا رسولَ اللهِ، هلْ لك في حِصنٍ حَصينٍ ومَنْعةٍ؟» أي: هل تَرغَبُ في الهِجرة إلى حِصنٍ قَويٍّ، وفيه مَوانِعُ وحِمايةٌ منَ الأعداءِ؟ فرَفَضَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وجَعَله ذُخرًا للأنصارِ بهِجرته إليهم.

[٤] رواه مسلم. اجتوى المدينة: كره الإقامة بها. مشاقص: سهم فيه نصل عريض. شخبت: سال دمها.

وأخبرني أبو عمر عن أبي العباس ثعلب قَالَ: البَراجِمُ العُقَد المتشنِّجةُ، والرَّواجبُ: ما بين البَراجِم[١]، والواحدة راجِبَة، فأما الأَرجابُ فهي الأَمعاءُ، واحدها رُجْبٌ.

وَمِنَ الرَّوَاجِبِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَقَدْ أَبْطَأَ عَنْكَ جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: "ولم لا يبطئ عَنِّي وَأَنْتُمْ حَوْلِي لا تَسْتَنُّونَ وَلا تُقَلِّمُونَ وَلا تَقُصُّونَ شَوَارِبَكُمْ وَلا تُنَقُّونَ رَوَاجِبَكُمْ"[٢].

أراد ما يجتمع في تَشَانِيجِها من الوَسَخ.

وقوله: سَهْمُ غَرْبٍ، فإنه ما أصاب الرجلَ وهو لا يعرف راميَه، قَالَ أبو زيد: يقال: أصابه سَهمُ غَرْبٍ، ساكنة الراء، إذا أتاه من حيثُ لا يَدْري، وسهمُ غَرَب — بالفتح – إذا رماه فأصاب غيره.

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ جِبْرِيلَ صَلَّى بِهِ الْعِشَاءَ حين غاب الشفَقُ وايْتَطَأَ الْعِشَاءَ"[٣].

---

[١] وهي المفاصل والعقد التي تكون في ظهور الأصابع، ويجتمع فيها الوسخ.

[٢] رواه أحمد والطبراني، بإسناد ضعيف.

[٣] أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد، بألفاظ متقاربة، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

قوله: ايْتَطَأ، وَزنُه افْتَعَل، مِن وطَّأتُ الشَّيءَ، إذا هيأتَه وأصلحتَه فايْتَطَأ: أي تهيَّأ وصَلَح، والمعنى أنه صلَّى حين غاب الشَّفَقُ وأدركَ وَقت العِشاء فَصَلَح أن تُصَلِّي.

وقال أبو زيد: يقال: ايتطأ الشَّهرُ، وذلك قبل النصف بيوم وبعده بيوم، بوزن ايتطع.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ الْخِضْرَ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فَاهْتَزَّتْ تَحْتَهُ خَضْرَاء"[١].

قَالَ أبو عُمَر: الفَروةُ: الأرضُ البيضاء لا نباتَ فيها، وقال غيرُه: أراد بالفَرْوَةِ الهَشيمَ اليابِسَ، شَبَّهه بالفَرْوَة، ومنه قيل فَروةَ الرأسِ، وهي جِلدتُه بما عليها من الشَّعر، قَالَ الراعي[٢]:

ولقد تَرَى الحَبَشِيَّ حولَ بيوتِنا جَذلًا إذا ما نَالَ يومًا مَأْكَلَا

صَعْلًا أَسكَّ كأن فروةَ رأسِهِ بُذِرَتْ فأنبتَ جانباهُ فُلْفُلَا

---

[١] رواه البخاري والترمذي، واللفظ له: إنَّما سُمِّيَ الخضِرَ لأنَّهُ جلسَ على فروةٍ بيضاءَ فاهتزَّت تحتَهُ خَضراءَ.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (صَدَقَتْ مُعَيَّةَ نَفْسُهُ فَتَرَحَّلاَ وَرَأى الْيَقِينَ وَلَمْ يَجِدْ مُتَعَلَّلاَ). ومُعية اسم ابن عم الشاعر.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كَانَ يُسَوِّي الصُّفُوفَ حَتَّى يَدَعَهَا مِثْلَ الْقِدْحِ أَوِ الرَّقِيمِ"[١]. ويُروَى: مِثلَ الرُّمْح.

أولُ ما يُقْطَع السَّهمُ ويُقْتَضَبُ يُسَمَّى قِطْعًا، ويجمع عَلَى القُطُوع، فإذا بري سمي بريًا، فإذ قُوِّم وأَنَى له أن يُراشَ ويُنْصَل فهو القِدْح، فإذا رِيشَ وزُكِّبَ نصلُه صار سَهْمًا.

والرَّقيم: الكِتابُ، فَعِيل بمعنى مَفْعول، يقال: رقمتُ أرقمُ رَقْمًا، إذا كتبتَ، قَالَ الله تعالى: {كِتَابٌ مَرْقُومٌ}، وقال الشاعر[٢]:

سأرقُم في الماء القَراحِ إليكمُ عَلَى بُعدِكمْ إن كان للماءِ راقِمُ[٣]

والمعنى أنه كان يسوّي الصفوفَ حتى لا يترك فيها عِوَجًا ولا حَدَبًا، كما يُصلِح البارِي القِدْحَ ويُقوِّمُ الكاتبُ السَّطرَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنِ امْرَأَةٍ أَرَادَ نِكَاحَهَا فَقَالَ لَهُ: "بِقَرْنِ أَيِّ النِّسَاءِ هِيَ"؟ قَالَ: قَدْ رَأَتِ الْقَتِيرَ، قَالَ: "دَعْهَا"[٤].

---

[١] رواه مسلم، بلفظ (القِداح).

[٢] هو أوس بن حَجَر.

[٣] في ديوانه، وهو بيت واحد.

[٤] رواه أحمد في حديث طويل عن ميمونة بنت كردم أنها كانت مع أبيها فذكرت أنها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة وبيده درة، فذكر الحديث.

القَتير: الشَّيب، قَالَ الأصمعيّ: يقال: لَهَزَه القَتِيرُ ووخَزَه وَخْزًا، إذا بدا به الشَّيبُ، قَالَ العَجَّاجُ[١]:

وَهل يردُّ مَا خلا تخبيري بعدَ الجَلا ولائِحِ القَتِيرِ

والقَتِيرُ في غير هذا رُؤُوس حَلَقِ الدِّرع، قَالَ الهُذَليّ[٢]:

وعَلَيَّ سابِغةٌ كأنَّ قَتِيرَها حَدَقُ الأَساودِ لونُها كالْمِجْوَلِ[٣]

وقوله: "بقَرْنِ أيِّ النّساءِ هيَ"؟ يريد السِّنَّ، وكلُّ نَشْءِ زمانٍ متقاربةٌ أسنانُهم فهم قَرْن، أنشدني أبو عمر قَالَ: أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب[٤]:

إذا ما مضى القَرْنُ الَّذِي أنت منهمُ وخُلِّفتَ في قَرنٍ فأنت غريبُ[٥]

---

[١] في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (جارِيَ لا تَستَنكِرِي عَذيري سَعيي وَإِشفاقي عَلى بَعيري).

[٢] ونسب لجُرية الهجيمي، وجرية تصغير جربة والجِرْبة: القَرَاح الذي يُزرع فيه. أنشد له الأصمعي في كتاب خلق الإنسان بيتاً واحداً هو هذا البيت.

[٣] المجول: ثوبٌ تلتحف به المرأة وتخيط بَيْنَ منكِبَيه.

[٤] هو لأبي العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني (١٣٠ – ٢١١هـ): شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع. كان ينظم المئة والمئة والخمسين بيتاً في اليوم، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل. وشعره في الحكمة والعظة. وماجرى مجرى الأمثال.

[٥] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إذا ما خَلَوتَ الدَهرَ يَوماً فَلا تَقُلْ خَلَوتُ وَلَكِن قُلْ عَلَيَّ رَقيبُ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ فِيهَا مِثْقَالُ نَمْلَةٍ مِنْ خَيْرٍ إِلا طِينَ عَلَيْهِ طِينًا"[١].

قوله: طِينَ عليه، أي جُبِل عليه، ويروى: طِيَم عليه، يقال: طانه الله وطَامَه، قَالَ الأصمعي: يقال طانني اللهُ عَلَى غير طينتِك، وأنشد الأحمر[٢]:

لئن كانتِ الدنيا له قد تزيَّنَتْ عَلَى الأرضِ حتى ضاق عنها فَضَاؤُها

لقد كان حُرًّا يَسْتَحِي أن يَضِيمَهُ أَلا تِلكَ نَفْسٌ طِينَ مِنْهَا حَياؤُها

وقوله: طِينًا، مصدر، عَلَى فِعْل، كقولك: حان ذلك منه حِينًا، وكقولك: حَرَص حِرْصًا وسَحَر سِحْرًا.

---

[١] رواه الطبراني في المعجم الكبير.

[٢] أَبُو مُحْرِزْ خَلفَ بْنْ حَيَّانِ المعروف بِخَلَفٍ اَلْأَحْمَرِ (١١٥- ١٨٠ هـ): من علماء البصرة في اللغة والنحو. مولى بلال بن أبي بردة، أصله من فرغانة، حمل عنه ديوانه أبو نواس، وكان راوية ثقة علاّمة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ[1] فِي قِصَّةِ الْمُلاعَنَةِ[2]: "إِنْ وَلَدَتْهُ أُحَيْمِرَ مِثْلَ الْيَنَعَةِ فَهُوَ لأَبِيهِ الَّذِي انْتَفَى مِنْهُ[3]،

---

[1] عاصم بن عدي (ت ٤٥ هـ): صحابي من بَلِيّ، كان حليفًا لبني مالك بن عوف من الأوس، ردّه النبي يوم بدر، واستخلفه على قباء والعالية، ثم شارك في باقي المشاهد، وأمره النبي بعد غزوة تبوك بحرق مسجد الضرار.

[2] قصة الملاعنة أو حديث الملاعنة رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس في أوَّل لعانٍ كانَ في الإسلامِ: إنَّ هِلالَ بنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بشَرِيكِ ابْنِ سَحْماءَ، فقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: البَيِّنَةَ أوْ حَدٌّ في ظَهْرِكَ، فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إذا رَأَى أحَدُنا علَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ البَيِّنَةَ! فَجَعَلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: البَيِّنَةَ، وإلَّا حَدٌّ في ظَهْرِكَ، فقالَ هِلالٌ: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ إنِّي لَصادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ ما يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وأَنْزَلَ عليه: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ}، فَقَرَأَ حتَّى بَلَغَ: {إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} فانْصَرَفَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأرْسَلَ إلَيْها، فَجاءَ هِلالٌ فَشَهِدَ، والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أنَّ أحَدَكُما كاذِبٌ، فَهلْ مِنْكُما تائِبٌ؟ ثُمَّ قامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كانَتْ عِنْدَ الخامِسَةِ وقَّفُوها، وقالوا: إنَّها مُوجِبَةٌ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ ونَكَصَتْ، حتَّى ظَنَنَّا أنَّها تَرْجِعُ، ثُمَّ قالَتْ: لا أفْضَحُ قَوْمِي سائِرَ اليَومِ، فَمَضَتْ، فقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أبْصِرُوها؛ فإنْ جاءَتْ به أكْحَلَ العَيْنَيْنِ، سابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ؛ فَهو لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْماءَ، فَجاءَتْ به كَذلكَ، فقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لَوْلا ما مَضَى مِن كِتابِ اللَّهِ لَكانَ لي ولَها شَأْنٌ. (أي: لَوْلا ما سَبَقَ مِن حُكمِ اللهِ تَعالى بِدَرْءِ الحَدِّ عَن المرْأةِ بِلعانِها، لَأقَمتُ الحَدَّ عَلَيْها).

واللِّعانُ: أنْ يُقسِمَ الرَّجلُ أرْبَعَ مرَّاتٍ أنَّه صادِقٌ في رَمْيِ زَوجَتِهِ بالزِّنا، وفي الخامسةِ يُقسِمُ أنَّ عليه لَعنةَ اللهِ إنْ كان كاذبًا، ثمَّ تَتَقدَّمُ المرأةُ فتُقسِمُ أرْبَعَ مرَّاتٍ أنَّ زوْجَها كاذبٌ، وفي الخامسةِ تُقسِمُ أنَّ

وَإِنْ تَلِدْهُ قَطَطَ الشَّعْرَ أَسْوَدَ اللِّسَانِ فَهُوَ لابْنِ السَّحْمَاءِ[١]". قَالَ عَاصِمٌ: فَلَمَّا وَقَعَ أَخَذْتُ بِقَفْوَيْهِ فَاسْتَقْبَلَنِي لِسَانُهُ أَسْوَدُ مِثْلُ التَّمْرَةِ"[٢].

اليَنَعَةُ: خَرَزَةٌ حَمْرَاءُ، واليَنَع: ضَرْب مِنَ الْعَقِيقِ مَعْرُوفٌ.

وَرَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ الزُّهْرِيُّ فَقَالَ: "إِنْ جَاءَتْ بِهِ أُحَيْمِرَ كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ".

الوَحَرَةُ: الوَزَغة.

وقوله: أخذتُ بقَفْويه، غلط، والصواب أخذت بفَقميه، والفَقم: الحَنَك.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ لاثَ بِهِ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ الله: "الصُّبْحَ أَرْبَعًا الصُّبْحَ أَرْبَعًا!"[٣].

عليها غضَبَ اللهِ إنْ كان صادقًا. ومن قذف زوجتَه بالزِّنا لزمه أحَدُ أمرين: إمَّا البيِّنةُ، أو اللِّعانُ، فإن عجز عن إقامةِ البَيِّنةِ، وامتنع عن اللِّعانِ، حُدَّ حَدَّ القَذْفِ.

[٣] هو هِلال بن أُمَيَّةَ الذي قَذَفَ امْرَأَتَهُ ونفى المولودَ عنه، كما في الهامش السابق.

[١] شَرِيك بن السَّحْمَاء، وهى أُمه، وهو ابن عم مَعن وعاصم ابني عدِيّ، وهو حليف الأَنصار، وهو صاحب اللعان، وكان شريك أخا البراء بن مالك من الرضاعة. استعمله أبو بكر في أيام خلافته.

[٢] رواه أحمد والطبراني، وحسّنه الألباني.

[٣] رواه البخاري. وفي هذا الحديثِ يَحكي عبدُ الله بنُ بُحَينةَ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رأَى رجُلًا يُصلِّي رَكعتينِ بعدَ أنْ أُقِيمت صلاةُ الصُّبحِ - قيل: هو عبدُ اللهِ ابنُ بُحَينةَ راوي

قوله: لاثَ به النَّاسُ، معناه أَحاطُوا به واجتمعُوا عليه، وكلُّ شيءٍ اجْتَمع والتَبَس بعضُه ببعض فهو لائِثٌ، قَالَ الراجز[١]:

لاثٍ به الأَشَاءُ والعُبْرِيُّ

يريد: لائث، فقَلَبَ، كما قَالَ: {عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ}.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ كَانَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ يَقُولُ: يَا حَدْرَاهَا يَا حَدْراها"[٢].

قوله: يا حَدْرَاها، قَالَ أبو عبيدة: يريد: هل أحدٌ رأى مثل هذه؟ ومِنْ هذا قوله تعالى: {أَلَّا يَسْجُدُوا} معناه: يا قومِ اسجدوا، أنشد أبو حاتم[٣]:

أيا قَاتَلَ اللهُ الحَمَامَةَ غُدوةً عَلَى الغُصْنِ ماذا هَيَّجتْ حين غَنَّتِ

الحَديثِ - فكلَّمه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، «فلمَّا انصَرَفَ لاثَ به النَّاسُ»، أي: أحاطُوا به، وسَأَلوه: ماذا قال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فأخبَرَهم أنَّه وَبَّخه بأنْ قال له: أتُصلِّي الصُّبحَ أربَعَ رَكعاتٍ؟! لأنَّ الرَّجُلَ ترَكَ الصَّلاةَ المفروضةَ الَّتي أُقِيمَتْ، وبدَأَ في صَلاةِ النَّفلِ، فكأنَّه يُساوي بيْنَ الفَريضةِ والنَّفلِ ويَعُدُّهما واحدًا، فيكونُ جَعَل الصُّبحَ أربَعَ رَكعاتٍ

[١] هو العجاج، يصف أيكة، في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (بَكَيتَ وَالمحتَزِنُ البَكيُّ وإنَّما يَأتي الصِبا الصَبِيُّ).

[٢] رواه ابن معين في تاريخه.

[٣] وهو لمجنون ليلى، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (سَرَت في سَوادِ القَلبِ حَتّى إِذا اِنتَهى بِها السَيرُ وَارتادَت حِمى القَلبِ حَلَّتِ).

أراد: يا هؤلاء قاتَلَ اللهُ هذه الحَمامَة.

وأَنْشَدَ أيضًا:

عَلَّقتُ بالذِّئبِ حَبْلًا ثُمَّ قلتُ لهُ يا لُزَمْ طريقَكَ واسْلَمْ أيها الذيبُ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا أُخْبِرَ بِقَتْلِ أَبِي جَهْلٍ قَالَ: "إِنَّ عَهْدِي بِهِ فِي رُكْبَتَيْهِ حَوْرَاءُ، فَانْظُرُوا ذَلِكَ"، فنظرُوا فرأَوه[١].

قوله: حَوْرَاء، يُرِيدُ أَثَرَ كَيَّة كُوِي بها، يقال: حَوَّرَ عَينَ دابَّتِه، إذا حجَّر حَولَها، وذلك من داءٍ يُصيبها، وسُمِّيت الكَيَّة حَوْراءَ لأن موضعَها من البَدَنِ يَبْيَضُّ، والتَّحوِير التَّبْيِيض، قَالَ الراجز[٢]:

يا وَرِدُ إِنِّي سأموتُ مَرَّهْ فَمَن حَلِيفُ الجَفْنَةِ الْمُحْوَرَّهْ

يريد: الْمُبَيَّضَةِ من ترعيب السنام.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كَتَبَ لِعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ كِتَابًا، فَلَمَّا أَخَذَ كِتَابَهُ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتُرَانِي حَامِلًا إِلَى قَوْمِي كِتَابًا كَصَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ!"[٣].

---

[١] انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

[٢] هو أبو المهوش الأسدي: أبو المهوش حوط بن رئاب الأسدي، المشتهر بأبي المهوش: شاعر مخضرم. عاش واشتهر في الجاهلية. وأدرك الإسلام. شعره قليل متفرق.

[٣] رواه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة. وهو أطول من ذلك.

يَقُولُ: لا أَحْمِلُ إِلَى قَوْمِي كِتَابًا لا عِلْمَ لِي بِمُضَمَّنه، وكان من قِصَّة الْمُتَلَمِّس وصَحِيفتِه أَنَّه وطرفَةَ بنَ العبد كانا ينادِمان عمرَو بن هند مَلِك الحيرة، فهَجَواه، فكتب لهما إلى عامله بالبَحْرين كتابَين أَوْهَمَهُما أَنَّه أَمَر لهما فيهما بجوائز، وكتب إليه يأمرُه بقتلهما، فخرجا حتى إذا كانا ببعض الطريق إذا هما بشيخٍ عَلَى يسار الطَّرِيق يُحدِث ويأكُل من خُبزٍ في يده، فَقَالَ الْمتلِّمس: ما رأيتُ كاليوم شَيْخًا أحمقَ، فَقَالَ الشيخُ: أحمَقُ منّي من يَحمِل حتْفَه بِيَدِه، فاستَرابَ الْمُتَلَمِّس بقوله، وطلع عليهما غلامٌ من أَهلِ الحِيرة، فَقَالَ المتلَّمس: أَتَقْرأُ يا غلام؟ قَالَ نعم، ففَكَّ صَحِيفَتَه ودَفَعها إلى الغلام فإذا فيها: أما بعد فإذا أَتاكَ المتَلَمِّس فاقطع يَدَيْه ورِجْلَيْه وادْفِنْه حَيًّا، فَقَالَ لِطرفَةَ ادفَع إليه صَحِيفَتَك يقْرأْها؛ ففيها واللهِ ما في صَحِيفتي، فَقَالَ طرَفَة: كلا لم يكن ليجترئ عليَّ، فقذف الْمُتَلَمِّس بصحِيفتِه في نهرِ الحِيرة وقال:

قذفتُ بها في الثِّنْي من جَنْبِ كافرٍ كذلك أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ[1]

وأَخذَ نحوَ الشام، وأخذ طَرفةُ نحو البَحْرين، فلما وافى صاحبَ الْمَلِك سَقَاه الخمرَ وفَصَدَ أَكْحَلَيه إلى أن مات، ويقال: بل ضرب عُنُقَه، فَقَالَ الْمُتَلَمِّس يذكره:

---

[1] في ديوانه، وهو مطلع القصيدة، وبعده: (رضيت لها بالماء لما رأيتها ... يجول بها التيّار في كلّ جدولِ). الثني: الجنب. الكافر: اسم النهر. أقنو: أحفظ. القِطّ: الْكتاب، المضلَّل: الرَّدِيء الَّذِي فِيهِ الضلال.

كطُرَيْفَةَ بنِ العَبْد كان هَدِيَّهمْ ضَرَبوا صَمِيمَ قَذالِهِ بمُهَنَّدِ[١]

فَضُرِب المثلُ بصَحِيفة الْمُتَلَمِّس.

وعن أبي يحيى قَالَ: إنّي لأسِيرُ عَلَى فرسٍ لي في الجاهلية إذا أنا بطرفةَ بن العَبْد، فَقَالَ: يا أبا يحيى احْمِلني خَلْفَك، قلتُ: أين تريد؟ قَالَ: أُرِيدُ قلائدَ الخَيْل أتحدَّث إليهن – وقلائدُ الخيل جَوارٍ من بني تَيْمِ الله كُنَّ يُسَمَّين قلائِدَ الخَيْل – قَالَ: فحملتُه حتى إذا حاذى أبياتَهن نَزَل وقال: هذا المكان الَّذِي أُرِيد، ونَزَلَ فإذا غلامٌ آدمُ أَزرقُ أوقَصُ أزْورُ أَفْدعُ، قلتُ: وَيْلَك يا طرفَةُ ما أشَدَّ تشاؤلَ خَلْقِك! فَقَالَ: كيف لو أريتُك مِنْ خَلْقي ما هُوَ أَعجبُ من هذا! قلتُ: وأيُّ شيءٍ هُوَ؟ قَالَ: فيُخرِجُ لسانَه فإذا هُوَ أَسودُ كأنه لِسانُ ظَبْي، قلت: ما رأيتُ كاليوم قطُّ شَيئًا أعجبَ، فأهوى بيده إلى رقبتِه وقال: ويْلٌ لنا مما يَجني ذا، فكان الَّذِي جَنَى عليه فقُتِل.

قَولُه: تَشَاؤُلَ خَلْقِك، يريد اختلافَه، وأُراه من قَوْلِهم: شَالَ الميزانُ، إذا ارتفع، قَالَ الشاعر، وأنشدنيه أبو عمر[٢]:

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إنَّ الحَبيبَةَ حُبُّها لَم يَنفَدِ وَاليَأسُ يُسلي لَو سَلَوتَ أَخادَدِ).

[٢] وهو لعبد الرحمن بن الحكم: عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس: أخو مروان بن الحكم، سكن دمشق. شاعر محسن. أدرك عائشة، وشهد يوم الدار مع عثمان رضي الله عنه. وكان صديقاً لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت حتى وقعت العداوة بينهما أيام معاوية بن أبي سفيان، وأخذا يتهاجيان. وقد كان أخوه مروان بن الحكم والياً على المدينة.

فَشَاوِلْ بِقَيْسٍ فِي الطِّرَادِ ولا تكُنْ أَخاهَا إذا ما الْمَشْرِفِيَّةُ سُلَّتِ[١]

يريد: خَالِفْها.

قَالَ: ومعنى قَلائِدِ الخَيْل: أنهن كِرامٌ، وذلك لأنه لا يُقلَّد من الخيل إلا سابقٌ كريم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: "مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَتَّقِي الأَرْضَ بِشَيْءٍ إِلا فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ أَلْقَيْنَا تحته بِنَاءً"[٢].

البِنَاء: النَّطع، والمشهور منه الْمِبناة[٣]، يقال للنِّطع: مِبناة ومَبناة - بكسر الميمِ وفَتْحِها - وممّا جاء عَلَى وزنها: مِثْنَاةٌ ومَثناة، ومِرْقَاةٌ ومَرْقَاةٌ، قَالُوا: وإنما سُمِّي

---

[١] وقبل هذا البيت:

لحا الله قيسًا قيسَ عيلان إنها أضاعت ثُغورَ المسلمين فولتِ

أترجع كلب قد حمتها رماحها وتترك قتلى راهط ما أحنتِ

فشاول بقيس في الطعان ولا تكن أخاها إذا ما المشرفية سلتِ

ألا إنما قيس بن عيلان قلة إذا شربت هذا العصير تغنتِ

وإنما دعا عليهم لأنهم كانوا في الثغور فانهزموا مع الضحاك بن قيس.

[٢] رواه أحمد في المسند، باب الصلاة.

[٣] المِبْنَاة: حَصير أو جلدٌ يغَطّي التاجرُ به بضاعتَه.

النّطْعُ مِبْناةً لأنها تُتَّخذ من أَدِيمَيْن يُوصَل أَحدهُما بالآخر، والْمِبْنَاةُ في قَولِ أبي عُبَيْدة خَيْمة، وهي العَيْبَة[١] أيضًا: قَالَ النابغة[٢]:

عَلَى ظَهرِ مِبناةٍ جَديدٍ سُيورُها يَطُوفُ بها وَسْطَ اللَّطِيمَةِ بائعُ

قَالَ أبو عبيدة: هي الخَيْمة، وقال غيره: أراد الحصير.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ لَمَّا تَأَوَّلَ قَوْلَهُ: {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ}: "إِنَّ وِسَادَكَ إِذن لَطَوِيلٌ عَرِيضٌ"، قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} أَخَذْتُ عِقَالًا أَسْوَدَ وَعِقَالًا أَبْيَضَ فَوَضَعْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادِي فَنَظَرْتُ فَلَمْ أتبينْ، فذكرتُ ذلك للنبيّ فَقَالَ: "إِنَّ وِسَادَكَ إِذن لَطَوِيلٌ عَرِيضٌ؛ إِنَّمَا هُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ"[٣].

---

[١] العيبة: فراش من الجلد.

[٢] في ديوانه من قصيدته في اعتذاره للنعمان، ومطلعها: (عفا ذو حسأ من فرْتنى فالفوارعُ ... فجنبا أريكٍ فالتلاعُ الدوافعُ).

[٣] رواه البخاري، وأبو داود واللفظ له.

قَوْلُهُ: "إِنَّ وِسَادَكَ إِذن لَعَرِيضٌ" مَعْنَاهُ أَنَّ نَوْمَكَ إِذن لَطَوِيلٌ، كَنَّى بِالْوِسَادِ عَنِ النَّوْمِ لأَنَّ النَّائِمَ يَتَوَسَّدُهُ، كَمَا يُكَنَّى بِالثِّيَابِ عَنِ الْبَدَنِ لأَنَّ الإِنْسَانَ يَلْبَسُهُ، أنشد ابنُ الأنباري[١]:

رَمَوْها بأثوابٍ خِفَافٍ فلَنْ تَرى لها شبهًا إلا النعامَ الْمُنَفَّرا[٢]

أراد: بأبدانٍ خِفافٍ.

وقال آخر[٣]:

معي كُلُّ فَضْفَاضِ القَمِيصِ كأنهُ إذا ما سَرَى فيه الْمُدامُ فَنِيقُ[٤]

---

[١] والبيت لليلى الأخيلية: ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد ابن كعب، الأخيلية، من بني عامر بن صعصعة. شاعرة فصيحة ذكية جميلة. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. قال لها عبد الملك بن مروان: ما رأى منك توبة حتى عشقك؟ فقالت: ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفة! وفدت على (الحَجاج) مرات فكان يكرمها ويقربها.

[٢] في ديوانها، وهو بيت مفرد.

[٣] هو طُخَيم بن أبي الطخماء الأسدي: شاعر أموي، كان معاصراً لأمير العراق يوسف بن عمر الثقفي المقتول (سنة ١٢٧هـ) له خبر في الأغاني وأبيات قالها لما أمر العباس بن معبد المري وكان على شرطة يوسف بن عمر بحلق رأسه.

[٤] قاله يمدح قومًا من نصارى أهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، ثم من رهط عدي بن زيد العبادي، وفيهم قال: (وإني وإن كانوا نصارى أحبّهم ... ويرتاح قلبي نحوهم ويتوقُ) انظر الكامل للمبرد.

وقد يكون فيه وجهٌ غَيرُ هذا، وهو أن يكون الوِسادُ كنايةً عن موضع الوِسادِ من رأسِه وعُنُقِه، يَدُلّ عَلَى صِحَّة هذا المعنى قَوْلُهُ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: "إِنَّكَ إذن عَرِيضُ الْقَفَا"، قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ، أَهُمَا الْخَيْطَانِ؟ قَالَ: "إِنَّكَ لَعَرِيضُ القَفا إنْ أبصرتَ الخَيطين"[١].

وعرضُ القَفا يُتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهَين: أحدهما أن يكون كنايةً عن الغَباوَةِ وسلامة الصَّدر، يقال للرجل الغبِيّ إنّه لعَرِيض القَفا، والوجه الآخر أن يكون أراد إنك غَلِيظُ الرَّقبةِ وافرُ اللحم؛ لأَنَّ مَنْ أكل بعد الصبح لم ينْهَكْه الصَّومُ ولم يَبِن له أثرٌ فيه، وقد بين أن الخيطَ الأبيض إنما أُريدَ به بياضُ النَّهارِ، وهو أَولُ ما يبدو مُعترِضًا في الأُفُق، له وشائعُ كالخُيوطِ، قَالَ أبو دُوادٍ الإيادِيُّ[٢]:

فلَمّا أضاءَتْ لنا سُدْفَةٌ ولاحَ مِنَ الصُّبْحِ خيطٌ أَنارَا[٣]

وأنشد الأَصْمَعِيّ لرجل يصف ليلًا:

كأنَّ بقايا الليل في أخرياتِهِ ملاءٌ تُنَقَّى من طيالِسَةٍ خُضْرِ

---

[١] رواه البخاري.

[٢] أبو دُواد الإيادي جارية بن الحجاج الإيادي: شاعر جاهلي. كان من وُصّاف الخيل المجيدين. له (ديوان شعر).

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (وَدارٍ يَقولُ لَها الرائِدونَ وَيلُ اِمِّ دارِ الحُذاقِيِّ دارا).

تخالُ بقاياهُ التي أسأَرَ الدُّجَى تَمُدُّ وِشِيعًا فوق أردِيةِ الفَجْرِ

فشبَّهه بالوَشِيع[١]؛ لِمَا يَتراءى في خلاله من خيوطِ سوادٍ وبياض.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ عَدِيًّا الْجُذَامِيَّ[٢] قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَانَتْ لِي امْرَأَتَانِ اقْتَتَلَتَا، فَرَمَيْتُ إِحْدَاهُمَا، فَرُمِيَ فِي جِنَازَتِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "اعْقِلْهَا وَلا تَرِثْهَا"[٣].

قَوْلُهُ: رُمِيَ فِي جِنَازَتِهَا: يُرِيدُ أَنَّ الرَّمْيَةَ أَصَابَتْهَا فَمَاتَتْ، وهي كَلمة للعَرَب تقولها إذا أَخْبَرَتْ عن موتِ الرَّجُل، يقال: رُمِي في جِنازته وطُعِن في نَيْطه، أي مات.

وقال أبو زيد: النَّيْط، مفتوحة النون، قَال: وهو اسم من أسماء الْمَوْت، ويقال إنَّ النَّيْطَ عِرقُ الوَتِين، إذا انقطع مات صاحبُه، فأمَّا نِيَاط القَلْب فهو رِباطُه.

وفي الجِنازة لغتان: الكسر والفتح، ومنهم مَنْ يَفرّقُ بينهما فيجعل الجَنازة، بفتح الجيم، بَدَنَ الميّت، والجِنازة، بالكَسْر، السَّرِيرُ، أخبرني أبو عمر نا أبو

---

[١] الوشيع، وهو فتائل الغزل.

[٢] عدي بن زيد الجذامي الحجازي، المدني: أحد الصحابة وحدّث عن النبي صلّى الله عليه وسلم، وروى عنه جماعة، كان يسكن المدينة المنوّرة، وكان قبل إسلامه نصرانيّا يتاجر الشام، وقيل: كان يهوديّا.

[٣] رواه ابن سعد في الطبقات الكبير.

العباس ثعلب عن ابن الأعرابي قَالَ: الجِنازَة بالكسر السرير، وبالفتح الْمَيِّت، قَالَ: ومنه قول الكُمَيتِ[١] يذكر النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كَانَ مَيْتًا جَنازةً خَيْرَ مَيْتٍ غَيَّبَتْهُ حفائِرُ الأقوامِ

قَالَ: ومَرَّ أعرابيٌّ بامرأة ثَكْلَى فَقَالَ: أَثْكَلَتْها الجَنائز، يريد الْمَوْتَى، وقال صَخْر الغَيّ[٢]:

أَرى أُمَّ صَخْرٍ لا تَمَلُّ عِيَادَتِي ومَلَّتْ سُلَيْمى مَضْجَعي ومَكانِي

وما كنتُ أخشى أن أكون جَنازةً عليك ومن يَغْتَرُّ بالحَدَثانِ[٣]

وفي الحديث من الفِقه أَنَّ قاتِلَ الخطأ لا يَرِثُ كالعامِد، وأن النفس إذا تلفتْ بالتعزير والتأديب وما في معناهما مما لا يلزم لُزومَ حُكْم كانت مضمونة.

---

[١] في الهاشميات، من قصيدة مطلعها: (مَن لِقَلبٍ مُتَيَّمٍ مُستَهَامِ غَيرِ ما صَبوةٍ ولا أحلاَمِ).

[٢] الصحيح أنه ليس صخر الغَيّ (فهذا شاعر آخر سمي الغي لخلاعته)، بل هو صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء الشاعرة، كان من فرسان بن سليم وغزاتهم. جرح في غزوة له على بني أسد بن خزيمة، ومرض قريبًا من الحول، وله في ذلك أبيات أولها: (أرى أم صخر لا تمل عيادتي وملت سليمى مضجعي ومكاني) وسليمى زوجته. ثم نتأت قطعة من جنبه، فأزيلت، فمات. وللخنساء شعر كثير في رثاء اخيها معاوية المقتول قبله. ومما قالت في صخر: (وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار).

[٣] في ديوانه وهما مطلع القصيدة، وبعدهما: (فأيُّ امرِئٍ ساوَى بأُمِّ حَلِيلَةً فَلا عاشَ إلا في شَقًا وَهَوَانِ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِالأَبْكَارِ فَانْكِحُوهُنَّ؛ فَإِنَّهُنَّ أَفْتَحُ أَرْحَامًا وَأَعْذَبُ أَفْوَاهًا وأغرُّ غُرَّة"[١].

قوله: أَغَرُّ غُرَّةً، فيه وَجْهان: أحدهما أن يكون من غُرَّةِ البَياضِ ونُصوع اللون؛ وذلك أنّ الأَيْمَةَ وطُولَ التَّعْنِيس يُحِيلان اللون ويُبْلِيان الجِدَّة؛ والوجه الآخر أن يكونَ من حُسن الخُلُق والعِشرة؛ ويَشْهد لذلك قولُه: في رواية أُخْرى: "عليكم بالأَبكار فإنهن أَغرُّ أخلاقًا وأَرضَى باليَسِير".

وغُرَّةُ كل شيء خِيارُه، يقال: هذا غُرَّةُ الْمَتَاعِ وغُرَّةُ العَبِيد، وقد يُكْنى بها عن المحاسن والمكارم، ومنه قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إيَّاكم ومُشَارَّةَ الناسِ؛ فإنها تَدفِنُ الغُرَّة وتُظْهِر العُرَّة"[٢]. ووجه ثالث، إن ساعدتْه الرِّواية، وهو أن يقال: فإنهن أغَرُّ غِرَّةً، بكسر الغَين، يريد أَنَّهنّ أبعدُ من معرفة الشَّرِّ وأَقَلُّ فِطْنَةً له.

فأما حكمُه في الجنين بِغُرَّة فإن تِفْسير عامَّةِ العلماء لها أَنَّها عَبْدٌ أو أَمَة، من غَيْر تقْييد له بصفة، وذهب بعضُهم إلى أَنه أراد الخِيارَ من العَبِيد والإماء دون الأراذل منهم، قَالَ أبو عمرو بن العلاء: قول رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

[١] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: (٧٦٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع.

[٢] جاء في هامش فتح القدير: أي: لا تفعل بهم شرًّا؛ تحوجهم إلى أن يفعلوا بك مثله ؛ فإنها تدفن الغُرة: الحسن والعمل الصالح؛ وتظهر العُرة: وهي القذر؛ استعير للعيب والدنس.

"فِي الجِنَين غُرَّةٌ: عَبْدٌ أو أَمَةٌ"[١] لولا أن رَسُولَ الله أراد بالغُرَّةِ مَعْنى لقال: في الجنين عَبْدٌ أو أَمَةٌ، ولكنه عَنى البياضَ؛ حتّى لا يُقْبَل في الدِّيَة إلا غلام أبيضُ أو جارية بيضاءُ ولا يُقبَل فيها أسودُ ولا سوداءُ.

وهذا شَبِيهٌ بالمعنى الأول؛ لأنّ البَياضَ مما يُبْتَغَى في الرَّقِيق ويُزادُ له في القِيمة، وكانت العرب تَقْتَني الحَبَشَ والنُّوبةَ، والبياضُ فيهم عَزِيزٌ، فمن أَراد البياضَ في الجِنْس كالرُّوم والصَّقَالِبَة لم يقدر عليه إلا بأن يرفَعَ في الثَّمَنِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ[٢] قَالَ: أَتَانَا أَعْرَابِيٌّ[٣] وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ لِبَنِي زُهَيْرِ بْنِ أُقَيْشٍ[٤]: إِنَّكُمْ إِنْ شَهِدْتُمْ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَعْطَيْتُمُ الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ وَالصَّفِيَّ فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ"، فَلَمَّا قَرَأْنَاهُ انْصَاعَ مُدْبِرًا[٥]. وعَنْ أَبِي الْعَلاءِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ أَخِيهِ مُطَرِّفٍ: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ خُمُسُ الْخُمْسِ مِنَ الْمَغْنَمِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ وَالصَّفِيَّ، فَأَمَّا خُمُسُ الْخُمْسِ فَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ:

---

[١] رواه البخاري ومسلم.

[٢] مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّيْر (المتوفي سنة ٩٥ هـ): تابعي بصري، وأحد رواة الحديث النبوي.

[٣] قال الخطابي - بعد قليل — أنه النمر بن تولب؟

[٤] هم حيٌّ مِن قَبيلةِ عُكْلٍ.

[٥] أخرجه البيهقي وأحمد وأبو داود، وصححه الألباني.

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} الآيَةَ، وَأَمَّا سَهْمُ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ كان يُسهم له أُسْوَةَ مَنْ حَضَرَ الوَقْعَةَ، فَيَكُونُ لَهُ سَهْمُ رَجُلٍ شَهِدَهَا أَوْ غَابَ عَنْهَا، وَالصَّفِيُّ: مَا كَانَ يَصْطَفِيهِ وَيَخْتَارُهُ مِنْ عُرْضِ الْمَغْنَمِ من فرس أو غلام أَو سَيْفٍ أَوْ مَا أَحَبَّ من شيء، وذلك مِنْ رَأْسِ الْمَغْنَمِ قَبْلَ أَنْ يخمس، كان مَخْصُوصًا بِهَذِهِ الثَّلاثِ، عُقْبَةً[١] وَعِوَضًا عَنِ الصَّدقَةِ الَّتِي حُرِّمَتْ عَلَيْهِ.

وقوله: فانصاع مُدبرًا، يريد أَنَّه وَلَّى في سُرْعَة، قَالَ ذو الرُّمَّة[٢]:

رَمَى فأَخْطَأَ والأقدارُ غالِبَةٌ فانْصَعْن والوَيْلُ هِجّيراهُ[٣] والحَرَبُ

قَالَ محمدُ بنُ سلّام[٤]: الأَعرابيُّ صاحبُ الكتاب[٥] هُوَ النَّمِر بنُ تَوْلَب الشاعر[٦]، وقد وَفَد عَلَى رَسُول الله وله يقول:

---

[١] عُقْبة: بدل وعوض.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بال عينك منها الماء ينسكبُ ... كأنه من كلى مفريةٍ سربُ).

[٣] هِجّيرَى: من أوزان المصادر القليلة في كلام العرب، ومعناها العادة والشأن والديدن.

[٤] محمد بن سلام الجمحي (١٤٠ - ٢٣١ هـ): أخباري، وعالم، وأديب، ومن أشهر مصنفاته كتاب طبقات فحول الشعراء، وكان من أهل الفضل والأدب.

[٥] المذكور في أول هذا الخبر.

[٦] النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي: شاعر مخضرم. عاش طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر (الرباب) ولم يمدح أحداً ولا هجا. وكان من ذوي النعمة والوجاهة، جواداً وهَّاباً لماله. يشبه

إنّا أتيناكَ وقد طَالَ السَّفَرْ نَقُودُ خَيْلًا ضُمَّرًا فيها ضَرَرْ

نُطْعِمُها اللَّحمَ إذا عزَّ الشَّجَرْ[١]

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ بِلالًا قَالَ: أَذَّنْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ، فقال رسولُ الله: "مَا لَهُمْ يَا بِلالُ"؟ قُلْتُ: كَبَدَهُمُ الْبَرْدُ، قَالَ: "فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ يتروَّحون في الضَّحاء"[٢].

قوله: كَبَدَهم البَردُ، معناه غلبهم وشَقَّ عليهم، ومنه قولُهم: فلانٌ يكابِدُ مَعِيشَتَه، أي يقاسي مَشَقَّتَها، ومنه قولهُ تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، يقال: في شِدَّةٍ مُقاساة ومكابدةٍ لأمور الدنيا والآخرة، وقد يكون قولُهم "كبَدَهم" بمعنى أصاب أكبادَهم، وذلك في أشد ما يكون من البَرْد؛ لأنّ الكَبِد مَعدِنُ الحرارة والدَّم، ولا يَخلُص إليها من البرد إلا الشديدُ المجحِفُ،

شعره بشعر حاتم الطائي. أدرك الإسلام وهو كبير السن، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فكتب عنه كتاباً لقومه، وروى عنه حديثاً. وعاش إلى أن خرف فكان هِجّيراه: (أقْرُوا الضيف، أنيخوا الراكب، وانحروا له!). وذكره (عمر) يوماً فترحم عليه، فكأنه مات في أيام أبي بكر أو بعده بقليل.

[١] في ديوانه، وهي مطلع القصيدة، وبعدها: (وَالخَيلُ في إطعامِها اللَحم عَسَرْ).

[٢] رواه العقيلي في الضعفاء، عن جابر مرفوعاً.

والضَّحاءُ – ممدودًا – قريبٌ من نصف النهار، والضُّحَى إذا تعالى النهار، والضَّحْو عند ارتفاع النهار، قَالَ بشر بن أبي خَازم[١]:

هُدُوًّا ثم لأْيًا ما استَقَلُّوا لوِجْهَتِهِمْ وقد تَلعَ الضَّحاءُ[٢]

وإنما صاروا يتروَّحُون لحرّ الهواء، يريد أنّ رَسُولَ الله دَعَا لهم فانكشف البردُ عنهم.

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُسْتَنْجَى بِعَظْمٍ حَائِلٍ"[٣].

الحائل: المتغَيّر من البِلَى، وكلُّ مُتغيّر اللّونِ حائِل، يقال: حال لَونُه يَحولُ، إذا تَغَيَّر، فإذا أردتَ أنه قد أَتَى عَلَى الشيء حَولٌ كامِلٌ قلتَ: قد أَحالَ الشيءُ،

---

[١] بشر بن أبي خازم الأسدي: شاعر جاهلي فحل. من الشجعان. من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة. كان من خبره أنه هجا أوس بن حارثة الطائي بخمس قصائد، ثم غزا طيئاً فجُرح، وأسره الطائيون، فبذل لهم أوس مئتي بعير وأخذه منهم، فكساه حلته وحمله على راحلته وأمر له بمئة ناقة وأطلقه، فانطلق لسان بشر بمدحه فقال فيه خمس قصائد محا بها الخمس السالفة.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تعيّ القلبَ من سلمى عناءُ ... فما للقلب إذ بانت شفاءُ).

[٣] رواه البيهقي والدارقطني، في الاستنجاء.

ويقال: دارٌ مُحِيلَة، إذا لم تُسكَن حَولًا، وربما رُدَّ إلى الأصل فِقيلَ: أَحولَ، فهو مُحِول، كقَوْل عُمرَ بن أبي ربيعة[١]:

عُوجَا نُحَيِّ الطَّلَلَ الْمُحْوِلا والرَّبعَ مِن أَسماءَ والْمَنزِلا[٢]

وَهَذَا كَحَدِيثِهِ الآخَرِ: "أَنَّهُ نَهَى عَنِ الاسْتِنْجَاءِ بِالرَّوَثِ وَالرِّمَّةِ"[٣]، والرِّمَّةُ: العِظام البالية.

وَرَوَى عَوْفٌ الأَعْرَابِيُّ عَنْ أَبِي الْقَمُوصِ[٤] قَالَ: "بَلَغَنِي أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ أَنْ يَتَمَشَّعَ الرَّجُلُ بِرَوْثِ دَابَّةٍ أَوْ بِعَظْمٍ"[٥]، قَالَ: والتَمَشُّع الاستِنجاء.

---

[١] عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب: أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق. ولم يكن في قريش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. ورُفع إلى عمر بن عبد العزيز أنه يتعرض لنساء الحاجّ ويشبب بهن، فنفاه إلى (دهلك) ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقاً.

[٢] في ديوانه وهو مطلع القصيدة وبعده: (وَمَجلِسَ النِسوَةِ بَعدَ الكَرى أَمِنَّ فيهِ الأَبطَحَ الأَسهَلا).

[٣] رواه الدارقطني بإسناد صحيح، وفيه العظم بدل الرمة، والمعنى واحد.

[٤] زيد بن علي أبو القموص العبدي: "كوفي"، تابعي، ثقة. يروي عَن طَلْحَة بْن عبيد الله وَطَلْحَة بْن عَمْرو الْبَصْرِيّ وروى عَنهُ قَتَادَة وعَوْف الْأَعرَابِي.

[٥] انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

ويقال إنه إنما مَنَع الاستنجاءَ بالرَّميم لأنه إذا أصاب المكانَ عَلِق به بعض أَجزائِه، ولهذا كُرِه الاستنجاء بفُتات المدر ونحوه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ الأَعْشَى - وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الأَعْوَرِ الْحِرْمَازِيُّ - خَرَجَ فِي رَجَبٍ يَمِيرُ أَهْلَهُ مِنْ هَجَرٍ، فَهَرَبَتِ امْرَأَتُهُ بَعْدَهُ نَاشِزًا عَلَيْهِ، فَعَاذَتْ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مُطَرِّفُ بْنُ بُهْصُلٍ، فَجَعَلَهَا خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَاذَ بِهِ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَدَيَّانَ الْعَرَبْ إِلَيْكَ أَشْكُو ذِرْبَةً مِنَ الذِّرَبْ
كَالذِّئْبَةِ الْغَبْسَاءِ فِي ظِلِّ السَّرَبْ خَرَجْتُ أَبْغِيهَا الطَّعَامَ فِي رَجَبْ
فَخَلَفَتْنِي بِنِزَاعٍ وَحَرَبْ أَخْلَفَتِ الْوَعْدَ ولطَّتْ بالذَّنَبْ
وقَذَفَتْنِي بَيْنَ عِيصٍ مُؤْتَشَبْ وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبْ

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبَ"، وَشَكَا امْرَأَتَهُ وَمَا صَنَعَتْ بِهِ، وَأَنَّهَا عِنْدَ مُطَرِّفَ بْنِ بُهْصُلٍ، فَكَتَبَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُطَرِّفٍ: "انْظُرِ امْرَأَةَ هَذَا مُعَاذَةً فَادْفَعْهَا إِلَيْهِ"[1].

الدَّيَّانُ: المِلِكُ الْمُطاع، وهو الَّذِي يَدِين النَّاسَ: أي يَقْهَرهُم عَلَى الطاعة، يقال: دَانَ الرجلُ القومَ، إذا قهَرَهم فَدانُوا له إذا انْقَادوا، اللازِم والْمُتعدِّي فيه سَواء، والدَّيَّانُ الَّذِي يَلي الْمُجازاةَ، والدِّينُ: الجَزاء، والله مالكُ يوم الدِّين،

[1] نقله ابن كثير في البداية والنهاية عن عبد الله بن الإمام أحمد.

أي يوم الجزاء، ولذلك يقال للحاكِم: الدَّيَّان، وفي بعض الكلام: مَنْ دَيَّانُ أَرْضِكم؟ أي مَنِ الحاكم بين أَهلِها، وأنشد ابنُ كَيْسَان[١] أو غيره:

لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ عَنِّي ولا أنت دَيَّاني فَتَخْزُوني[٢]

يقال: خَزَاه يَخْزُوه، إذا ساسَه، ومنه قَولُ زيَاد: قد خَزَوْنا وخزانا الخَازُون، أي وَلِينَا الناس وَوُلِيَ علينا فَعلِمْنَا ما يُصلِح الرَّاعي والْمَرْعَى.

وقوله: ذِرْبَة مِن الذِّرَب، يُرِيد السَّلِيطَةَ، والذَّرَبُ والذَّرابةُ حِدَّةُ الّلسان، يقال: سِنَان ذَرِبٌ، أي حدِيد، وسَيفٌ ذَرِبٌ، أي ماضٍ، قَالَ الأصمعي: الذَّرَبُ فَسادُ الّلِسان وسُوءُ لَفْظِه، وهو من قولهم: ذَرِبتْ مَعِدتُه، إذا فَسدتْ، وأنشد[٣]:

---

[١] وهو لذي الإصبع العدواني: حُرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة: شاعر حكيم شجاع جاهلي. لقب بذي الإصبع لأن حية نهشت إصبع رجله فقطعها، ويقال: كانت له إصبع زائدة. وعاش طويلاً حتى عدّ في المعمَّرين. له حروب ووقائع وأخبار. وشعره مليء بالحكمة والعظة والفخر، قليل الغزل والمديح، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي يقول في أولها:(أأسيدُ إنْ مالًا ملكتَ فسِرْ به سيرًا جميلا)

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (يا من لقلبٍ شديد الهمّ محزونِ أمسى تذكَّرَ رَيّا أمَّ هارونِ).

[٣] وهو لحضرميّ بن عامر الأسديّ: صحابي، من الشعراء الفصحاء الفرسان. وحضر حرب الأعاجم في أيام عمر، واستنشده عمر ما قال فيها من الشعر، فأنشده أبياتًا حسنة. وهو صاحب الأبيات التي منها: (وكل أخ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك، إلا الفرقدان).

ولقد طويتُكُمُ عَلَى بُلَلاتِكمْ وعلِمتُ ما فِيكمْ من الأَذْرابِ[١]

وحُكِي عن أَبي عُبَيدة أَنَّه سُئِل عن الذَّرَب فَقَالَ: هُوَ سُرعةُ اللِّسان بكلامه حتى لا يَثْبُتَ الكلام فيه، كَذَرَب الْمَعِدة إذا فَسَدتْ فصار الغِذاءُ لا يَثْبُتُ فيها، فهو مَعنى واحدٌ يُحمَد في اللِّسان ويُذَمُّ في الْمَعِدة.

والذئبة الغَبساءُ هي التي في لَوْنِها طُلسَة، وكذلك ألوان الذِّئاب، والفعل منه اغباسَّ، وكذلك هُوَ في كل لون مُتَمَيِّل بين لونين، كالصُّهْبَة والصُّحرة ونحوهما، يقال: اصهابّ واصحارّ، فأما اللون الخالص كالحمرة والبياض ونحوهما فالفِعْل منه احَمَّر وابيضَّ، هذا إذا أردتَ أنه قد تَمَكَّن واستقرّ، فإذا أردتَ التَّغَيُّرَ والاستحالةَ قُلتَ: احْمارَّ واصْفَارَّ، كقولك: ما زال يَحمارُّ وَجْهُه ويصفارُّ، فمِن هذا حديثُ عَبْد الله[٢] قَالَ: "أَتيتُ رسولَ الله وهو نائِمٌ في ظِل الكعبة، فاستيقظ مُحمارًّا وجَهُه"، وفي رواية أخرى: "فاحمارَّ وجهُه حتى صار كأنه الصِّرْف"[٣]، وهو شَيءٌ أَحمرُ يُصْبَغُ به الأديمُ، قَالَ الشاعر[٤]:

---

[١] وهو من قصيدته التي وردت في الاختيارين: المفضليات والأصمعيات، ومطلعها: (ما زال إهداء الهواجر بيننا شتم الصديق، وكثرة الألقابِ).

[٢] ابن مسعود.

[٣] انظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى المديني.

[٤] هو سَلَمَة بن عمرو الخرشب بن نصر الأنماري: شاعر جاهلي مقل، من بني الأنمار بن بغيض، من غطفان، كان معاصراً لعروة بن الورد، له قصيدتان في المفضليات.

كَلَوْنِ الصِّرْفِ عُلَّ به الأديمُ[١]

والعامة تجعل الصِّرفَ من أسماء الخَمْر، وإنَّما هُوَ نَعتُ لونِها، ومعنى قولهم: شَرِب الخَمرَ صِرْفًا، أي شربها بلونِها لم يُغيِّره بمزَاج، وكذلك قولُهم في الجِرْيَالِ يجعلونَه من أَسْماءِ الخَمر، وإنما هُوَ لونُها، قَالَ الأعشى[٢]:

وسَبِيئةٍ مِمَّا تُعتِّقُ بابلٌ كَدَمِ الذَّبِيح سَلَبْتُها جِريالَها

عن سِماك بن حرب عن أبيه حربٍ قَالَ: لقيتُ الأعشى في الجاهلية فقلتُ له: ما عَنَيْتَ بقولك: سَلبتُها جِريالَها؟ قَالَ: شربتُها حمراءَ وبُلتُها بيضاءَ.

وقولُه: أَبْغِيها الطّعامَ، معناه أَمتارُه وابْغِيه لها، كقوله تعالى: {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ} المعنى: كالُوا لهم، كقولهم: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ}: أي من قومِه، قال الشاعر[٣]:

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تَأَوَّبَهُ خَيالٌ مِن سُلَيمى كَما يَعتادُ ذا الدَّينِ الغَريمُ).

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (رَحَلَت سُمَيَّةُ غُدوَةً أَجمالَها غَضبى عَلَيكَ فَما تَقولُ بَدا لَها).

[٣] هو عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة. وفد على المدينة سنة ٩هـ، في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو في اليمن. ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. وكان عصيّ النفس، أبيّها،

أمرتُك الخَيَر فافعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ فقد تركْتُك ذا مالٍ وذا نَشَبِ[١]

فحذف حرفَ الصِّفة، يريد أمرتُك بالخَيْر، وقال حُميدُ بن ثور[٢]:

أنتَ الَّذِي اخْتَارَه الرحمنُ أُمَّتَهُ فذاكَ غَيظٌ عَلَى مَنْ قلبُهُ حَسِكُ[٣]

وأكثر ما يقال البَغْيُ في طلب الشرّ، وأقَلُّه ما جاء في طلب الخير، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا جَاءَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَقِيلَ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ"[٤].

وكقول زيد بن عمرو بن نُفَيْل، وكان رَغِب في الجاهلية عن عِبادةِ الأوثان وطَلَبَ الدِّينَ فتنصَّر فكان يقول:

البِرَّ أَبغِي لا الخَالْ وهل مُهجِّرٌ كَمن قَالْ

فيه قسوة الجاهلية، له شعر جيد أشهره قصيدته التي يقول فيها: إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع.

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (يا دارَ أسماءَ بين السَفحِ فالرُّحَبِ أَقوَتْ وعفَّى عليها ذاهِبُ الحُقُبِ).

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إني وربِّ الهدايا في مشاعرِها وحيث تُقضى نذورُ الناسِ والنسكُ).

[٣] حسك: غاضب.

[٤] متفق عليه.

وقوله: لَطَّتْ بالذَّنَب، يريد أنها تَوارَت عنه وأَخْفَتْ شَخصَها دونَه، يقال: لَطَّ الغَرِيمُ دُوني، إذا استَخْفَى عنكَ وغَيَّبَ شَخصَه، وأصلُه من قولهم: لَطَّتِ الناقةُ بذَنَبِها، إذا ألزقتْه بحيائها.

وفيه وجه آخر وهو أن يكون أراد أنها قد نَشَزتْ عليه وامتنعتْ عن التّمكين من نفسها كما تمتنع الناقة عَلَى الفحل إذا حَمَلتْ، بأن تلصق ذنبَها بحيائها، قَالَ أبو عبيدة: يقال: لَطِطْتُ به، أَلَطُّ لَطًّا، وأَلَظَّ به إلظاظًا، بمعنى واحد وهو لزوم الشَّيء.

قَالَ الشاعر[١]:

أَلا إنَّ قومي لا تُلَطُّ قُدورُهمْ ولكنها تُوقَدْنَ بالعَذِراتِ[٢]

أي لا تُسْتَر قُدورُهم لكنها تُنْصَب بالأَفْنِية.

---

[١] هو زيد بن كثوة بن المرقال العنبري التميمي: من الرواة الأعراب الذين تؤخذ عنهم اللغة، وله أقاويل كثيرة متفرقة في كثير من كتب اللغة والأدب، بالإضافة إلى كونه شاعراً، وممن روى عنه الجاحظ، وقد قدم من البادية وسكن البصرة في عصر الجاحظ، قال عنه الجاحظ: ولقد كان بين زيد بن كثوة يوم قدم علينا البصرة وبينه يوم مات بون بعيد.

[٢] قاله مفاخراً في قومه بني العنبر من بني تميم.

وقوله: قذفَتْني بين عِيصٍ مُؤتَشِب، فالعِيصُ أُصولُ الشَّجَر، والْمُؤتَشِب الملتَفُّ الْمُلْتَبس، قَالَ جرير[١]:

فَما شَجَراتُ عِيصِكَ من قُرَيْشٍ بعَشَّاتِ الفُروعِ ولا ضَوَاحي

وضَرَبَ الشّجَرَ وائتشابَه مَثَلًا في التِبَاس أمرِه عليه. ورواه لنا المحدِّثُ: بَين غِيضٍ مُؤْتَشِب، والرّواية بين عِيصٍ، عَلَى ما فَسَّرناه، وقَولُه: لمن غَلَب، فإنما وحَّد الفِعلَ وذكَّره لأنّه ردَّه إلى غالبٍ، فكأَنَّه قَالَ: وهُنّ شَرُّ شيءٍ غالبٍ لِمَنْ غَلَب.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اشْتَرَى جَارِيَةً فَأَرَادَ وَطْأَهَا فَقَالَتْ إِنِّي حَامِلٌ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا سَجَعَ ذَلِكَ الْمَسْجَعَ فَلَيْسِ بِالْخِيَارِ عَلَى اللَّهِ. وَأَمَرَ بِرَدِّهَا"[٢].

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَتَصحو بَل فُؤادُكَ غَيرُ صاحِ عَشِيَّةَ هَمَّ صَحبُكَ بِالرَواحِ).

[٢] رواه عبد الرزاق في المصنف، وأبو عبيد الهروي في الغريبين في القرآن والحديث.

وقولُه: سَجَع ذَلِكَ الْمَسْجَع، معناه سَلَك ذَلِكَ الْمَسْلَك، أو ذَهَب ذَلِكَ المذهب، أو نحو هذا من الكلام، وأصلُ السَّجْع القَصدُ لجهةٍ واحدة، قَالَ ذو الرُّمَّة[١]:

قَطعتُ بها أَرضًا تَرَى وجهَ رَكْبِها إذا ما علَوْها مُكفَأً غيرَ ساجِعِ[٢]

أي غير قاصِدٍ، ومنه سَجْعُ الكَلامِ، وهو أن تَأتَلِفَ أواخِرُه عَلَى نَسقٍ واحد، وكذلك سَجْعُ الحَمامة إذا صَدحَتْ، وهو مُوالاة الصّوتِ عَلَى نَمَطٍ واحد، ومثله سَجْعُ الإِبِل إذا حَنَّتْ، قَالَ متّمم بنُ نُوَيْرَة[٣]:

فَما وَجْدُ أَظآرٍ ثلاثٍ رَوائمٍ رأَيْنَ مَجَرًّا مِن حُوارٍ ومَصْرعَا
يذكّرِنَ ذا البَثِّ الحَزينَ بِبَثّهِ إذا حَنَّتِ الأولى سَجَعْنَ لَهَا مَعَا

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (خليليَّ عوجا عوجةً ناقتيكما ... على طللٍ بين القلاتِ وشارِعِ). والقلات وشارع موضعان.

[٢] وجه ركبها: يريد مسلكَهم. ومكفأ: أي مقلوباً عن وجهه. غير ساجع: غير قاصد، غير مستقيم. يقال: أكفأته، أي قلبته عن وجهه.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي يرثي فيها أخاه، ومطلعها: (لعمري وما دهري بتأبين هالكٍ ولا جَزِعٍ مما أصابَ فأَوجعا).

وفي الحديث من الفِقْه كَراهَةُ وَطْءِ الحَبالى مِنَ السَّبْيِ، وَقَدْ رُوِيَ فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ: "لا يَسْقِيَنَّ أَحَدُكُمُ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ"[١]: أَيْ يَطَأَنَّ حَامِلًا مِنْ غَيْرِهِ.

وفيه أيضًا من الفقه أَنَّ الحملَ في الآدمياتِ عَيبٌ تُرَدُّ به الجاريةُ، وأَنَّها مخالِفَة للمَواشي والدوابّ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ حَنْظَلَةَ الأُسَيْدِيَّ[٢] جَاءَهُ فَقَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا"[٣].

الْمُعافَسَةُ: مُلاعَبَةُ النِّسَاءِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ، وَبَلَغَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ: إِنَّ فِيهِ دُعابةً، فَقَالَ: زَعَمَ ابْنُ النَّابِغَةِ[٤] أَنِّي تِلْعَابةٌ تِمْزَاحَةٌ أُعافِسُ

---

[١] أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد، وصحح الألباني إسناده.

[٢] حنظلة بن الربيع: الصحابي الكاتب الأُسيِّدي التميمي ويقال له: الكاتب، وهو أحد الصحابة الذين كتبوا لرسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ وروى عنه ومن كتبة وحي القرآن. شهد القادسية، ونزل الكوفة، وتخلّف عن علي بن أبي طالب في قتال أهل البصرة يوم الجمل، وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة اثنتين وخمسين غازيًا بالقسطنطينية، ولا عقب له.

[٣] رواه مسلم.

[٤] قيل إن النابغة اسم والدة عمرو بن العاص.

وَأُمَارِسُ، هَيْهَاتَ يَمْنَعُ مِنَ الْعِفَاسِ وَالْمِرَاسِ خَوْفُ الْمَوْتِ وَذِكْرُ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، ومَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فَفِي هَذَا عَنْ هَذَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ[١].

وَنَحْوُ هَذَا حَدِيثُهُ الآخَرُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ شَمِعْنَا – أَوْ شَمِمْنَا – النِّسَاءَ وَالأَوْلادَ[٢]. والشَّمَاعُ: اللَّهْوُ وَاللَّعِبُ، يقال: جاريةٌ شَمُوع، وقد شَمَعَتْ، قَالَ أبو ذؤيب[٣]:

فتَجِدُّ حِينًا في العلاجِ وتشمعُ[٤]

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ تِبْرُهَا وَعَيْنُهَا، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ تِبْرُهَا وَعَيْنُهَا، والبُرُّ بالبُرِّ مُدْيٌ بِمُدْيٍ"[٥].

التِّبْر: جوهَر الذَّهب والفِضَّة، يقال للقِطعة منها: تِبْرة، ما لم يُطْبَع، فإذا ضَرِبت دراهَمَ أو دنانيرَ سُمِّيت عَيْنًا، حرّم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّفَاضُلَ فيها، سواء كان تِبرًا بمضروب أو عَينًا بعَيْن.

---

[١] انظر: أنساب الأشراف للبلاذري، ترجمة علي بن أبي طالب.

[٢] أخرجه الترمذي، وأحمد، ورواه مسلم بألفاظ قريبة.

[٣] أبو ذؤيب الهذلي، والبيت من قصيدته التي مطلعها: (أَمِنَ المنونِ وَرَيبِها تَتَوَجَّعُ وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ).

[٤] وصدر هذا الشطر: فَلَبِثنَ حيناً يَعتَلِجنَ بِرَوضَةٍ.

[٥] أخرجه أبو داود، والنسائي، وأصله عند مسلم.

والْمُدْيُ مِكيالٌ لأهلِ الشَّام يقال إنه يَسَع خَمسةَ عَشَر مَكُّوكًا، والْمَكُّوك صَاعٌ ونِصفٌ، والصّاعُ خمسةُ أرطالٌ وثلثٌ، وهو صاع الحَرَمين.

قَالَ أحمدُ بنُ حنبل: صاعُ النبي خمسةُ أرطال وثلث، وأما الصّاع في قول أهل العِراق فعن يحيى بن آدم قَالَ: الصَّاعُ عند أصحابِنا ثمانيةُ أَرطال، وهذا صاعُ الحَجّاج صَوَّعه لَمَّا وَلِيَ العراقَ، وسَعَّر به عَلَى أهلِها، وكانت الوُلاةُ يتحمَّدونَ بالزِّيادة في الصِّيعان، يُرِيدون به التّوسعةَ عَلَى الناس، ولذلك قَالَ بعضُهم في ولاية سَعِيدٍ[1] العراقَ:

يا ويلنا قد ذَهَبَ الوليدُ وجاءنا مُجَوِّعًا سَعِيدُ

يَنقُص في الصاعِ ولا يَزِيدُ

فصاعُ الحَجَّاج صاعُ التَّسعير عَلَى أهل الأسواق، لا صاعُ التَّوقيف الَّذِي تُقدَّر به الكَفَّارات وتُخرَجُ به الصدقات.

---

[1] سعيد بن العاص (٢ – ٥٩ هـ): هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، مات أبوه يوم بدر في جيش قريش، وهو صحابي صغير مات النبي وله تسع سنين أو نحوها، كان أحد أشراف قريش وأجوادها وفصحائها الممدّحين. ولي الكوفة في عهد عثمان بن عفان قرابة خمس سنين، وغزا طبرستان فافتتحها، ولما وقعت فتنة الخلافة بين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان اعتزل الفتنة، وأقام بمكة، وكان معاوية يقدمه من بين رجالات قريش، وولاه المدينة المنورة سنة ٤٢ هـ لأكثر من مرة مناوبة مع مروان بن الحكم.

وَلَمّا وَلِي خالدٌ[١] أضعَفَ الصّاعَ فصار الصاعُ سِتَّةَ عشر رِطلًا فهذا تفسير الْمُدْي.

وأما الْمُدُّ فهو رُبع الصّاع، ويقال إنه مُقَدَّر بأن يَمُدَّ الرجلُ يَدَيْه فيملأ كفّيه طَعامًا؛ ولذلك سُمِّي مُدًّا، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِلْءَ الأَرْضِ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ"[٢].

والنَّصِيفُ: النِّصفُ، ورواه بعضُ أهل اللغة "ما بَلَغ مَدَّ أحدِهم" – بفتح الميم – يُريد الغاية، يقال: فلان لا يبلغ مَدَّ فلان، أي لا يلحقُ شَأوَه ولا يُدرك غايتَه.

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ قِتَالَ الرُّومِ فَقَالَ: "يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رُوقَةُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ"[٣].

رُوقَةُ القوم: خيارُهم وسَراتُهم، يقال: رأيتُ رائقةَ بني فُلانٍ، أي وجوهَهم وأعيانَهم، وأصل هذا في الرَّقيق، يقال: وصيفٌ رُوقَةٌ وَوصَفاء رُوقةٌ، أي

---

[١] خالد القسري ابن عَبْد الله بْن يَزِيد بْن أَسَد أَمِير الْحِجَاز ثُمَّ الْكُوفَة.

[٢] أخرجه مسلم.

[٣] أخرجه ابن ماجه والحاكم. وفيه: "إِنَّكُمْ سَتُقَاتِلُونَ بَنِي الْأَصْفَرِ وَيُقَاتِلُهُمُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِكُمْ، حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ رُوقَةُ الْإِسْلَامِ أَهْلُ الْحِجَازِ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَيَفْتَتِحُونَ الْقُسْطُنْطِينِيَّةَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ".. الحديث.

حِسانٌ، ويستعار ذَلِكَ في الخيل، يقال: خَيْل رُوقَةٌ، وأُراه مأخوذًا من: راقَنِي الشَّيء، إذا أعجبك، ويقال أيضًا: رأيتُ جَبْهة بني فلان، إذا رأيتَ سادتَهم وأَعيانَهم، ومِثله: رأيتُ نواصِيَ بني فُلان: قَالَ الشاعر[١]:

في مجلسٍ من نَواصِي الحَيّ مشهودِ[٢]

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أَوَّلُ دِينِكُمْ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ خِلافَةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ مُلْكٌ أَعْفَرُ، ثُمَّ مُلْكٌ وَجَبْرُوَّةٌ، يُسْتَحَلُّ فِيهَا الْفَرْجُ وَالْحَرِيرُ"[٣].

قوله: مُلْكٌ أَعفَر، معناه الإِرْبُ والدّهاء، أُخِذ من العَفَارَة، وهي الشَّيْطَنَة والدَّهاء، يقال: رجل عَفْرٌ وعِفْرٌ، ومنه قيل للشيطان المتمرّد: عِفرِيت،

---

[١] بل شاعرة هي: أم قيس الضبية ترثي أخًا لها، انظر: شروح الحماسة. أم قيس الضبية: شاعرة جاهلية. مات لها ولدان فرثتهما بأبيات: (يا سيف ضبّة لا يعضّك بَعده أبداً فتى بِجماجِمِ الأقرانِ).

[٢] وقبله: من للخصوم إذا جد الضجاج بهم بعد ابن سعدٍ ومَن للضمّرِ القودِ

ومشهدٍ قد كفيت الغائبين به في مجمعٍ من نواصي الناسِ مشهودِ

والضجاج والضجيج: الصياح والجلبة، تعني: من يدفع شغب الخصوم إذا راموا الغلبة، والقود: الطوال الأعناق، أي من يحسن أن يركب الخيول بعدك، ويغزو عليها ويغير، ونواصي الناس: أشرافهم تريد أنه في مقدمة الناس.

[٣] رواه الدارقطني وابن الأعرابي والطبراني.

ويوصَف به الرَّجلُ الدَّاهي الخَبِيث فيقال: رجلٌ عِفْريت نِفْريت، وعِفْرِيَة نِفْرِيَة، والمعنى أَنَّ الْمُلك يُفْضي إلى قوم يَسُوسُون النّاسَ بالدَّهاء والنُّكْر.

والجبرُوَّةَ مَصْدَر، يقال: جبَّارٌ بيّن الجَبْرِيَّة والجِبْرِيَّة والجَبَروت والجَبْرَوَّة، وهو الجَبَروتا أيضًا، كقولهم: رَحَمُوتا ورَهَبُوتا، والعرب تقول: "رَهَبُوتا خيرٌ من رَحَمُوتا"، معناه لَأنْ تُرهَب خيرٌ من أن تُرحَم.

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُهُ الآخَرُ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنْتُمُ الْيَوْمَ فِي نُبُوَّةٍ وَرَحْمَةٍ، ثُمَّ يَكُونُ خِلافَةُ رَحْمَةٍ، ثُمَّ يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، ثم يكون مُلوكًا عُضوضًا، يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَلْبَسُونَ الْحَرِيرَ، وَفِي ذَلِكَ يُنْصَرُونَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ"[١].

العُضُوض: جمع عُضٍّ: وهو الرِّجلُ الخَبِيث الشَّرِسُ الخُلُق.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الآخَرُ الَّذِي يَرْوِيهِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فِي صِفَةِ الْخُلَفَاءِ وَالأُمَرَاءِ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَلْمَانُ جلوسًا ننتظر رسولَ الله إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا فِي الْهَجِيرِ مَرْعُوبًا. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي صِفَةِ الْخُلَفَاءِ وَالأُمَرَاءِ بَعْدَهُ فَقَالَ: "أَوْهِ لفراخ محمدٍ من خَلِيفَةٍ يُسْتَخْلَفُ عِتْرِيفٍ مُتْرَفٍ يَقْتُلُ خَلَفِي وَخَلَفَ الْخَلَفِ"[٢]، فَإِنَّ الْعِتْرِيفَ الْغَاشِمُ، يُقَالُ: رَجُلٌ عِتْرِيفٌ وعِتْرِيس، أَيْ غاشِمٌ، ويقال إنه مقلوب

---

[١] انظر: معجم شيوخ ابن الأعرابي – باب الدال.

[٢] انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

من العِفْرِيت. ورواه بعضهم: غِتْرِيفٍ مترفٍ، بالغين المعجمة، والغَتْرَفَة والغَطْرَفَة واحدة، ورجل مُتَغَتْرِف أي متكبّر، وأنشد عن الأحمر[١]:

فإنك إنْ عاديْتَني غَضِبَ الحَصا عليك وذو الجُبُّورَةِ الْمُتَغَتْرِفُ

وقولُه: يَقتُل خَلَفي وخَلَف الخَلَف، فإنه يُتَأَوّلُ عَلَى ما كان مِنْ يَزِيد[٢] في أمر الحسين بن علي، وفيما جَرَى منه عَلَى أولادِ الْمُهاجرين والأَنصار يوم الحَرَّة، وهم خَلَف الخلف، رحمهم الله.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ"[٣].

قوله: استُحْلَلتُم فروجَهن بكلمة الله، يريد - والله أعلم - ما شَرَطه لهنّ في كَلِمته، وهو قَولُه تعالى: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}. وقد تتَصَرَّفُ الكلمةُ عَلَى وجوه، جِماعُها ما أمر الله به ودعا النّاسَ إليه، قَالَ الله

---

[١] هو لمغلس بن لقيط الأسدي يعاتب رجلًا كان واليًا على أضاخ: مُغَلِّس بن لقِيط بن حبيب بن خالد بن نضلة الأسدي، وقيل السعدي: شاعر جاهلي، أورد البغدادي قصيدة له من جيد الشعر، وقال: كان كريماً حليمًا شريفًا.

[٢] يزيد بن معاوية.

[٣] رواه ابن جرير في التفسير بإسناد صحيح.

تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ}، ثُمَّ فَسَّر ذَلِكَ فَقَالَ: {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ}.. الآية.

وأما قولُه: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} فإن المفسِّرين يذكرون أنها عَشْر خصال في الطَّهارة أمره اللهُ بهن: خَمس في الرأْسِ وخَمسٌ في سائرِ الجَسَد، فأما التي في الرأس: ففَرْقُ الرَّأسِ وقَصُّ الشارب والسِّواكُ والْمَضْمَضَةُ والاستِنْشاقُ، وأما التي في الجسد: فَتَقْلِيمُ الأظفارِ ونَتْفُ الإبِط وحَلْقُ العانةِ والاستِنجاءُ والاختِتانُ.

فأَتَّمهن: أي وَفَّاهن، ثُمَّ قال: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} أي أَدَّى ما فُرِض عليه.

وأما قولُه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ} فبيان ذلك قوله تعالى: {ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا} الآية، وأما قولُه: {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا} فإنها أربعُ كلماتٍ تكلم بها عيسى في المهْد صَبِيًّا: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ} إلى قوله: {مَا دُمْتُ حَيًّا}.

وأما قولُه: {لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي} فكلماتُه: عِلمُه.

وأما قولُه: {بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ} فإنه يريد – والله أعلم – أنه أوجدَه بالكلمة وكوَّنَه بها، وهي قوله: كُنْ، من غير تَوْلِيدٍ مِن فَحْل أو تَنْسِيلٍ من ذَكَر، وهو معنى قولِه: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ

ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ} ولم يُرِد – واللهُ أَعْلَم – أنَّ عِيسَى هُوَ الكلمةُ نَفسُها، ألا تراه يقول: اسمُه الْمَسِيح، ولو أَرادَ الكلمةَ لقال: اسمُها المسيح.

فأما قَولُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَعوذُ بكَلماتِ الله التَّامَّات" فإنّ كلمتَه القُرآنُ، وصَفَةُ بالتّمام تنزيهًا له عن أن يَلحَقَه نقصٌ أو عيبٌ، كما يوجد ذَلِكَ في كلام الآدمِيّين.

وقد يَحتَجُّ بهذا الخبر مَنْ يَرَى أَنَّ النِّكاحَ لا ينعَقِد إلا بَلْفظِ النِّكاح أو التّزويج.

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي بَاعَ لَهُ الْقَدَحَ وَالْحِلْسَ فِي مَنْ يَزِيدُ: "انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَلا تَدَعْ حَاجًا وَلا حَطَبًا وَلا تَأْتِنِي خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا"[١].

---

[١] أخرجه: الطيالسي وأحمد والترمذي وأبو نعيم في حلية الأولياء، وتمامه: جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فشكا الفاقة ثم رجع، فقال: يا رسول الله لقد جئتك من عند أهل بيت ما أراني أرجع إليهم حتى يموت بعضهم، فقال له: "انطلق هل تجد من شيء"، فانطلق فجاء بحلسٍ وقدح، فقال: يا رسول الله هذا الحلس كانوا يفترشون بعضه ويكتسون بعضه، وهذا القدح كانوا يشربون فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يأخذهما مني بدرهم؟ "، فقال رجل: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "من يزيد على درهم؟ "، فقال رجل: أنا آخذهما باثنين، فقال: "هما لك" فدعا الرجل، فقال له: "اشتر بدرهم فأسًا وبدرهم طعامًا لأهلك"، ففعل، ثم رجع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: "انطلق إلى هذا الوادي فلا تدع حاجًا ولا شوكًا ولا حطبًا ولا تأتني خمسة عشر يومًا"، فانطلق فأصاب عشرة، قال: "فانطلق فاشتر بخمسة طعامًا لأهلك وبخمسةٍ كسوة لأهلك"، فقال: يا رسول الله لقد بارك الله لي فيما

الحاجُ أيضًا: جمعُ حاجَةٍ، قَالَ الراعي[١]:

من حَسَكِ التَّلعَةِ أو من حَاجِها[٢]

والحاجُ أيضًا: جمع حاجَةٍ، قَالَ الراعي[٣]:

وحاجَةٍ غيرِ مُزْجاةٍ من الحَاجِ[٤]

فأما الحوائج فهي جَمعٌ عَلَى غير قياسٍ، إلا أَنَّ من العرب من يقول في الواحدة منها حائِجَة، فمن قَالَ ذَلِكَ أصابَ القياسَ في جمعها عَلَى الحَوائج، ذكره أَبو عُمَر عن أبي العباس ثَعْلب.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الآخَرُ أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا تَرَكْتُ حَاجَةً ولا داجَة إلا أتيتُها، فعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ رَسُولَ الله فَقَالَ: مَا جِئْتُكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْ

أمرتني، فقال: "هذا خيرٌ من أن تجيء يوم القيامة وفي وجهك نكتةُ المسألة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي دم موجِع أو غُرم مفظِع، أو فقر مدقِع".

[١] لم أجده في ديوانه.

[٢] وتمامه: (خلت القذى الحايل من حجاجِها ... من حسك التلعة أو من حاجِها).

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلا اِسلَمي اليَومَ ذاتَ الطَوقِ وَالعاجِ وَالدَلِّ وَالنَظَرِ المستَأنِسِ الساجي).

[٤] وتمامه: (وَمُرسَلٍ وَرَسولٍ غَيرِ مُتَّهَمٍ وَحاجَةٍ غَيرِ مُزجاةٍ مِنَ الحاجِ).

حَاجَةً وَلا دَاجَةً إِلا أَتَيْتُهَا، فَقَالَ لَهُ: "أَلَيْسَ تَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ"؟ قَالَ نَعَمْ! قَالَ: "فَإِنَّ اللَّهَ غَفَرَ لَكَ كُلَّ حَاجَةٍ وَدَاجَةٍ"[١].

هكذا رواه ابن قُتَيبَة بالتّخفيف، وفَسَّره فَقَالَ: أَراد أنه لم يَدَعْ شيئًا دعتْه نفسُه إليه من المعاصي إلا رَكِبَه، قَالَ: وداجَة، إتباعٌ، كقولهم: شَيطانٌ لَيْطانٌ، وأخواتها.

وقد روي هذا الحرف من غير هذا الطريق مُثقَّلًا[٢]، وفُسِّر عَلَى غير هذا المعنى، فعَنْ أَبِي الطَّوِيلِ شُطَبِ الْمَمْدُودِ[٣]: أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم فقال: يا رسول اللَّهِ! أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا وَهُوَ فِي ذَلِكَ لا يَتْرُكُ حَاجَّةً وَلا دَاجَّةً إِلا اقْتَطَعَهَا بِيَمِينِهِ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: "هَلْ أَسْلَمْتَ"؟ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: "نَعَمْ نَعَمْ! فَاعْمَلِ الْخَيْرَاتِ بِتَرْكِ الشِّرَّاتِ يَجْعَلُهُنَّ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهَا"[٤].

---

[١] رواه ابن حجر في الأمالي المطلقة، وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

[٢] يعني: حاجَّة وداجَّة.

[٣] أبو طويل، شطب المَمْدُود، يكنى أبا طويل، كندي، نزل الشام.

[٤] رواه ابن حجر في الأمالي المطلقة، وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

عَنْ أَبِي الْمُغِيرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ مُبَشِّرَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ: الحاجَّة الحُجَّاج إذا أقبلوا، والداجَّة إذا رجعوا، وقال غيره: الحاجَّةُ القاصدون البيتَ، والدّاجَّةُ مَنْ كان في ضمنهم من مُكارٍ وتاجرٍ وتابع.

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ رَأَى قَوْمًا فِي الْحَجِّ لَهُمْ هَيْئَةٌ أَنْكَرَهَا، فَقَالَ: "هَؤُلاءِ الدَّاجُّ فَأَيْنَ الْحَاجُّ؟"، وَسُمُّوا دَاجًّا لأَنَّهُمْ يَدُجُّونَ عَلَى الأَرْضِ، والدَّجَجَانُ: الدبيبُ في السير، أنشدني بعضهم[1]:

عِصابةٌ إن حَجَّ عيسى حجُّوا وإن أقام بالعراق دَجُّوا

ما هكذا كان يكون الحجُّ[2]

---

[1] الشعر لأبي الشدائد الفزاري، ذكره ابن جرير الطبري والبلاذري.

[2] وتمام الأبيات كما في أنساب الأشراف للبلاذي:

عصابة إن حجّ عيسى حجّوا ... وإن أقام بالعراق دجّوا

قد ناالهم نائله فلجّوا ... فالقوم قومٌ حجّهم معوّجُ

ما هكذا كان يكون الحجُّ

يُريد عيسى بنَ موسى الهاشميَّ[١]، قَالَ أبو عمر: قَالَ أبو العبَّاس: يقال لهم الحاجُّ والدَّاجُّ والنّاجُّ، فالحاجُّ: أصحاب النِّيّاتِ، والدَّاجُّ: الأتباع، والناجّ: المراؤون.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ طَوَّقَهُ اللَّهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ"[٢].

وهذا يفسّر عَلَى وَجْهَين: أحدهما أن تُخسَف به الأرضون السَّبعُ فتكون البُقعةُ المغصوبةُ منها في عنقه كالطَّوق، والوَجْه الآخر أن يكون ذَلِكَ من طَوْقِ التَّكليف لا من طَوْق التَّقْليد، وهو أن يُكلَّف حملَها يَومَ القيامة، وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ أَخَذَ أَرْضًا بِغَيْرِ حَقِّهَا كُلِّفَ أَنْ يَحْمِلَ تُرْبَتَهَا إِلَى الْمَحْشَرِ"[٣].

---

[١] عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: ولي العهد أبو موسى الهاشمي، أميرٌ عباسي، من الولاة القادة، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، كان يقال له: شيخ الدولة. ولد في الحميمة ونشأ بها، وكان من فحول أهله وذوي النجدة والرأي منهم، كان محباً للأدب، ناظماً للشعر، ضم مجلسه الفقيه ابن أبي ليلى، والفقيه ابن أبي شبرمة، والأديب الفقيه ابن السَّمَّاك.

[٢] متفق عليه.

[٣] أخرجه أحمد، وعبد بن حميد في (المسند)، والطبراني، وصحح الألباني إسناده..

وفي الحديث من الفِقْه أنَّ: مَنْ مَلَكَ بُقعةً من الأرض مَلَكَ أسفلَها كما يَملِك أعلاها، وأنْ ليس لأحدٍ أن يتّخِذَ سَرْبًا تحت أرضِه وإن كان لا يتضَرّر به، كما لَيْس له أن يُشرِع جَناحًا أو ظُلَّة في هواء دارِه وإن كان لا يتضَرّر به.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أَلا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنَةٌ بِرَبْوَةٍ، وَإِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلَةٌ بِسَهْوَةٍ"[١].

السَّهوةُ: الأرضُ اللَّيِّنةُ التُّربَةِ، ويقال للدّابة الذَّلول الْمِذْعان: سَهوة، قَالَ امرؤ القيس[٢]:

وخَرقٍ بعيدٍ قد قَطعتُ نياطَهُ عَلَى ذاتِ لَوْثٍ سَهْوةِ المشيِ مِذعانِ

وهذا كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النار بالشهوات"[٣].

---

[١] رواه أحمد. والمعنى أن عمل الجنّة حزنٌ بربوةٍ فيه شدّة، يحتاج إلى صبرٍ وجهادٍ للنفس والهوى؛ وعمل النار سهلٌ بسهوةٍ ميسّر للناس بأرضٍ مُطمئنّةٍ مُنخفضةٍ، إشارة إلى اتّباع الهوى، وأنَّ مَن أراد المعاصي وجدها.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (قفا نبك من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ وَرَسْمٍ عَفتْ آياتُه مُنذُ أزْمَانِ).

[٣] متفق عليه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَتَبَ لِلْعَدَّاءِ بْنِ خَالِدِ بْنِ هَوْذَةَ[١] كِتَابًا: "هَذَا مَا اشْتَرَى الْعَدَّاءُ بْنُ خَالِدٍ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ: اشْتَرَى مِنْهُ عَبْدًا أَوْ أَمَةً لا دَاءَ وَلا خِبْثَةَ وَلا غَائِلَةَ، بَيْعَ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمَ"[٢].

قوله: لا داءَ، يريد أن الْمَبيع بريءٌ من داءٍ في بدنه أو عيبٍ يُرَدُّ بِهِ.

وقوله: لا غائلةَ، فإنها كلُّ شيءٍ يُقصَد به الخداع والتَّدليس، وأصل ذَلِكَ من قولهم: غالَتْه غولٌ، إذا أذهبتْه، فهي غائلتُه، ولذلك قيل: الغَضَب غُولُ العقل، قَالَ ذو الرُّمَّة[٣]:

أعاذلُ قد جَرَّبتُ في الدّهر ما كَفَى ... ونظَّرتُ في أَعقابِ حَقٍّ وباطِلِ

فأيْقَنَ قلبي أنني تابعٌ أَبي ... وغائلتي غَوْلُ الرِّجالِ الأوائلِ[٤]

فالغائلة في البيع: كلّ ما أَدَّى إلى تلَف الحقِّ وذهابه.

---

[١] العداء بن خالد بن هوذة العامري، من قيس عيلان، له صحبة.

[٢] رواه البيهقي في السنن الكبرى، بإسناد فيه ضعف.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (خليلي عوجا من صدور الرواحلِ ... بجمهور حزوى فابكيا في المنازلِ).

[٤] يقول: في الدهر ما يكفيك إن عقلت. و"الأعقاب": مآخير الأمور، الواحد: عقب. "وغائلتي"، يريد: ذاهبتي. "غول القرون"، يريد: ما اغتال القرون فأذهبهم وأماتهم واخترمهم.

وَعَنِ الأَصْمَعي قَالَ: سألتُ سعيدَ بن أبي عَروُبة[١] عن الغائلة فَقَالَ: الإباقُ والسَّرَقُ والزِّنا.

وقال قتادةُ: الإباق، قَالَ الأصمعي وسألته عن الخِبْثَةِ فَقَالَ: بيعُ أهل عهد المسلمين، يريد سَبي من أعطى عهدًا أو أمانًا، وسمَّاه خِبْثَةً؛ لحُرمته، وكلُّ مُحرّمٍ خبيث. ويقال سَبْيٌ خِبْثَةٌ: أي خبيث، وسَبْيٌ طِيبَةٌ، وهو ما طاب ملكُه وحَلَّ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ نَهَى عَنْ بَيْعِ الثِّمَارِ حَتَّى تُوزَنَ"[٢].

قوله: حتى تُوزَن، الثمار لا تُوزنُ، إنما تُكال، ومعنى تُوزن تُخرَصُ، وسمّاه وزنًا لأن الخارص يَحزرُها ويقدّرها، فيحُلّ ذَلِكَ مَحَلّ الوزْن لها، والمعنى في النَّهي عن بَيْعها قَبْل الخرصِ شيئان: أحدهما تحصين الأموال وذلك أنها في الغالب لا تأمنُ العاهةَ إلا بعد الإدراك، وهو أوان الخرْص، والمعنى الآخر أنّه إذا باعَها

---

[١] سعيد بن أبي عروبة، واسم أبي عروبة مهران أبو النضر مولى ابن عدي بن يشكر،الإمام الحافظ عالم أهل البصرة وأول من صنف السنن النبوية.

[٢] رواه البخاري بلفظ: أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نَهَى عن بَيْعِ الثِّمَارِ حتَّى تُزْهِيَ. فقِيلَ له: وما تُزْهِي؟ قالَ: حتَّى تَحْمَرَّ. فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أرَأَيْتَ إذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ، بِمَ يَأْخُذُ أحَدُكُمْ مَالَ أخِيهِ؟!

قَبْل بُدُوِّ الصَّلاح عَلَى القَطْع سقط حقوقُ الفقراء، لأنّ الله تعالى أوجب إخراجَها وقتَ الحصاد.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ أَذِنَ فِي الْمُتْعَةِ عَامَ الْفَتْحِ"، قَالَ سَبْرَةُ الْجُهَنِيُّ: فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ إِلَى امْرَأَةٍ شَابَّةٍ كَأَنَّهَا بَكْرَةٌ عَيْطَاءُ[١].

فعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَذِنَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ فِي الْمُتْعَةِ عَامَ الْفَتْحِ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَابْنُ عَمٍّ لِي، وَمَعِي بُرْدٌ قَدْ بُسَّ مِنْهُ[٢]، فَلَقِينَا فَتَاةً مِثْلَ الْبَكْرَةِ الْعَنَطْنَطَةِ[٣]. وفي رواية: فَجَعَلَ ابْنُ عَمِّي يَقُولُ لَهَا: بُرْدِي أَجْوَدُ مِنْ بُرْدِهِ، قَالَتْ بُرْدُ هَذَا غَيْرُ مَفْنُوخٍ، ثُمَّ قَالَتْ: بُرْدٌ كَبُرْدٍ[٤].

---

[١] رواه مسلم.

[٢] يعني أُخذ ونُقص.

[٣] في رواية أخرى لمسلم. و«البَكْرة العَنَطْنَطة»، وهي: الطَّويلةُ العُنقِ في اعْتدالٍ وحُسنِ قَوامٍ.

[٤] وتمام كلام سبرة: أَذِنَ لَنَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بالمُتْعَةِ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ إلى امْرَأَةٍ مِن بَنِي عَامِرٍ، كَأنَّهَا بَكْرَةٌ عَيْطَاءُ، فَعَرَضْنَا عَلَيْهَا أَنْفُسَنَا، فَقالَتْ: ما تُعْطِي؟ فَقُلْتُ: رِدَائِي، وَقالَ صَاحِبِي: رِدَائِي، وَكَانَ رِدَاءُ صَاحِبِي أَجْوَدَ مِن رِدَائِي، وَكُنْتُ أَشَبَّ منه، فَإِذَا نَظَرَتْ إلى رِدَاءِ صَاحِبِي أَعْجَبَهَا، وإذَا نَظَرَتْ إلَيَّ أَعْجَبْتُهَا، ثُمَّ قالَتْ: أَنْتَ وَرِدَاؤُكَ يَكْفِينِي، فَمَكَثْتُ معهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالَ: مَن كانَ عِنْدَهُ شيءٌ مِن هذِهِ النِّسَاءِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ، فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهَا.

العيطاءُ: الطَّويلةُ العُنُق، وطولُها يُستَحسن، ما لم يُفرِط، قَالَ قيسُ بنُ الخَطيم[١]:

عيتاءُ جَيداءُ يُسْتَضاء بها كأنها خوطُ بانةٍ قَصِفُ[٢]

فأما قول ذي الرُّمَّة[٣]:

والقُرطُ في حُرَّةِ الذِّفْرى مُعَلَّقةٌ تَباعَدَ الحبلُ منها فهْو يضطربُ

فهذا إفراط وقد عِيبَ به.

والعُطْبُول أيضًا الطَّويلُ العُنُق، وهو العيطل، والبَكْرة العَنَطْنَطة مثل العيطاءِ سواء، ويقال عُنُق عَنَطْنَطٌ، قَالَ الشاعر[٤]:

يَمطُو السُّرَى بعُنُقٍ عَنَطْنَطِ[٥]

---

[١] قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي: شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما وقال في ذلك شعراً. وله في وقعة (بعاث) التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة. أدرك الإسلام وتريث في قبوله فقتل قبل أن يدخل فيه.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (رَدَّ الخَليطُ الجِمالَ فَانصَرَفوا ماذا عَلَيهِم لَو أَنَّهُم وَقَفوا).

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنسَكِبُ كَأَنَّهُ مِن كُلى مَفرِيَّة سَرِبُ).

[٤] هو رؤبة.

[٥] في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (وَبَلَدٍ يَغْتالُ خَطْوَ المِخْتَطِي بِغائِلِ الغَوْلِ عَرِيضِ المِبْسَطِ). وتمام الشاهد: (بِسِلبٍ ذِي سَلِباتٍ وُخَّط يَمْطُو السُرَى بِعُنُقٍ عَنَطْنَطِ).

وقوله: قد بُسَّ منه، أي قد نَالَ منه البِلَى فَرقَّ ونَهِكَ، ومن هذا قولُه تعالى: {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً}، قَالُوا: معناه فُتَّت ودُقَّت، ومنه البَسِيسَةُ، وهي السُّوِيقُ ونحوُه، وقال الأصمعي: هي كلُّ شيءٍ خَلطَته بغيره مثل السَّوِيق والأَقِط ثُمَّ تبلُّه، أو مثل الشَّعير بالنَّوى للإبل، يقال: بَسَسْتُ أَبُسُّ بَسًّا، قَالَ الراجز:

لا تَخْبِزَا خُبْزًا وبُسَّا بَسَّا ولا تُطِيلا بمقامٍ حَبْسَا[1]

يقول: تَزوَّدا السَّويق ولا تَصْنَعا خبزًا لئلا يطولَ الْمَكْثُ، يأمرُهما بالنَّجاء في السَّير، ويُروى: لا تَخْبِزَا خَبْزًا "بفتح الخاء"، والخَبز: الدَّفْعُ بالأَيْدي في السَّوْقِ، والبَسُّ السَّيرُ أيضًا، قَالَ أبو زَيْد: البَسُّ والبَشْكُ جميعًا: السَّيرُ الرَّقِيق، يقال بَسَسْتُ أَبُسُّ وبَشَكْتُ أَبْشُك، وأنشد:

لا تَخْبِزا خَبْزًا وبُسَّا بَسَّا

ويُروى أيضًا: ونُسَّا نَسَّا "بالنون" والنَّسُّ: السَّوقُ.

وقولُه: غير مَفْنُوخ: أي غَير مَنْهوك، ويقال للرجل الضعيف: إنه لفَنِيخٌ، ومنه قيل: فَنَخْتُ رأسَه، إذا شَدخْتَه، قَالَ العَجّاج[2]:

---

[1] يَقُولُ: لَا تَشْتَغِلَا بِالْخَبْزِ، وَثَرِّيَا الدّقِيقَ وَالْتَقِمَاهُ. ويُقَالُ إنّ هَذَا الْبَيْتَ لِلِصّ من غطفان أَعْجَلَهُ الْهَرَبُ أراد أن يخبز فخاف أن يعجل عن ذلك، فأكله عجينًا.

[2] في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (تاللهِ لَولا أَن تَحُشَّ الطُّبَّخُ بِيَ الجَحيمَ حينَ لا مُستَصرَخُ).

لَعَلِمَ الجُهالُ أَنِّيَ مِفْنَخُ[١]

وقد استَدلَّ بعضُ أهل العلم بقوله: "أَذِنَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ فِي الْمُتْعة عامَ الفتَح" عَلَى أَنّ حَظرًا قد كان تَقَدّمه، واحتج بخبر عليّ بن أبي طالب قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ زَمَنَ خَيْبَرَ[٢].

وذهب آخرون إلى أن حَظْرًا لم يكن تَقدمَّه، وإنما كان النَّهي عنه عامَ الفَتْح، وتأوَّلوا الخبَرَ عَلَى أنَّ ذِكْر خَيْبَر ليس عَلَى التَّوقيت للنَّهي عن الْمُتعة لكنه على التوقيت له في لحوم الحُمُر، وإنما أدرجه الراوي إدراجًا، كأنه قَالَ: نهى رسولُ الله عن نكاح المتعة، ثُمَّ قَالَ: ونهى عن لُحومِ الحُمُر الأَهلية زَمنَ خَيْبَر، فكان التَّوقيتُ مُنصرِفًا إلى حُرْمَةِ الحُمُر لا إلى الْمُتعة، قَالُوا: ومما يدل عَلَى صِحَّة ذَلِكَ أَنَّ الْمُتْعَة لم يكن لها زمَنَ خَيْبر سببٌ فيجب تحريمها له، وكان السببُ في تحريم لحوم الحُمُر معلومًا يوم خَيْبر؛ وذلك أنهم أسرعوا فيها وأَغْلَوْا بها القُدور، قَالَ الراوي: فنهانا رَسُول الله عنها فأكفَأْنَا القُدورَ وهي تَغْلِي بها.

---

[١] وتمامه: (في دُخَّلِ النارِ وَقَد تَسَلَّخوا لَعَلِمَ الجُهّالُ أَنّي مِفنَخُ لِهامِهِم أَرُضُّه وَأَنقَحُ).

[٢] رواه البخاري بلفظ: الحُمُر الإنسية.

ومِّما احتجُّوا به أَنْ قَالُوا: ليس في الشَّريعة أمرٌ تَوالَى عليه التَّحريمُ مرتين. ويروى هذا القولُ عن أبي بكر الأَثْرم[١]، ورأيتُ ابنَ أبي هُرَيرة[٢] يَنْصُره ويَمِيل إليه، وقد روى مالِكٌ هذا الخبر فذكر النَّهي عن الْمُتْعة يوم خَيْبر، فجرَّده من غير تَضْمينٍ له بالنَّهي عن لُحومِ الحُمُر الأَهْلِية، فعن مَالِك بْن أَنَسٍ أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْحَسَنَ وعبد الله أخبراه أَنَّ أَبَاهُمَا أَخْبَرَهُمَا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: "حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مُتْعَةَ النِّسَاءِ يَوْمَ خيبر"[٣].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ تَوَضَّأَ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ فَكَنَفَهَا فَضَرَبَ بِالْمَاءِ وَجْهَهُ"[٤].

---

[١] الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْعَلَّامَةُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَانِئٍ الْإِسْكَافِيُّ الْأَثْرَمُ الطَّائِيُّ أحد الأعلام، ومصنف «السنن»، وتلميذ الإمام أحمد. ولد في دولة الرشيد.

[٢] أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة البغدادي القاضي الشهير بابن أبي هريرة، (ت ٣٤٥ هـ): فقيه وقاضٍ، شيخ الشافعية، انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي، وتولى القضاء، درس ببغداد، فتفقه على يد ابن سريج، وأبي إسحاق المروزي، قام بشرح «مختصر المزني» في فروع الفقه الشافعي، ومن تلامذته أبو على الطبري، والدارقطني.

[٣] رواه البخاري.

[٤] رواه الشافعي في مسنده، بألفاظ قريبة.

قوله: كنَفَها، معناه جَمَع كَفَّه لِيَصيرَ كِنْفًا للماءِ، والكِنْفُ الوِعاء، ومنه قولهُ: عليه السلام[١] في عبد الله[٢]: "كنيفٌ مُلِئ عِلمًا"، المعنى أنه أَسبغَ الوُضُوء وأَخذ الماءَ له غَرْفًا بِمِلْءِ كَفِّه.

ويقال: كنف الكَيَّالُ يَكْنُفُ كَنْفًا، وهو أن يجعل عَلَى يديه رأس القفيز يُمسِك بهما الطعام.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَّةِ جُوَيْرِيَّةَ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ قَالَ: "وَكَانَتِ امْرَأَةً مُلَّاحَةً"[٣].

---

[١] الثابت أن هذا من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وليس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى مالك والطبراني وابن أبي شيبة وعبد الرزاق عن قتادة أن عمر الخطاب رضي الله عنه رُفع إليه رجل قتل رجلاً فجاء أولاد المقتول وقد عفا أحدُهم، فقال عمر لابن مسعود وهو إلى جنبه: ما تقول؟ فقال ابن مسعود: أقول له قد أحرز من القتل، قال فضرب على كتفه وقال: كنيف ملئ علماً)، وفي رواية (كنيف ملئ فقهاً).

[٢] ابن مسعود.

[٣] أخرجه أبو داود وأحمد، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

قوله: مُلَّاحة، هي الموصوفة بالْمَلاحة، يقال: مَلِيح ومُلاح، وكَرِيمٌ وكُرامٌ، قَالَ أبو عُبَيْدة: العرب تحوّل لفظ فَعِيل إلى فُعَال ليكون أشدَّ مبالغةً في النَّعت، قَالَ غيره: فإذا أرادوا التأكيد شَدَّدُوا فقالوا كُرَّام وحُسَّانٌ، قَالَ الشَّمّاخُ[١]:

دارُ الفتاةِ التي كنّا نَقُول لها يا ظَبْيَةً عُطُلًا حُسَّانَةَ الجِيدِ

ويقال: رجلٌ أُمَّان، أي أَمِين ثِقَة، قَالَ الأعشى[٢]:

ولقد شَهِدتُ التَّاجِرَ الـ أُمَّانَ مَوْرودًا شَرابُهْ

وقال الفَرَّاء: يقال رجلٌ وُضَّاء، مُشَدَّدٌ، من وَضَاءَةِ الوَجْه، ورجل قُرَّاء، للقارئ، قَالَ: وأنشدني أبو صَدَقَةَ النُّمَيْرِيّ[٣]:

بيضاءَ تَصْطادُ العَفِيفَ وتَسْتَبِي بالحُسْنِ قلب المسلمِ القُرَّاءِ[٤]

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (طالَ الثواءُ على رسمٍ بيمؤودِ أودى وكلُّ خليلٍ مرةً مودي).

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَصرَمتَ حَبلَكَ مِن لَمي سَ اليَومَ أَم طالَ اِجتِنابُهْ).

[٣] هكذا، والصواب الدبيري، زَيْد بن تُرْكِيّ الدبيريّ أبو صدقة: من شيوخ الفراء، ذكره ابن السكيت في إصلاح المنطق. واستشهد بشعره ابن سيده في المخصص. في باب فعيل وفعال وفُعّال. ويستنتج من كلام الزبيدي في تاج العروس في المادتين (قرأ) و(وضأ) أن أبا صدقة هو نفسه زيد بن تركي الدبيري؛ قال في مادة (قرأ): (قال الفرَّاء: وأنشدني أَبو صَدَقَة الدُّبَيْرِيُّ: بَيْضاء تَصْطادُ الغَوِيَّ وتَسْتَبِي بالحُسْنِ قَلْبَ المسْلِمِ القُرَّاءِ.

[٤] في ديوانه، ومطلعها:

ويُحكى عن الأصمعيّ أنه قَالَ: قُلتُ لجارية من الأَعراب: أين أبوك؟ فقالت: عند الكُبَّار، وأشارت إلى جَبَل قريب منها، ومن هذا قولُه تعالى: {وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً}.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ زَوَّجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَاهَا فَجَاءَتْ خَرِقَةً مِنَ الْحَيَاءِ، فَقَالَ لَهَا: "اسْكُنِي فَقَدْ زَوَّجْتُكِ أَحَبَّ أَهْلِ بَيْتِي، ودعا لهما"[١].

قولُه: خَرِقة، معناه خَجِلة من فَرْط الحَياء، أخبرني أبو عمر[٢] عن أبي العَبّاس ثعلب قَالَ: يقال: خَرِقَ الرجلُ وبَعِل وبَجِر وبَقِر، إذا نزل به أَمرٌ فَبقي مُتحَيِّرًا. وفي حديثٍ آخر: أنّها أَتَتْه تَعَثَّرُ في مِرْطِها من الخَجِل[٣]. وقال أبو دواد الإيادي[٤]:

إنّي عجبت لكاعبٍ مردونةٍ أطرافها بالحلي والحنّاءِ

بيضاءَ تصطاد العفيف وتستبي بالحسن قلب المسلم القُرّاءِ

قالت أزيدٌ أنت ما لك هكذا كالعبد مطليّاً بأيّ طلاءِ

[١] رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

[٢] غلام ثعلب.

[٣] رواه أحمد في فضائل الصحابة.

[٤] في ديوانه، وهو بيت مفرد.

والجُونُ في ألجائها خُرُقٌ والطَّيرُ في الأوكار قد خَرِقَتْ

أي تحيَّرتْ من الفَزَع فبقيَتْ في أماكنها لا تَتحرَّك، ويعني بالجُون هنا الحُمُر، والإلجاء مواضعُها قد تحيرت فيها لا تدري أين تذهب.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "تَيَاسَرُوا فِي الصَّدَاقِ؛ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْطِي الْمَرْأَةَ حَتَّى يَبْقَى ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهَا حَسِيكَةً"[١].

قوله: تَياسَرُوا، يريد تَراضَوا بما استَيْسَر منه ولا تُغَالُوا به، والحَسِيكَةُ: العداوة، يقال: فلانٌ حَسِكُ الصّدرِ عليَّ، إذا كان مُضمِرًا لك عَلَى حِقْدٍ، وقال الكِسائيّ: المِئْرَةُ الذّحْلُ، وجمعها مِئَرٌ، والضَّمَد: الحِقْد، والكَتِيفَةُ: الضَّغِينَةُ، ومثله الحَسِيفَةُ والحَسِيكَة والسَّخِيمَةُ، قَالَ الأُمَوِيّ[٢]: الحِشْنَةُ الحِقْد، وأنشد:

أَلا لا أَرَى ذا حِشْنَةٍ في فؤادِهِ يجمجمُها إلا سيَبدو دَفينُها

يقال: جمجم الرجلُ، إذا لم يبيّن كلامه من غيْر عِيّ.

---

[١] رواه عبدالرزاق في المصنف.

[٢] أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي الأموي (١٣٨ - ٢٠٢ هـ): ولد في البصرة وسكن بغداد وقدم مكة وحدث بها. أخذ العربية عن أبي عمرو بن العلاء وابن إسحاق الحضرمي. وأخذ اللغة والعروض عن الخليل بن أحمد. وقال ابن النديم: أكثرت السؤال عن اليزيدي ومحله من الصدق ومنزلته من الثقة، فقالوا: ثقة صدوق لا يدفع عن سماع ولا يرغب عنه شيء غير ما يتوهم عليه في الميل إلى المعتزلة. وهو أحد القراء الفصحاء العالمين بلغات العرب والنحو، وكان صدوقاً وله التصانيف الحسنة والنظم الجيد، وشعره مدون.

ومنه الوَحَر والوغَر، والوَغْم: الذّحْلُ، قَالَ الأعشى[١]:

يَقُوم عَلَى الوَغْم في قومِهِ فيعفو إذا شَاءَ أو ينتَقِمْ

قَالَ أبو عبيدة: معناه يطلب لقومه الوِتْر، وهو من قَولِه تعالى: {إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً} أي طالبًا.

وَنَحْوُ هَذَا حَدِيثُ عُمَرَ: "أَلا لا تُغَالُوا بِصُدُقِ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُغَالِي بِصَدَاقِ الْمَرْأَةِ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ لَهَا فِي قَلْبِهِ عَدَاوَةً"[٢].

يقول: جَشِمتُ إليك عَلَقَ القِرْبَةِ أو عَرَقَ القِربَةِ، وقد فسَّره أبو عُبَيْدٍ في كتابه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "كُلُّ غُلامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ"[٣]، وعن سَمُرَةَ: تأوله أحمدُ بن حَنْبل على الشَّفاعة؛ يقول إن مات الغُلام ولم يُعَقَّ عنه لم يُشَفَّع في والديه، وقال غيرُه معنى قوله: كلُّ غلامٍ رهينةٌ بَعَقيقَتِه، أي بأَذَى شَعَرِه، واستدل بقوله: "فأميطوا عنه الأذى"[٤].

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَتَهجُرُ غانِيَةً أَم تُلِمْ أَمِ الحَبلُ واهٍ بِها مُنجَذِمْ).

[٢] رواه الدارمي في مسنده: باب كم كانت مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته.

[٣] أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وصحح إسناده الألباني.

[٤] رواه أحمد في المسند، وابن أبي الدنيا النفقة على العيال، والبزار في المسند.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: "أَمِيطُوا عَنْهُ الأَذَى" أَيْ مَا عَلِقَ بِرَأْسِهِ مِنْ دَمِ الرَّحِمِ.

والرَّهِينَة: الرَّهْنُ، فَعِيل بمعنى مفعول، أي مَرْهون، والهاء في هذا وفيما أشبهه للمبالغة، يقال: فلانٌ كريمةُ قومه، أي يَحُلُّ مَحَلَ العقدة الكريمة عندَهم، وهذا عَقِيلَةُ المتَاع: أي غُرَّتُه، قَالَ الْمُبَرِّد: وروى فُصحاءُ أصحاب الحديث في قِصَّة جَرِير: "إذا أتاكم كَرِيمةُ قومٍ فأكرمُوه"[١]، وقال صَخْر بن الشَّرِيد يذكر أخاه معاوية[٢]:

أَبَى الشَّتْمَ أَنّي قد أصابُوا كَرِيمَتي وأنْ لَيْس إهداءُ الخَنَى من شِمَالِيَا

والعَقِيقةُ: شَعَر الصَّبِيّ كما يُولَد من أُمِّه، قَالَ الشاعر[٣]:

أيا هِنْدُ لا تَنْكَحِي بُوهَةً عليه عَقِيقَتُهُ أَحْسَبَا[٤]

---

[١] استدركه الحاكم على الصحيحين.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (وعاذلةٍ هبَّت بليلٍ تلومني ألا لا تلوميني كفى اليومَ ما بِيَا).

[٣] هو امرؤ القيس بن مالك الحميري: شاعر جاهلي قديم وقد أثبت الآمدي في المؤتلف والمختلف شعراً له وهي ثابتة في ديوان حمير. وأورد صاحب كتاب أخبار المراقسة شعراً له.

[٤] في ديوانه وهو مطلع القصيدة، بُوهة: الرجل الضعيف الطائش، الأحمق. عقيقته: العقيقة الشعر الذي يولد به الطفل. أحسبا: الأحسب من الرجال: الذي ابيضت جلدته. وقال القتيبي: أراد بقوله "عليه عقيقته" أنه لا يتنظف.

ويقال: بل العَقِيقَةُ الشَّاةُ التي تُذبَح عنه، وأصل العَقِّ القَطْع، قَالَ الشاعر[١]:

بلادٌ بها عَقَّ الشّبابُ تَمِيمَتِي وأولُ أرضٍ مسَّ جلدي تُرابُها[٢]

ومنه قولُهم: عقَّ الرجلُ والدَه، إذا قطعَه، ويقال: قد انعقَّ البرْق، إذا تَبَسَّم وانْشَقَّ، والسُّيوفُ تُشَبَّه به فيقال: سَيفٌ كأنه عَقِيقَةُ بَرْقٍ، أي لَمعَةُ بَرْق، قَالَ الصَّلَتَانُ[٣]:

ألا يا اصْبِحَاني قبلَ عَوْقِ العَوائِقِ وقبلَ اخْتِراطِ القومِ مثل العقائقِ[٤]

---

[١] هو رقاع بن قيس الأسدي. هكذا هو في اللسان.

[٢] وقبله: ألم تعلمي يا دار بلجاء أنني ... إذا أخصبت أو كان جدباً جنابُها

أحب بلاد الله ما بين مشرفٍ ... إلي وسلمى أن يصوب سحابُها

بلاد بها عق الشبابُ تميمتي ... وأول أرضٍ مس جلدي ترابُها

[٣] الصلتان العبدي: قثم بن خبية بن عبد القيس. لقب بهذا اللقب لبيت قاله في قصيدته المشهورة، ولفظ صلتان فيه معنى النشيط، والحديد الفؤاد. والصلتان شاعر مشهور في عبد القيس، عاصر الشاعرين الكبيرين الفرزدق وجرير، وله شعر في الحكم والقيم والوصايا والأمثال. شارك الصلتان في الأحداث السياسية وأيد موقف على بن أبي طالب.

[٤] وله قصة: فقد وجه الحجاج إلى المهلب رجلين يستحثانه لمناجزة القوم أحدهما يقال له زياد بن عبد الرحمن من بني عامر بن صعصعة والآخر من آل أبي عقيل من رهط الحجاج، فضم المهلب زياداً إلى ابنه حبيب وضم الثقفي إلى ابنه يزيد وقال لهما خذا يزيد وحبيبا بالمناجزة وغادوا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال فقتل زياد بن عبد الرحمن العامري وفقد الثقفي ثم باكروهم في اليوم الثاني وقد

ولهذا سُمِّي الوادي الَّذِي بالمدينة عَقِيقًا؛ وذلك لانْشِقاقه في الأرض طُولًا، فإذا كان أَصلُ العَقِّ القطْع والشّقّ صَلُحَ أن تكون العقيقةُ اسمًا للذَّبيحة؛ لأنها تُعَقُّ، أي تُقطَع مذابِحُها وتُشَقُّ، وأن تكون اسمًا للشَّعر لأنه يُقْطَع عن الصّبي فيُحذفُ عنه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "عَلَمُ الإِيمَانِ الصَّلاةُ، فَمَنْ فَرَّغَ لَهَا قَلْبَهُ وَحَاذَ عَلَيْهَا بِحُدُودِهَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ"[١].

المشهور من هذا: "حافظَ عليها"، فإن صحّ قولُه: حاذَ، فمعناه ومعنى الأَوَّل سواء؛ يقال: حاذ عَلَى الشيء، إذا حافظ عليه، ومنه قَولُه تعالى: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ}، قال حميد بن ثور[٢]:

وجد الثقفي فدعا به المهلب ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريباً منهم ويتجاوزهم والثقفي يعجب من أمر المهلب فقال الصلتان العبدي:

ألا يا اصبحاني قبل عوق العوائقِ وقبل اختراط القوم مثل العقائقِ

غداة حبيبٌ في الحديد يقودنا يخوض المنايا في ظلال الخوافقِ

حرونٌ إذا ما الحرب طار شرارها وهاج عجاج النقع فوق المفارقِ

فمن مبلغ الحجاج أن أمينه زياداً أطاحته رماح الأزارق

[١] أخرجه العقيلي في الضعفاء.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (مَرِضتُ فَلَم تَحفِل عَليَّ جَنوبُ وأَدنَفتُ والمِمشى إِليَّ قَريبُ).

عَلَى أَحْوَذِيَّيْنِ استَقَلَّت عليهما نَجاةً، تراها لَمعةً فَتَغِيبُ[١]

يريد: جَناحَيِ القَطاة.

وقد وصفتْ عائشَةُ عُمَرَ بذلك فقالت: "كان أَحوَذِيًّا نَسِيجَ وحدِه"[٢]، ويُروى: "أَحْوَزِيًّا"، قَالَ بعض أهل اللغة: الأَحوَذِيُّ: القَطَّاعُ للأُمور والأَحْوَزِيُّ: الجامِعُ لِمَا شَذَّ. قَالَ وَهْبُ بن جَرِير: سألتُ أعرابيًّا عن قَولِ عائشةَ في عُمَر بن الخَطَّاب: كان أَحوزِيًّا، قلت: ما الأَحوزِيُّ؟ قَالَ: الَّذِي يَحتَازُ بالأمر دونَ الناسِ.

ومّما جاء عَلَى وزنه من النّعوت: الأَلْمَعيّ، الَّذِي يَظن الظنَّ فلا يخطِئ، قَالُوا: واشتِقاقُه من لَمَعان النَّار وتوقُّدها، ومثله اللَّوذَعِيّ، وهو الْمُتوقِّد، واشتقاقُه من لذع النار.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الضِّبْنَةِ فِي السَّفَرِ وَالْكَآبَةِ فِي الْمُنْقَلَبِ"[٣].

---

[١] الأحوذيان: مثنى الأحوذي، وهو الحاذق، أو الخفيف المشمر لأمر ما. استقلت: ارتفعت. والمعنى: إن القطاة قد طارت بجناحين سريعين، فما إن يقع عليها نظرك حتى تختفي وتغيب لشدة هذه السرعة.

[٢] أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة.

[٣] رواه أحمد في المسند.

الضِّبْنَةُ: عِيال الرجل ومَنْ تلزمُه نَفَقَتُه، وسُمُّوا ضِبْنَةً لأنهم في ضِبْنِ مَنْ يعولُهم، والضِّبْنُ ما بَيْن الكَشْح والإِبِط، تَعَوَّذَ بالله من كثرة العيال، وخصَّ به السَّفَر لأنه مَظِنَّة الإِقواء[١].

وقد قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ"[٢].

وفيه وجهٌ آخر، وهو أن يكون إنَّما تَعَوَّذَ من صُحْبَةِ مَنْ لا غَناءَ عنده ولا كِفاية، إنما هُوَ كَلٌّ وعيالٌ عليه. وقال بعضُهم: إنما هو الضِّمْنَة، بالميم، وهي العلَّة المزمِنة، وهذا وجهٌ، إلا أن الرّواية جاءت بالباء.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الآخَرُ: "أَنَّهُ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الشِّطَّةِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ"[٣]، هَكَذَا قَالَ: الشِّطَّةُ، وَهِيَ بُعدُ المسافة، يقال: شطَّ المكان، إذا بَعُدَ، يَشُطُّ ويَشِطُّ، وَيُقَالُ: شَطَّتْ بِهِ النَّوَى، أَيْ بَعُدَتْ بِهِ المسافة، قال الشاعر[٤]:

تشطُّ غدًا دَارُ جِيرَانِنَا وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أبعدُ

---

[١] الافتقار والجوع.

[٢] تفرد به مسلم.

[٣] رواه مسلم، بلفظ: وكآبة المنظر.

[٤] هو عمر بن أبي ربيعة، في ديوانه، وهو مطلع القصيدة، وبعده: (إذا سَلَكَت غَمرَ ذي كِندَةِ مَعَ الرَكبِ قَصدٌ لَها الفَرقَدُ).

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ: أَشَطَّ الرَّجُلُ فِي الْحُكْمِ، إِذَا تَبَاعَدَ عَنِ الْحَقِّ، قَالَ الأَحْوَصُ[١]:

أَلا يَا لَقَوْمٍ قَدْ أَشَطَّتْ عَوَاذِلِي وَيَزْعُمْنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّيَ بَاطِلِي[٢]

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي تَعدِيلِ النَّفَقَةِ: لا وَكْسَ وَلا شَطَطَ، فَإِنْ رَوَاهُ رَاوٍ: كَآبَةَ الشُّقَّةِ، فَمَعْنَاهَا مَشَقَّةُ السَّفَرِ؛ يُقَالُ: شُقَّةٌ شَاقَّةٌ، أَيْ طريقٌ بعيدة ذاتُ مشقَّة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ مَيْمُونَةَ بِنْتَ كَرْدَمٍ[٣] قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ، مَعَهُ دِرَّةٌ كَدِرَّةِ الْكُتَّابِ[٤]، فَسَمِعْتُ الأَعْرَابَ وَالنَّاسَ يَقُولُونَ: الطَّبْطَبِيَّةَ الطَّبْطَبِيَّةَ"[٥].

قولها: يقولون الطَّبْطَبِيَّةَ، إنما هُوَ حِكاية وَقْع الأَقدام، تُريد إقبالَ الناس إليه يسْعون ولِأَقْدامهم طَبْطَبَة، كقول القائل:

جَرَتِ الخيلُ فقالتْ حَبَطِقْطِقْ حَبَطِقْطِقْ

---

[١] الأحوص: عبدالله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري: شاعر هجاء، صافي الديباجة، كان معاصراً لجرير والفرزدق. وهو من سكان المدينة. وفد على الوليد بن عبد الملك فأكرمه، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته، فرده إلى المدينة وأمر بجلده، فجلد، ونفي إلى جزيرة (دهلك) فبقي بها إلى أن أطلقه يزيد بن عبد الملك. فقدم دمشق فمات فيها.

[٢] في ديوانه وهو ثاني اثنين، وبعده: (وَيَلحَيَنَي في اللَهوِ أَلا أُحِبَّهُ وَلِلَّهوِ داعٍ ذائِبٌ غَيرُ غافِلِ).

[٣] مَيْمُونَة بنت كردم الثقفية المكية: صحابية.

[٤] يعني مثل العصا التي في الكتاب، والكُتَّابُ: مكانُ تَعليمِ الصِّغارِ.

[٥] رواه أبو داود وصحح الألباني إسناده.

يُرِيد حِكايةَ وقعِ سَنابِكها، وكقول آخر:

وأصابتْ رِجلُها الطَّستَ فقالت طَنَنَنَّهْ

وأخبرني أبو عُمَر عن أبي العبَّاس ثَعلَب عن ابن الأعرابي قال: قال أبو الْمُكارِم: مررتُ بقوم وهم تِغٍ تِغٍ، أي يَضحكون. وفيه وَجْه آخر وهو أن يُرادَ بها الدِّرَّة التي كانت معه، سمَّتها الطَّبْطَبِيَّة لصوتها، ومنه طَبْطَابُ اللَّعِب.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ نَزَلَ الْحُدَيْبِيَةَ وَهِيَ نَزَحٌ"، فعَنْ ناجية بن جُنْدَبٍ[1]، قَالَ: لَمَّا كُنَّا بِالْغَمِيمِ عَدَلْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ فَأَخَذْتُ بِهِ فِي طَرِيقٍ لَهَا فَدَافِدُ فَاسْتَوَتْ بِيَ الأَرْضُ حَتَّى أَنْزَلْتُهُ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَهِيَ نَزَحٌ[2].

قَالَ الكسائي: يقال: بئر نَزَحٌ، إذا لم يكن فيها ماء، وجمعُها أَنْزاح، وأنشدنا أبو عُمَر:

لا تَسْتَقي في النَّزَحِ الْمَضْفُوفِ إلا مُداراتُ الغُروبِ الجُوفِ

مُدارات: جمع مُدَارة، إذا أُدِيرت فهي مُدارة، قَالَ الفرّاء: نزحَتِ البئْرُ ونَزَحتُها، اللازم والمتعدي سواء، ومثلُه: غاضَ الماءُ وغِضْتُه، وهَبَطَ الشيءُ

---

[1] ناجية بن جُندب الأسلميّ: صاحب بُدْنِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم، وهو ناجية بن جندب بن عمير، من أهلِ الحجاز، كان اسمه ذكوان، فسمَّاه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم ناجية؛ إذْ نَجَا من قريشْ. مات في خلافة معاوية بالمدينة.

[2] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف.

وهَبَطْتُه، سواء؛ فالنَّزَحُ: الْمَنْزوح، كما أَنَّ النَّضَح الْمَنْضُوح، ويقال للحوض: النَّضَح، قَالَ أَيْمَنُ بن خريم[١]:

فاسَتَوْرَدْتهمْ سيوفُ المسلمين عَلَى تمامِ ظِمءٍ كما يُسْتَورَدُ النَّضَحُ[٢]

وقوله: طريق له فَدافِدُ، الفَدْفَدُ: المكان المرتفع وفيه صَلابَةٌ وحُزونةٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ أَصْحَابَ النَّجَاشِيِّ كَلَّمُوا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَسَأَلُوهُ عَنْ عِيسَى فَقَالَ جَعْفَرٌ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: وَاللَّهِ مَا يَزِيدُ عِيسَى عَلَى مَا يَقُولُ مِثْلَ هَذِهِ النُّفَاثَةِ مِنْ سِوَاكِي هَذَا"[٣].

---

[١] أَيْمَنُ بنُ خُرَيْم بنِ فَاتِكٍ الأَسَدِيّ (ت ٨٠ هـ): تابعي وشاعر وأحد رواة الحديث النبوي. كان أيمن من ذوي المكانة عند عبد العزيز بن مروان بمصر، ثم تحول عنه إلى أخيه بشر بن مروان بالعراق.

[٢] في ديوانه من قصيدته في رثاء عثمان بن عفان:

تَعَاقَدَ الذَّابِحُو عُثْمَانَ ضَاحِيَةً أيَّ قَتِيلِ حَرَام ذُبِّحوا ذَبَحُوا

ضَحَّوْا بِعُثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ وَلَمْ يَخْشَوْا عَلَى مَطْمَحِ الكَفّ الذي طَمِحُوا

فَأيَّ سُنَّة جَوْر سَنَّ أوَّلُهُمْ وَبَابِ جَوْرٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فَتَحُوا

مَاذَا أَرَادُوا أضَلَّ اللَّهُ سَعْيَهُمُ مِنْ سَفْحِ ذَاكَ الدَّمِ الزَّاكي الذِي سَفَحُوا

فَاسْتَوْرَدتْهُمْ سُيُوفُ المسْلِمينَ عَلَى تَمَامِ ظِمءٍ كَمَا يُسْتَوْرَدَ النَّضَحُ

إنَّ الذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَفَهاً لُقُّوا أُثَاماً وَخُسْرَاناً فَمَا رَبِحُوا

[٣] انظر كتب السيرة النبوية.

النُّفَاثَةُ: مَا يُنْفَثُ مِنْ شَظَايَا السِّوَاكِ، قَالَ أبو زيد: تقولُ العرب: لو سألتَني نُفاثةً وقُصامَةً وضُوارةً ما أعطيتُك، ومعناها ما يبقى في فِيك من السِّواك.

وفي هذه القصة: "أَنّ عَمْرو بن العاص دخل عَلَى النَّجاشيّ وهو إذا ذاك مُشرِكٌ فَقَالَ النَّجاشِيُ "نَخِّروا"، قَالَ عمير بن إسحاق: يريد تَكَلَّموا.

وهذه اللفظةُ إنْ كانت من كلام العرب فإني أَحسِبُها من النَّخير، ويُروى: نَجِّروا، بالجيم أيضًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ فَإِذَا الْبَيْتُ مُظَلَّمٌ مُزَوَّقٌ، فَقَامَ بِالْبَابِ ثم انصرَفَ ولم يدخل"[١].

قوله: مُظَلَّم، معناهُ مُمَوَّه مُزَوَّق، مأْخوذ من الظَّلْم، وهو مُوهَةُ الذَّهب والفِضَّة، ويقال للماء الَّذِي يَجرِي عَلَى الثَّغْر: ظَلْم، قال الشاعر[٢]:

تجلُو عَوارضَ ذِي ظَلْمٍ إذا ابتَسَمتْ كأَنَّه مُنهَلٌ بالرَّاح مَعْلولُ[٣]

---

[١] رواه عبدالرزاق في المصنف بلفظ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي إلى طعام، فإذا البيت مظلّم مزوّق، فقام بالباب ثم قال : "أخضر وأحمر" فعدّ ألوانًا، ثم قال: "لو كان لونًا واحدًا"، ثم انصرف ولم يدخل.

[٢] هو كعب بن مالك.

[٣] في ديوانه من قصيدته الشهيرة: (بانت سعاد).

وقال بِشْرُ بن أبي خَازِم[١]:

لَيالِيَ تَسْتَبيكَ بذي غُروبٍ يُشَبَّه ظَلْمُهُ خَضِلَ الأقاحي[٢]

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْد قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيْنَ تَنْزِلُ غَدًا؟ - فِي حَجَّتِهِ - فَقَالَ: "هَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلًا"، ثُمَّ قَالَ: "نَحْنُ نَازِلُونَ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ قَاسَمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْكُفْرِ"[٣]. يَعْنِي الْمُحَصَّبَ[٤].

الخَيْف: ما انحدر عن الجبل وارتفع عن الْمَسِيل، وبه سُمِّي مَسْجدُ الخَيْف.

وقوله: "هل ترك لنا عَقِيلٌ مِن دارٍ" فإنما قَالَ ذَلِكَ لأنّه قد كان باع دُورَ عَبْدِ المطلب، وذلك لأنه وَرِث أبا طالب ولم يَرِثْه عليٌّ لتقدُّم إسلامِه موتَ أبيه، فلما ورثَه عَقِيلٌ باعها، ولم يكن لرسول الله فيها مَورِث لأن أباه عَبْد الله هَلَك وأبوه عَبْد المطلب حَيٌّ، وهلك أكثرُ أولادِه ولم يُعْقِبوا، فحاز رِباعَه أبو طالب،

---

[١] سبقت ترجمته قبل قليل.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تَغَيَّرَتِ المنازِلُ مِن سُلَيمى بِرامَةَ فَالكَثيبِ إلى بُطاحِ).

[٣] رواه البخاري ومسلم.

[٤] المحَصَّبُ: بيْن مكَّةَ ومِنًى. وهو مُبتدَأُ بَطحاءِ مَكَّةَ، وهو مَوجودٌ الآنَ في أوائلِ مكَّةَ في ما يُسمَّى قصْرَ السَّقافِ.

وحازها بعد موته عَقِيل. وقد كان كُفّارُ قُريش يَعمِدون إلى مَنْ هاجر من المسلمين ولَحِق بالمدينة منهم فيَبِيعون دَارَه وعَقارَه.

قَالَ الواقدي: هاجرتْ بنو جَحْش حتى لم يَبْقَ منهم بمكةَ أحدٌ، فصارت دارُهم خَلاءً تَخْفِق أَبوابُها، فَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ الْجَحْشِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمَّتِهِ قَالَتْ: لَمَّا هَاجَرْنَا عَمَدَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ إِلَى دَارِنَا فَبَاعَهَا مِنْ عمرو بن علقمة بأربعمائة مِثْقَالٍ، عَجَّلَ لَهُ مِائَةَ مِثْقَالٍ وَنَجَّمَ[1] عَلَيْهِ سَائِرَهَا فِي ثَلاثِ سِنِينَ، فَلَمَّا بَلَغَ أَبَا أَحْمَدَ عَبْدَ بْنَ جَحْشٍ مَشَى وَبَنُو جَحْشٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَذَكَرُوا لَهُ صَنِيعَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يُعْطِيَكُمُ اللَّهُ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا دَارًا فِي الْجَنَّةِ"؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا، وَاللَّهِ لا نُقِيلُ وَلا نَسْتَقِيلُ، فَمَا ذَكَرُوهَا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. وقال الزُّهري: فَقَالَ أبو أحمد لأَبي سفيان بن حرب:

دارَ ابنِ عَمّك بعْتَها تَقْضِي بها عنكَ الغَرَامَهْ
إذْهَبْ بها إذْهَبْ بها طُوِّقْتَها طوقَ الحَمامَهْ

وفي الحديث من الفِقْه: جَوازُ بَيْع دُورِ مكة، وكانت مُقاسَمَة قريش عَلَى الكفر أنهم قَالُوا: لا نُناكِحُ بَني هاشم ولا نبايِعهم؛ مُعاداةً لهم في رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

[1] نَجَّمَ الدَّيْنَ : أَدَّاهُ أَقْسَاطاً، نُجُوماً.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الاخْتِصَارُ فِي الصَّلاةِ رَاحَةُ أَهْلِ النَّارِ"[١].

الاختِصار: وَضْع اليدِ عَلَى الخَاصِرة، والمعنى أَنَّه فِعْلُ اليهود في صلاتهم وهم أَهلُ النار، ليس عَلَى أَنَّ لأَهْل النّار الذين هم أَهلُها خالدِين فيها راحةً؛ قَالَ الله تعالى: {لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}، فأما قولُه تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ}، فمعناه إلا ما شَاءَ رَبُّك من زِيادة التَّأْبِيد بعد زَوالِهما، والله أعلم.

عَنْ زِيَادِ بْنِ صُبَيْحٍ الْحَنَفِيِّ قَالَ: صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى خَاصِرَتِي، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: هَذَا الصَّلْبُ فِي الصَّلاةِ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنْهُ.

وقد يُفَسَّر الاخْتِصَار في الصّلاة تَفسِيرًا آخر وهو أن يأخُذَ بيده عصًا يتكئ عليها.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أُصَيْلًا الْغِفَارِيَّ[٢] قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ فَقَالَ: "يَا أُصَيْلُ! كَيْفَ عَهِدْتَ مَكَّةَ"؟ فَقَالَ: عَهِدْتُهَا وَاللَّهِ قَدْ أَخْصَبَ

---

[١] رواه ابن خزيمة (٩٠٩)، وابن حبان (٢٢٨٦)، وفي إسناده مقال.

[٢] أصيل بن عبد الله الهذلي.

جِنَابُهَا وَأَعْذَقَ إِذْخِرُهَا وَأَسْلَبَ ثُمَامُهَا وَأَمَشَّ سَلَمُهَا، فَقَالَ: "حَسْبُكَ يَا أُصَيْلُ"[١].

قوله: أَعذَق إذخِرُها، أي صارت له أَفْنان كالعُذوق، يقال: أَعْذَقَتِ النخلة، إذا كثر أعذاقُها، وهي جمع عِذْق، وأَعْذَقَ الرجلُ: إذا كَثُر عُذوقُه، أي نَخْله، وهي جمع عَذْق.

وأَسْلبَ ثُمامُها: أي أَخْوَص، والسَّلَبُ: خُوصُ الثُّمامِ.

وقوله: أَمشَّ سَلَمُها، هكذا قَالَ الخزاعي، قال: يُرِيدُ أَنَّه قد أَخرج مُشَاشَه، وهو ما يخرج في أطرافه ناعمًا رَخْصًا كالْمُشاش، وهو غَلَط، وإنما هُوَ أَمْشَر سَلَمُها، أي أورقَ واخْضَرَّ؛ روى أبو عُبَيْد عن أبي زياد والأَحْمَر قالا: أَمشَر الشَّجرُ وأمشرتِ الأَرضُ، إذا خرج نَبتُها، ويقال: ما أحسنَ مَشرتَها، وقد رُوي هذا في حَدِيث آخَر يَرْوِيهِ الْوَاقِدِيُّ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ الْحُدَيْبِيَةَ أَهْدَى لَهُ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ وَبُسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْخُزَاعِيَّانِ غَنَمًا وَجَزُورًا مَعَ غُلامٍ مِنْهُمْ، فَأَجْلَسَهُ رسولُ الله وَهُوَ فِي بُرْدَةٍ لَهُ فَلْتَةٍ، فَقَالَ: "يَا غُلامُ كَيْفَ تَرَكْتَ الْبِلادَ"؟ فَقَالَ تَرَكْتُهَا قَدْ تَيَسَّرَتْ

---

[١] رواه الأزرقي في (أخبار مكة.٢/١٥٥)، وابن أبي الدنيا في (البرق والرعد:٨٠) وإسناده فيه مقال.

وَقَدْ أَمْشَرَ عِضَاهُهَا وَأَعْذَقَ إِذْخَرُهَا وَأَسْلَمَ ثُمَامُهَا وَأَبْقَلَ حَمْضُهَا، فَشَبِعَتْ شَاتُهَا إِلَى اللَّيْلِ وَشَبِعَ بَعِيرُهَا إِلَى اللَّيْلِ مِمَّا جَمَعَ مِنْ خَوْصٍ وَضَمْدٍ وَبَقْلٍ.

قَالَ الخَطّابيّ: البُرْدَةُ الفَلْتَةُ: هِيَ الضَّيِّقَةُ الَّتِي لا ينضم طرفاها لِصِغَرِهَا، تُفْلِتُ مِنَ الْيَدِ، يُقَالُ: بُرْدَةٌ فَلْتَةٌ وَفَلُوتٌ.

وَقَوْلُهُ: تَيَسَّرتْ: مَعْنَاهُ أَخْصَبَتْ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْيُسْرِ، وَقَدْ تَيَسَّرَ الرَّجُلُ، إِذَا حَسُنَتْ حَالُهُ، وَيَسَّرَ غَنَمُهُ، إِذَا كَثُرتْ أَلبانها، قَالَ الشَّاعِرُ[١]:

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمَانِ وَإِنَّمَا يَسُودَانِنَا أَنْ يَسَّرَتْ غَنَمَاهُمَا[٢]

والحَمْض مِنَ النّباتِ: مَا فِيهِ مُلُوحَةٌ، وَيُقَالُ: أَبْقَلَ الْمَكَانُ، فَهُوَ بَاقِلٌ، وَلَمْ يَقُولُوا مُبْقِلٌ، وَمِثْلُهُ أَوْرَسَ الشَّجَرُ، فَهُوَ وَارِسٌ.

والضَّمْدُ: رَطبُ الشجر ويابسُه، قال يعقوب[٣]: يقال: شبعتِ الإبلُ من ضَمْد الأرض، وهو رَطْب النبْت وَيَابِسُهُ، قَدِيمُهُ وَحَدِيثُهُ، وَيُقَالُ قَد أُضْمِدَ الْعَرْفَجُ، إِذَا تَجَوَّفَتْهُ الْخُوصَةُ وَلَمْ تَنْدُرْ مِنْهُ، أَيْ كَانَتْ فِي جَوْفِهِ.

---

[١] البيت لأبي أسيدة الدبيري. وقبله: وإِنَّ لَنَا شَيْخَيْنِ لَا يَنْفَعَانِنَا ... غَنِيَّيْنِ لَا يجدي علينا غناهما

[٢] المعنى: لنا في قومنا شيخان غنيان، قد طعنا في السن، لا يعود علينا من غناهما شيء، مع ذلك، فهما يظنان أنهما سيدانا وصاحبا الأمر والنهي فينا.

[٣] ابن السِّكِّيت.

وَالسَّلَمُ: شَجَرٌ مِنَ الْعِضَاهِ يُدْبَغُ بِوَرَقِهِ الأَدِيمُ، يُقَالُ أَدِيمٌ مَسْلُومٌ، إِذَا دُبِغَ بِالسَّلَمِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ هَكَذَا" وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[١].

وهذا يُفَسر عَلَى وجهين:

أحدُهما - وهو قولُ قتادة - أنه أراد الوُسطَى عَلَى السَّبَّابة، يقول: سبَقْتُ السّاعةَ بقدر ما بينهما من الفضل: والمعنى تَقْريب مُدَّة مَجِيء الساعة.

والوجه الآخر أن يكون أَرادَ انْقِطاع النُّبُوة بعدَه وأَلا نَبِيَّ بينَه وبين السَّاعة كما لا حائل بين الوُسْطَى والسَّبَّابة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَتَبَ لِوَائِلِ بْنِ حُجْرٍ[٢]: مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الأَقْيَالِ الْعَبَاهِلَةِ وَالأَرْوَاعِ الْمَشَابِيبِ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتٍ، بِإِقَامِ الصَّلاةِ الْمَفْرُوضَةِ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ الْمَعْلُومَةِ عِنْدَ مَحِلِّهَا، فِي التِّيعَةِ شَاةٌ لا مُقَوَّرَةُ الأَلْيَاطِ وَلا ضِنَاكٌ، وَأَنْطُوا الثَّبَجَةَ، وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسُ، وَمَنْ زَنَى مِمْ بِكْرٍ فَاصْقَعُوهُ مِائَةً وَاسْتَوْفِضُوهُ عَامًا، وَمَنْ زَنَى مِمْ ثَيِّبٍ فَضَرِّجُوهُ بِالأَضَامِيمِ، وَلا

---

[١] رواه البخاري.

[٢] الصحابي الجليل، سبقت ترجمته ووفود على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتابه له ولقومه.

تَوْصِيمَ فِي الدِّينِ، وَلا غُمَّةَ فِي فَرَائِضِ اللَّهِ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَوَائِلُ بْنُ حُجْرٍ يَتَرَقَّلُ عَلَى الأَقْيَالِ، أَمِيرٌ أَمَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَاسْمَعُوا وأطيعوا.

حَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ كتابًا فِي أَدَمٍ ذَكَرَ أَنَّهُ كِتَابٌ كَتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ لِجَدِّهِ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ إِمْلاءً عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ: قَلَّدَنِي أَبِي هَذَا الْكِتَابَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَقَالَ: يَا بُنَيَّ تَوَاصَيْنَا بِهَذَا الْكِتَابِ كُبْرًا عَنْ كُبْرٍ حَتَّى صَارَ إِلَيَّ.

الأَرْواع: جمع الرَّائع، مِثل: شَاهِد وأَشْهاد، ونَاصِر وأَنْصار، يُرِيد ذَوِي المناظر والهَيئات منهم، وهم الرؤساء والعظماء الذين يَرُوعُون بِجمَالهم وبَهَائِهم، يقال: جَمالٌ رائِع، وأصلُه من قولك: راعَني رَوْعًا، أي أفزعَني، وهو أن يُفرِط حتى يَرُوعَ، قَالَ اللهُ تعالى: {يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ}.

والْمَشَابِيب: واحدُهم مَشْبوبٌ، وهو الزَّاهر المتوقدُ اللون، من قولك: شببتُ النَّارَ، إذا أَوقَدْتَها، قَالَ العَجَّاج[1]:

ومن قُرَيشٍ كلَّ مَشْبوبٍ أغَرّْ حُلوِ الْمُساهَاةِ وإنْ عَادَى أَمَرّْ

[1] في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (قَد جَبَرَ الدِّينَ الإِلَهُ فَجَبَرْ وَعَوَّرَ الرَحمَنُ مَن وَلّى العَوَرْ).

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: جَعَلْتُ عَلَيَّ صَبِرًا[١] حِينَ تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُ يَشُبُّ الْوَجْهَ فَلا تَجْعَلِيهِ إلا بالليل وتنزعيه بالنهار"[٢]. يُرِيدُ أَنَّهُ يُوَقِّدُهُ وَيُلَوِّنُهُ.

وَرَوَى قَتَادَةُ عَنْ مُطَرِّفٍ: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ائْتَزَرَ بِبُرْدَةٍ سَوْدَاءَ فَجَعَلَ سَوَادُهَا يَشُبُّ بَيَاضَهُ وَجَعَلَ بَيَاضُهُ يَشُبُّ سَوَادَهَا"[٣]، أَيْ يَزْهَاهُ وَيَحْلُوهُ.

والتِّيعَةُ: الأربعون مِن الغَنَم، وقد فَسَّره أبو عُبَيْد.

---

[١] الصبر: دواء يوضع على الجلد.

[٢] رواه أبو داود ، والنسائي، وتمامه: دخل علي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين توفي أبو سلمة وقد جعلت عليَّ صبرا. قال : "ما هذا يا أم سلمة؟): قلت: إنما هو صبر ليس فيه طيب. فقال: "إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل، وتنزعيه بالنهار، ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء فإنه خضاب" . قلت : بأي شيء أمتشط؟ يا رسول الله! قال: "بالسدر تغلفين به رأسك". والمعنى: ما هذا؟ أي : التلطخ وأنت في العدة فقالت إنما هو صبر ليس فيه طيب. الحديث.

[٣] رواه النسائي في السنن، لبس البرود: ٩٥٨٣.

والْمُقَوَّرَة الأَلْياط: الهَزِيلُ الْمُسترخِي جلدُها، والاقْورار في الجِلْدِ: الاسترخاء، واللِّيطُ: القِشْر اللَّازِق بالشَّجَر والقصب ونحوهما، والقِطعة لِيطَة، قَالَ ذُو الرُّمَّة[١]:

بِمَجْلُوزَةِ الأَفْخاذِ بعد اقورارِها مُؤَلَّلَةِ الآذانِ عُفْرٍ نزائعِ[٢]

وقال بِشر بن أبي خازم يصف فرسًا[٣]:

يُضَمَّرُ بالأَصائِل فهو نَهْدٌ أَقَبُّ مُقَلِّصٌ فيه اقورَارُ

أي ضُمورٌ.

والضِّنَاكُ: الكثير اللّحم، وأنشد الفَرَّاء[٤]:

لَعمرِي لَأعرابِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ تَظَلُّ بِسِجْفَي بَيْتها الرِّيحُ تَخْفِقُ

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (خليليَّ عوجا عوجة ناقتيكما ... على طلل بين القلات وشارِعِ).

[٢] مجاوزة: ناقة شديدة طي الأفخاذ. والاقورار: الضمر. يقول: لم يمنعها الاقورار أن تكون مكتنزة الأفخاذ. وعفر: بيض تضرب إلى الحمرة. ونزائع: غرائب. ومؤللة: محددة الأطراف.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلا بانَ الخَليطُ وَلَم يُزاروا وَقَلبُكَ في الظَعائِنِ مُستَعارُ).

[٤] البيت للفرزدق يكايد زوجته النوار عندما تزوج عليها حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني، وخاصمته النّوار، فقال يغيظها ويفضل حدراء عليها، وهما مطلع القصيدة، وبعدهما: (كَبِطّيخَةِ الزَرّاعِ يُعجِبُ لَونُها صَحيحاً وَيَبدو داؤُها حينَ تُفلَقُ).

أحبُّ إلينا من ضِنَاكٍ ضِفِنَّةٍ إذا فَتَرتْ عنها الْمَراوِحُ تعرَقُ[١]

ويقال: ضُنْأَك، عَلَى وزن فُعْلَلٍ، يقال: رجل ضُنْأك وامرأة ضُنْأَكَةٌ.

وقوله: أَنْطُوا الثَّبَجَةَ، يريد أَعْطُوا الوَسَط في الصَّدَقَة، لا من خِيار المال ولا من رُذالَتِه، وثَبَجُ كل شيء: وسطُه.

وقوله: مَنْ زَنَى مِمْ بكر، يريد مِنْ بِكْر، وقد تتعاقب الميمُ والنّون كقولهم: حُلانٌ وحُلامٌ، وذامٌ وذان.

وقوله: فاصْقَعوه، فاضْرِبوه، وأصل الصَّقْع الضَّربُ عَلَى الرَّأسِ.

وقوله: استَوفِضُوه عامًا، يريد النَّفْيَ والتَّغريبَ، وأصلُه في الإبل إذا نَفَرتْ يقال: استوفَضَتِ الإبلُ، إذا تفرَّقَت من ذُعْرٍ، ومنه قيل للأخلاط من الناس: الأوفاض، وفي الحديث: "أَنَّه أَمر بصَدَقة تُوضَعَ في الأَوْفاضِ"[٢]، وهم الفِرَقُ من الناس[٣]، قَالَ ذو الرُّمَّة يصف الثَّورَ والكِلابَ[٤]:

---

[١] الضناك: الموثق الخَلق الشديد. الضفنة: الحمقاء الكثيرة اللحم، يقول: إن أعرابية – يقصد حدراء – تخفق في بيتها الريح أحب من النوار الشديدة الخَلق الحمقاء المترهلة التي يتفصد جسمها عرقًا إذا لم تسعفها المراوح مثل البطيخة الفاسدة.

[٢] رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث.

[٣] والْأَوْفَاضُ: الْفِرَقُ مِنَ النَّاسِ وَالْأَخْلَاطُ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى كَأَصْحَابِ الصُّفَّةِ.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أأنْ ترسمتَ من خرقاءَ منزلةً ... ماءُ الصبابة من عينيك مسجومُ؟). قال الأصمعي: كان سبب تشبيب ذي الرمة بخرقاء أنه مر في بعض أسفاره، فإذا

طَاوِي الحَشَا قَصَّرَتْ عنه مُحَرَّجَةٌ مستوْفَضٌ، مِن بناتِ الأَرْضِ، مَشْهُومُ[١]

المستوفَض: النَّافرُ من الذُّعْر، والْمُحَرَّجَةُ: الكِلاب التي عليها قَلائِدُ، والحِرِجُ: قِلادة الكَلْب، والْمَشْهومُ: الحديد الفؤادِ.

وقولُه: ضَرِّجُوه بالأَضاميم، يريد الرّجْمَ بالحجارة، والتَّضْريجُ: التَّدمِيَةُ، والأَضاميمُ: جماهير الحجارة، واحدتُها إضمامَة، وسُمِّيتْ إضمامةً لأنَّ بعضَها قد ضُمَّ إلى بعضٍ، ويقال: هذا إضمامَةٌ مِن الكُتُب، كالإضبَارَةِ، ورأيتُ إضمامةً مِن الناس، أي جماعةً منهم، وكذلك هي في الدّوابِّ وغيرها، قَالَ ذو الرُّمَّة يصف الصائدَ والحُمُر[٢]:

وبات يلهَفُ مِمَّا قد أصِيبَ به والحُقبُ يَرفَضُّ منهنَّ الأَضَامِيمُ

خرقاءُ خارجةٌ من خباءٍ فنظر إليها فوقعت في قلبه، فخرق إداوته، ودنا منها يستطعم، يريد بذلك كلامها. فقال: إني رجلٌ على ظهر سفر، وقد تخرقت إداوتي فأصلحيها. فقالت: لا والله ما أحسن العمل، وإني لخرقاء. و"الخرقاء": التي لا تحسن العمل لكرامتها على أهلها.

[١] يعني: أن الثور ضامر الحشا لم تلحقه الكلاب.

[٢] في ديوانه من قصيدته المشار إليها في الهامش السابق. فبات يلهف، يعني: الصائد حين أخطأ. ترفض: تتفرق، ولأضاميم: الجماعات من الحُمُر، واحدها: "إضمامة". يقول: كن جماعةً فتفرقن مما أفزعها الرامي.

وقَولهُ: لا تَوْصِيم في الدِّين، أي لا هَوادَةَ فيه، وأَصلُه الفُتورُ والكَسَل، وهو معنى قولِه: {وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}، قَالَ لَبِيدٌ[١]:

وإِذَا رُمْتَ رحيلًا فارتَحِلْ واعْصِ ما يأمرُ تَوصِيمُ الكَسَلْ[٢]

وقوله: يترفَّل، معناه يَتَأَمَّر ويترأس، وقد فَسَّرْناه فيما مضى من الكتاب.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ"[٣].

إسباغُ الوضوء عَلَى الْمَكَاره فيه وَجْهان:

أحدهُما أن يكون ذَلِكَ في البَرْد الشَّديد، والعِلَّة تُصِيب الإنسانَ فيتأذى بِمَسِّ الْمَاءِ ويتضرَّر به.

---

[١] لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، وسكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إنَّ تَقوى رَبّنا خَيرُ نَفَلْ وَبِإِذنِ اللهِ رَيثي وَعَجَلْ).

[٣] رواه مسلم.

والوَجه الآخر أن يُرادَ به إعوازُ الماء وضِيقُه حتى لا يُقدَر عليه إلا بالغالي من الثمن.

وأما قولُهُ: فذلكُم الرِّباط، فإنهُ يُتَأَوّلُ عَلَى وَجْهَين:

أحدهما أن يكون ذَلِكَ مَصْدرًا من قولك: رابطتُ، إذا لازمتَ الثّغَرَ وأقمتَ به رباطًا، جعل المواظبةَ عَلَى الصلاة والمحافَظَةَ عَلَى أوقاتها كرباط المجاهد، وهو تأويل قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا} ومعناه – والله أعلم – اصبروا عَلَى دينكم وصابروا عَدُوَّكم، ورابِطُوا، أيْ أقيموا عَلَى جهادكم.

والوجه الآخر أن يُجعلَ الرِّباطُ اسمًا لما يُربطُ به الشيءُ، كالعِقَالِ لما يُعقَّل به والعِصَام لما يُعْصَم به، يريد أَنَّ هذه الخِلالَ تَربِط صاحِبَها عن المعَاصي وتكُفُّه عن الْمَحارِمِ.

وفيه وجه ثالث وهو أن يكون الرباط جمع الرُّبْط، والعرب تسمي الخيلَ إذا رُبطتْ بالأفنية وعُلِّقَت: رُبْطًا، واحدُها رَبِيطٌ، وتجمع الرُّبْط رِباطًا، وهو جمع الجمع، يُريد أَنَّ مَنْ فعل ذَلِكَ كان كَمنْ رَبَط الخَيلَ إرصادًا للجهاد.

وكرّر القولَ بها ثلاثًا ليُقابِلَ بها الخِصالَ الثلاثَ المذكورة قبلها.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الصَّخْرَةُ أَوِ الشَّجَرَةُ أَوِ الْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ"[١].

الصَّخْرَةُ: صَخْرَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْعَجْوَةُ النَّخْلَةُ، وَالشَّجَرَةُ يُرْوَى عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أنه قال: هي الكَرْم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ} قَالَ: "كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فَإِذَا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ سَقَطَتْ قَرْقَرَةُ وَجْهِهِ فِيهِ"[٢].

قَرْقَرَةُ وَجْهَه: جِلْدةُ الوجه، والأصل فيها قَرْقَرُ المرأة، وهو ثَوبٌ لها، والْمُعرِبُون يقولون: قَرْقَلٌ، باللَّام، والجِلْدَةُ للوَجْه كاللِّباسِ له، وقال بَعضُهم إنما هي رَقْرَقَةُ وَجْهِه، يريد ما يَتَرقْرَق من محاسِنِ وَجْهِه.

ويقال: امرأة رَقْراقَةٌ، وهي التي كأنَّ الماء يَجرِي في وَجْهِها، والرَّقرقَانُ: السَّرابُ، قَالَ العَجَّاج[٣]:

ونَسَجتْ لوامعُ الحَرورِ من رقْرقَانِ آلِها الْمَسْجُورِ

سَبَائِبًا كَسَرَقِ الحَرِيرِ

---

[١] قوله (الْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد، وصحح الألباني إسناده.

[٢] رواه الترمذي وضعف الألباني إسناده.

[٣] في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (جارِيَ لا تَستَنكِرِي عَذيري سَعيي وَإِشفاقي عَلى بَعيري).

وقال السُّدِّيُّ[١] في تفسير هذه الآية: أَنّه إذا قَرّبَه سقطتْ فيه مكارِمُ وجهه، يريد حِلْيَةَ وجهه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ ذَكَرَ الْفِتَنَ، حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فِتْنَةُ الأَحْلاسِ؟ قَالَ: "هِيَ هَرَبٌ وَحَرَبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي، إِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلا لَطَمَتْهُ"[٢].

قوله: فِتنَةُ الأَحْلاس، إنما شبهَّها بالحِلْس؛ لظُلمتها والتباسها، أو لأَنها تركُدُ وتَدُوم فلا تقلع، يقال: فلانٌ حِلْسُ بَيْتِه، إذا كان يلازِم قَعْرَ بيته لا يَبْرحُ، وهم أَحلاسُ الخَيل، إذا كانوا يلزمون ظُهورَها ويتعهدونها بالرُّكوب.

وقوله: دَخَنُها مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهلِ بيتي، فإنَّ الدَّخَنَ الدُّخَان، يريد أنه سَبَبُ إثارتِها وهَيْجِها.

وأما قوله: كَوركٍ عَلَى ضِلَع، فإنه مَثَل، يريد - والله أعلم - أَنّهم يجتمعون عَلَى رجل غَيرِ خليق للمُلكِ ولا مُسْتَقِلٍّ به، وذلك لأنَّ الوَرِكَ لا يَستقر عَلَى

---

[١] إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، أبو محمد القرشي الكوفي الأعور، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة: تابعي مُحدث ومُفسّر صدوق، له تفسير يُسمى «تفسير السدي». توفي في عام ١٢٧ هـ.

[٢] أخرجه أبو داود وأحمد، وصحح الألباني إسناده.

الضَّلَع ولا يُلائِمها، وإنما يقال - في بَابُ الْمُشاكلة والملاءَمَةِ - هُوَ كَرأْسٍ في جَسَدٍ أو كفٍّ في ذراع، أو نحوهما من الكَلام.

والدُّهَيْماء: تصغير الدّهماء، وأَحسِبُه صَغَّرها عَلَى طريق الْمَذَمّةِ لها.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ مَالِكًا الْجُشَمِيَّ[1] قَالَ: أَتَيْتُهُ فَقَالَ لِي: "أَرَبُّ إِبِلٍ أَنْتَ أَوْ رَبُّ غَنَمٍ"؟ فَقُلْتُ: مِنْ كُلٍّ قَدْ آتاني اللهُ فأكثَرَ وأيطَبَ، فَقَالَ: "أَلَسْتَ تَنْتِجُهَا وَافِيَةً أَعْيُنُهَا وَآذَانُهَا فَتَجْدَعُ هَذِهِ وَتَقُولُ: صَرْبَى، وَتَهُنُّ هَذِهِ وَتَقُولُ: بَحِيرَةٌ"[2].

قوله: صَرْبَى، فَسَّره ابنُ قُتَيْبة في كتابه[3].

وقوله: تَهُنُّ هذه، معناه تُصِيب هَنَ هذه، أي الشيءَ منها، كالأُذُن والعَيْن ونحوهما، وهَنٌ: كِنايةٌ عن الشيء لا تذكرُه باسمه، تقول: أتاني هَنٌ، وهَنَةٌ للأُنْثى، وهَنَنْتُه أهُنُّه، إذا أصبتَ منه هَنًا، أي موضِعًا، كما تقول: بَطَنْتُه، إذا أصبتَ بَطْنَه، ورأستُه، إذا أصبتَ رأسَه.

---

[1] مالِكُ بنُ نَضلةَ الجُشَميُّ رضي الله عنه.

[2] أخرجه النسائي وابن ماجه وأحمد، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط.

[3] في غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٢٧: وصربي، وهو من قولك: صربت اللبن في الضرع، إذا أنت جمعته فيه ولم تحلبه... وإنما قيل للبحيرة صربى؛ لأنهم كانوا لا يحلبون إلا لضيف، فيجتمع اللبن في ضرعها.

ورواه عَبْد الجبار بن الْعَلاء عن سُفيان فَقَالَ فيه: فتجدَع هَنَ هذه، وتقول صَرِبى، وتَشُقُّ هَنَ هذِه وتقول بَجِيرة، وكان مَذهَبَ القَوم فيما يتعاطَوْنه منها شُكرُ الله والتَّقَرّبُ إليه، قال الشاعر يذكر صَنِيعَهم:

فكان شُكرُ القَومِ عند الْمِنَنِ كَيَّ الصَّحيحاتِ وفَقْءَ الأَعْيُنِ[١]

وكان الرجلُ منهم إذا بلغتْ إبُله ألفًا فَقأ عَينَ الفَحل، فإذا زادت على ألف عَمَّوْه بالعين الأخرى، ويسمُّونه الْمُفَقَّأَ والْمُعَمَّى، وكيُّ الصّحيحات أنْ تَجْرَبَ الإبلُ فيأخذون الصحيحَ فيكوُونَه، قَالَ النابغة[٢]:

لَحَمَّلْتَنِي ذَنْبَ امرئ وتَرَكتَهُ كَذِي العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهْو راتِعُ

– فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ خَطَبَ للاسْتِسْقَاءِ، فَحَوَّلَ رِدَاءَهُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سحابةً فأمطرتْ، فلما رأى لَثَقَ الثِّيَابِ عَلَى النَّاسِ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ"[٣].

اللَّثَق: الوَحْل، يقال لَثِقَتْ رِجْلي، ولَثِقَ الطّائرُ بالمطَر، إذا ابتلَّ ريشُه.

---

[١] كانوا يكوون الصحيح لئلا يتعلق به الداء

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (عَفا ذو حسًى مِن فَرتَنى فَالفَوارِعُ فَجَنبا أَريكٍ فَالتِلاعُ الدَوافِعُ). والعرّ: الجَرَب، داءٌ يأخذ الإبل في مشافرها وقوائمها، تزعم العرب أنهم إذا كووا الصحيح برئ السقيم.

[٣] رواه ابن حبان في صحيحه، باب ذِكْرُ مَا يَدْعُو الْمَرْءُ بِهِ عِنْدَ وُجُودِ الْجَدْبِ بِالْمُسْلِمِينَ.

ومِن هذا الحديثُ الَّذِي يُروَى في مقتَل عثمانَ: "أَنَّ أصحابَ رَسُول الله بالشام لَمَّا بلغَهم ذَلِكَ بكَوْا حتى تَلَثَّقَ لِحاهُم" أي: اخْضَلَّتْ لِحاهم بالدُّموع.

وأخبرني أبو عمر أنا أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ عَنْ ابن الأعرابي قَالَ: العربُ تقول: يَدِي مِنَ الوَحَل لَثِقَة، ومِن اللحم غَمِرَة، ومِن السَّمَكِ صَمِرةٌ، ومِن اللبنِ والزُّبْدِ شَتِرَة، ومِن العَجِينِ وَرِخَة، ومِن الدَّمِ سَطِلَة - وسَلِطَة — ومِن الثَّرِيدِ مَرِدَة، ومِن الْحَمْأَةِ ذَوِطَة، ومِن الأُشْنانِ قَضِضَة، ومِن الْمِدَادِ وَحِرَة، ومِن الماءِ بَلِلَة، ومِن البَزْرِ والنِّفْطِ نَمِسَة — ونَسِمَة - ومِن الزَّعْفرانِ رَدِعَة، ومن العِطْرِ عَبِقَة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ؛ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ"[1].

العُبِّيَّةُ: الكِبْر والنَّخوة، يريد بهذا القول ما كان عليه أَهلُ الجاهلية من التَّفاخر بالأَنساب والتَّباهِي بها. وفيها لغة أخرى وهي العِبِّيَّةُ، بالكَسْرِ، وأَصله مهموز من العِبْءِ، وهو الحِمْلُ الثَّقيل، ولكن الهَمزة قَد تُركت فيه كالبَرِيّةِ والذُّرِّيّة، قَالَ الشَّنْفَرى[2]:

خَلَّفَ العِبْءَ عليَّ وَوَلَّى أنا بالعِبْء له مُسْتَقِلُّ

---

[1] رواه الترمذي، وحسن الألباني إسناده.

[2] في ديوانه من القصيدة التي مطلعها: (إنَّ بالشِّعْبِ الذي دُونَ سَلْعٍ لَقتِيلًا دَمُهُ مَا يُطَلُّ).

ويقال: ألقى فلانٌ عليَّ عِبْأَه، أي ثِقَلَه، ومِثلُه أَلقَى عليه عَبالَّتَه، عن التَّوَّزيّ قَالَ: قَالَ لي أبو زيد: أنت أَحق مَنْ أَلقينَا عليه عَبالَّتَنا.

وقولُه: مؤمِنٌ تَقِيٌ وفاجِرٌ شَقِيّ، يقول إن الناسَ رَجُلانِ: مؤمن تَقِيٌّ، فهو الكَرِيمُ وإن لم يكن شَرِيفًا في قومِه، وفاجِرٌ شَقِيٌّ، فهو اللَّئِيمُ وإن كان رفيعًا في أهله.

وهذا كحديثه الآخر: "الكرمُ التقوى"[١].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: لَمَّا خَطَبْتُ فَاطِمَةَ قال النبيُّ: "عِنْدَكَ شَيْءٌ"؟ قُلْتُ لا، قَالَ: "فَأَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطَمِيَّةُ الَّتِي أَعْطَيْتُكَ"؟ قُلْتُ: هَا هِيَ ذِهْ، قَالَ: "أَعْطِهَا"[٢]، وَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَعَلَيْنَا قَطِيفَةٌ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ تَحَشْحَشْنَا، فَقَالَ: "مَكَانَكُمَا"، وَفِي الْخَبَرِ: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنِّي؟ قَالَ: "هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ"[٣].

---

[١] أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد، وصحح الألباني إسناده، وتمامه: (الحسبُ المالُ، والكَرمُ التَّقوى).

[٢] أخرجه أبو داود والنسائي، وصحح الألباني إسناده.

[٣] رواه الشوكاني في در السحابة في مناقب القرابة والصحابة، بإسناد فيه ضعف.

الدِّرعُ الحُطَمِيَّةُ: هي الثقيلة العريضة، وقال بعضُهم: هي التي تحطِم السيوف، أي تكسِرها، وقيل: منسوب إلى حُطمَةَ بن محارب، بَطْن من عَبْد القيس كانوا يعملون الدروع، نُسِبَتْ إليهم كما نُسِبَتِ التُّبَّعِيَّة إلى تُبَّع، قَالَ الهُذَلِيُّ[1]:

وعليهما مَسْرُودَتان قَضَاهما داوُدُ أو صَنَعُ السوابغِ تبَّعُ

قَالَ ابنُ الكلبيّ: إنما سُمِّيتِ الأَسِنَّةُ يَزَنِيَّةً لأن أوَّل مَنْ عُمِلتْ له ذو يَزَن، وهو مَلِكٌ مِن مُلوكِ حِمْير، وقيل للسِّياط: الأَصْبَحِيَّة؛ لأنَّ أولَ مَنِ اتّخذها ذو أَصْبَح مَلِكٌ من حِمْيَر.

وأخبرنا التَّمّار غُلامُ ابن الأنباري عنه عن أبي العباس ثعلب قَالَ: حُبِس رجلٌ فكَتَبَ إلى أبيه:

إذا ذبّالةُ الْمِصباحِ لاحَتْ فإنَّ الأَصْبَحِيَّةَ لا تُخافُ

فَدُونَكَ روِّها عنيّ سَلِيطًا لتقعدَ عنِّيَ السُّمْرُ العِجَافُ

قَالَ: فَرشَا عنه فَخَلَّى سَبِيلَه.

قَالَ أبو عُبَيْدَةَ: إنما قيل لملوك حِمْير التَّبابع؛ لأن بعضَهم يتبع بعضًا؛ ولذلك سُمِّي الظِّلُّ تُبَّعًا؛ قَالَ الشاعر:

---

[1] أبو ذؤيب، في ديوانه في شعر الهذليين، من قصيدته الشهيرة: (أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ؟ والدهرُ ليسَ بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ).

يَتْبَع رَوْقَيْه كفِعْلِ التُّبَّعِ

وأنشد الأصمعي[١]:

يَرِدُ الْمِياهَ حَضِيرَةً وَنَفِيضَةً وِرْدَ القَطَاةِ إذا اسمَأَلَّ التُّبَّعُ

فالتُّبَّع الظِّلُّ.

والحَضِيرَةُ: ما بَيْن السَّبْعة الرِّجال إلى الثمانية.

والنَّفِيضَةُ: الواحد مِمَّن يَنفض الطريق.

والْمُسْمَئِلُّ: الضَّامر.

وقوله: تَحَشْحَشْنَا، يريد تَحَرَّكْنا للنّهوض، قَالَ الأصمعيّ: تَحَشْحَش القوم، إذا تحركوا، وأصله تحشَّشَ، زيدتْ فيه الحاءُ لئلا يَجْتَمِع حرفان من جِنْسٍ واحدٍ، كما قَالُوا: تَكَعْكَع، وأصلُه من كَعَّ، وكفكفْتُ فلانًا عن كذا، وأَصله كففتُه، قال النابغة[٢]:

فَكَفْكَفْتُ منِّي عَبرَةً فَردَدْتُها عَلَى النحرِ منها مستهِلٌ ودامِعُ

---

[١] هو لسعدى بنت الشمردل، الجهنية، ترثي أخاها قتلته بهز من بنى سليم بن مَنْصُور، وهو في قصيدتها التي مطلعها: (أمنَ الحوادِثِ والمنونِ أروَّعُ ... وأبيتُ ليْلي كلَّهُ لَا أهجعُ).

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (عَفا ذو حسًى مِن فَرْتَنى فَالفَوارِعُ فَجَنبا أَريكٍ فَالتِلاعُ الدَوافِعُ).

ولا يكاد يوجَد ذَلِكَ إلا في الْمُضَعَّف، وقد جاء حَرْفان شاذَّان: نَحْنَحْتُ البعيرَ، مِن أنَحْتُه، وفي بعض الأمثال: "تَعَظْعَظِي ثُمَّ عِظِي".

وقولُه: "هي أحبُّ إليَّ منك" معناه أَنها أقربُ إليَّ وأَلْوَطُ بالقلب منك، وهذا كقول أبي بكر حين قَالَ: ما عَلَى الأرض أحدٌ أحبُّ إليَّ من عُمَر، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ والولَدُ أَلْوَطُ، أي ألصَقُ بالقَلْبِ.

وقولُه: أنتَ أعزُّ عليَّ، معناه أنتَ أعْظمُ قَدْرًا وأَرفَعُ مَحَلًّا، وتَحقيقُهُ: أنتَ أشَدُّ فَقْدًا، وأَصْلُ العِزِّ الشِّدَّةُ والْمَنَعَةُ، ومنه قولُك للرَّجُل: عَزَّ عَلَيَّ ما أَصَابَكَ، أي اشتَدَّ عَلَيَّ ذَلِكَ، وأنشد أبو عَمرو الشَّيبانِيّ[1]:

أُجُدٌ إذا ضَمَرَتْ تَعَزَّزَ لَحْمُها وإذا تُشَدُّ بِنِسْعَةٍ لا تَنْبِسُ

يريد أنها إذا هُزِلَتْ صَلُبَ لحمُها ولم يَسْترخِ جلدُها.

وقال أبو كبير الهُذَلِيُّ[2] يَصِفُ العُقابَ:

---

[1] والبيت للمتلمّس الضبعي، في ديوانه من قصيدته التي يصف فيها طرحَه الصحيفة، وهي القصة المعروفة، ومطلعها: (مَن مُبلِغُ الشُعَراءِ عَن أَخَوَيهِمُ خَبَراً فَتَصدُقَهُم بِذاكَ الأَنفُسُ)، والأُجُد من النياق: القوية الموثقة الخَلق. لا تَنْبِس: أي لا تَرْغُو.

[2] واسمه عامر بن الْحُلَيسْ – أحد بني سعد بن هُذَيل، ثم أحد بني جُرَيْب.

حتى انتَهَيْتُ إلى فراشِ عَزِيزَةٍ سوداءَ رَوْثَةُ أَنْفِها كالْمِخْصَفِ[١]

سمّاها عَزيزةً لأنّها من أقوى الجوارِح وأَشَدِّها بأْسًا، ومن هذا قَولُهم: مَنْ عَزَّ بَزَّ: أي مَنْ غَلَبَ سَلَب، قَالَ الله تعالى: {وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}، ويقال: صار أعَزّ مِنّي وأَشَدُّ، يقال: عازَزْتُه فَعَزَزْتُه، قَالَ الشاعر[٢]:

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فَباتَتْ تُجاذِبُهُ وقد عَلِقَ الجناحُ[٣]

---

[١] في ديوانه في شعر الهذليين من قصيدته التي مطلعها: (أَزُهَيرُ هل عن شَيبةٍ من مَصْرِفِ ... أم لا خُلودَ لباذِلٍ متكلِّفِ). والفِراش: العُش، والرَّوْثة: طَرف الأَنف، وإنّما يريد طَرَف مِنْقارها، وهو يقصد العُقاب، والمخصف: يريد أنّ طَرف مِنْسِرِها حديد دقيقٌ كأنّه مِخْصَف، وهو الّذى تُخصَف به الأَخفافُ.

[٢] هو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة العُقيلي العامري: شاعر من عشاق العرب المشهورين. كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها، فرده أبوها وزوجها غيره، فانطلق يقول الشعر مشبباً بها. واشتهر أمره، وسار شعره، وكثرت أخباره. قتله بنو عوف ابن عقيل. وكان سبب قتل توبة أنهم كانوا يطلبونه، فأحسوه وقد قدم من سفر، ومعه عبيد الله بن توبة، وقابض مولاه، وبينه وبين الحي ليلة، فأتوه طروقاً، فهرب صاحباه وأسلماه فقتل.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (كأنَّ القلب ليلةَ قيل يُغدى بليلى العامريةِ أو يُراحُ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ تُحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكُمْ، وَلا يُضَافِرُ الدُّنْيَا إِلا الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى"[١].

قوله: لا يُضافِر الدُّنيا إلا القتيلُ، أي لا يُحِب أن يعاودَها ويلابسَها إلا القَتِيل، يقال: فلانٌ يضافر فلانًا، إذا كان يُداخلُه ويُعاشرُه، ومنه قولهم: تَضَافَر القومُ وتَضَابَرُوا، إذا تجمَّعوا وتألَّبُوا، ومن هذا ضَفْرُ المرأةِ شَعْرَها، إذا أدخلَتْ بعضَه في بَعضٍ، وقيل للعَقِيصة مِن شَعرها ضَفِيرة، وللحَبْل الْمَفْتُول من الشَّعر ضَفِير، ومنه الخَبَر: "إذا زَنَت الأَمَةُ فَبِعْها ولو بِضَفِير"[٢].

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَفَّحَ إِنْسَانًا قال: "بارك اللهُ عليكَ"[٣].

سأَلتُ عن هذا الحَرْف عامَّة مَنْ أدركتُه من أهل اللغة فلم أجد في ذَلِكَ عندهم شيئًا يُعتَمد، إلا أن أبا عُمَر[٤] قَالَ لِي: إنما هُوَ رَقَّح بالقَاف، قَالَ:

---

[١] رواه البخاري ومسلم، باختلاف يسير.

[٢] أخرجه البخاري ومسلم، وأحمد واللفظ له.

[٣] رواه أبو داود بلفظ (رفّأ) وصحح الألباني إسناده.

[٤] أبو عمر الزاهد، غلام ثعلب.

والتَّرقِيحُ إصلاح الْمَعِيشَة، ولهذا قيل للتّاجرِ: رَقَاحِيّ، وأنشد للحارث بن حِلِّزة[١]:

يَتْرُكُ ما رَقَّحَ من عَيْشِه يَعيث فيه هَمَجٌ هامِجُ[٢]

قَالَ: ومعناه أنّه كان إذا دعا للإنسان بالصَّلاح قَالَ: "بارك الله عليك".

وعن ابن الأَعرابي وسُئِل عن هذا الحرف فَقَالَ: معناه دعا له بخير.

وهذا التفسير ليس عَلَى التَّحقيق، ولكن عَلَى وجه التَّخمين والتَّقريب؛ إذ كان معقولًا أَنَّ قَولَه: "بَارَكَ الله عليك" دعاء بالخَيْر لا محالة، ولم يكن عندي في ذَلِكَ شيء هُوَ أَشَفُّ ممّا ذكره أبو عُمَر، إِلَى أَنْ وَجَدْتُ هَذَا الْحَرْفَ مِنْ رِوَايَةِ قُتَيْبَةَ عَنِ الدَّرَاوَرْدِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَّأَ الإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ قَالَ: "بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ"[٣]. فعلمتُ أن الحاء من قوله: رفَّح بدل من الهمزة في قوله: (رفَّأَ) والحاء والهاء أُختان في قُربِ الْمَخْرج، وقد يَتَعاقَبَان في مواضع كقولهم مَدَحَ وَمَده وفَرِح وفَرِه. وعن

---

[١] الحارث بن ظليم بن حلزّة اليشكري: من عظماء قبيلة بكر بن وائل، كان شديد الفخر بقومه حتى ضرب به المثل فقيل «أفخر من الحارث بن حلزة»، ومن أخباره ما كان من أمر الاحتكام إلى عمرو بن هند (في ٥٥٤ – ٥٦٩ م) لأجل حل الخلاف الذي وقع بين قبيلتي بكر وتغلب. توفي سنة ٥٨٠ م. وهو صاحب المعلقة: (آذَنَتْنا بِبَيْنِها أَسْمَاءُ ربَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الْثَّوَاءُ).

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (قُلْتُ لعَمْرٍو حِينَ أَبْصَرْتُه ... وقد حَبا مِنْ دُونِها عالِجُ).

[٣] انظر التخريج السابق.

الكسائي قَالَ: سَمِعتُهم يقولون: بَاقِلِيٌّ هَارٌّ، فقلتُ: مِن التَّهرّي؟ فقالوا: لا لكن من الحَرَارة، قَالَ: وأنشدنا[١]:

تَمَدَّهِي ما شِئْتِ أن تَمَدَّهِي فلَسْتِ منْ هَوْئي ولا ما أَشْتَهِي[٢]

وقال رؤبة[٣]:

لله دَرُّ الغَانِيات الْمُدَّهِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي

يُريد الْمُدَّح.

وكذلك الهاء والهمزة يتعاقبان أيضًا، كقولهم: هَراقَ الماءَ وأَراقَه، وهِبْرِيَةُ الرأس وإبريتُه، وإيّاك وهِيَّاك، فعلى هذا قيل: رفَّح بمعنى رَفَّأ، وهو قَوْلُ الرجل للمتزوِّج بالرِّفاء والبنين، كان الأصل فيه رفَّأ، ثُمَّ قُلِبَت الهمزة هَاءً فصار رفَّه، ثُمَّ أُبدِلَت الهاء حاءً فصار رفَّح، ويقال: أصل قولهم بالرِّفاء والبنين مأخوذ من رَفَوْتُ

---

[١] وهو لرؤبة في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (قالَتْ أُبَيْلَى لِي وَلَمْ أُسَبَّهِ ما السِنُّ إِلَّا غَفْلَةُ المِدَلَّهِ).

[٢] التمدُّه: التمدح، والهوء: الهمة.

[٣] في الأرجوزة المشار إليها في الهامش السابق.

الثوبَ أَرفُوه رَفْوًا، أي لأَمتُه وأصلحتُه، وفيه لغة أخرى: رفأتُ أَرفأُ بالهمز، وعلى هذا جاء الحديث، قَالَ الشاعر[١]:

بُدِّلتُ من جِدَّة الشَّبِيبَة والـ أبدالُ ثوبُ المشيبِ أردؤها

مُلاءةً غيرَ جِدِّ واسعةٍ أَخيطُها تارةً وأرفَؤُها

قَالَ أبو زيد في كتاب الهمز: يقال: رفأتُ الثوبَ أرفأه، ورفّأت الْمُمَلَّك ترفِئَةً وترفيئًا، إذا دعوتَ له.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ دَخَلَ إِلَى خَدِيجَةَ يَخْطُبُهَا، ودخلتْ عليها مُسْتَنْشِئَةٌ مِنْ مُوَلَّدَاتِ قُرَيْشٍ، فَقَالَت: أَمُحَمَّدٌ هَذَا؟ وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ إِنْ جَاءَ لَخَاطِبًا"[٢].

الْمُسْتَنْشِئَةُ: الكاهِنَةُ، وسُمِّيت بها لمطالعتِها الأخبار وتَعاطِيها عِلَمَ الحَوادث والأكوان، يقال: فلان يستنشئ الأخبارَ، إذا كان يبحث عنها، قَالَ الكسائيُّ: رجل نَشْيانُ للخَبَر، ونَشوان، ويقال: من أَينَ نَشِيتَ هذا الخبرَ؟

---

[١] هو إبراهيم بن هرمة، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إِنَّ سُلَيمى وَاللَهُ يَكلَؤُها ضَنَّت بِشَيءٍ ما كانَ يَرزَؤُها). قيل لابن هرمة: إن قريشًا لا تهمز، فقال: لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش.

[٢] أخرجه عبد الرزاق في المصنف، باب ما جاء في حفر زمزم، في حديث طويل.

وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَالِكٍ بِإِسْنَادٍ لَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ دَخَلَ عَلَيْهَا عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "هَذَا الْبُضْعُ لا يُقْرَعُ أَنْفُهُ"[١].

قوله: "لا يُقرَعُ أَنْفُه" يريد أَنه الكُفءُ الَّذِي لا يُرَدُّ ولا يُرغَبُ عنه. وأصلُه في الفَحْلِ الهَجِينِ إذا أراد أن يَضْرِبَ في كرائم الإبل قَرَعُوا أنفَه بعَصًا ليرتدَّ عنها. ويروى: لا يُقدَع أَنفُه، ومعناه قريبٌ من الأول، والقَدُوع: الفَحلُ الهَجِين إذا قربَ كرائمَ الإبِلِ قُدِعَ عنها، قَالَ الشَّمّاخُ[٢] وذَكَر الحَمِيرَ:

إذا ما استافَهُنَّ ضَرَبْنَ منهُ مكانَ الرُّمْحِ مِن أَنْفِ القَدُوعِ[٣]

يريد الْمَقْدُوع، كما قَالُوا: فرس رَكُوب وشاةٌ حَلُوب.

ويقال: قَدعْتُ الرجلُ وأَقدعتُه، لُغتان، قالت ليلى الأَخْيَلِيَّةُ[٤]:

كأنّ فَتَى الفِتيان توبةَ لم يُنِخْ بنَجدٍ ولم يَطلُعْ مع الْمُتغوِّرِ

---

[١] انظر: الغريبين في القرآن والحديث للهوي. والبضع: الكفء.

[٢] الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبقة لبيد والنابغة، كان شديد متون الشعر ولبيد أسهل منه منطقاً، وكان أرجز الناس على البديهة.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَعائِشُ ما لِأَهلِكِ لا أَراهُم يُضيعونَ الهِجانَ مَعَ المضيعِ).

[٤] في ديوانها من قصيدتها التي ترثي فيها توبة، ومطلعها: (أيا عَيْنُ بَكّي تَوْبَةَ بنَ حُمَيِّرٍ ... بسَحٍّ كَفَيْضِ الجَدْوَلِ المتَفَجِّرِ).

ولم يقدعِ الخصمَ الألدَّ ويملأ الـ ـجفانَ سديفًا يومَ نكباءَ صَرصرِ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي صَلاةَ الْبَصَرِ، حَتَّى لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا رَمَى بِنَبْلِهِ أَبْصَرَ مَوَاقِعَ نَبْلِهِ"، قَالَ أَبُو طَرِيفٍ[١]: كُنْتُ شاهدَ النبيّ وَهُوَ مُحَاصِرٌ أَهْلَ الطَّائِفِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِنَا صَلاةَ الْبَصَرِ، حَتَّى لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا رَمَى بِنَبْلِهِ أَبْصَرَ مَوَاقِعَ نَبْلِهِ[٢].

صلاةُ البَصَر: تُتأوّل عَلَى صلاة الفَجْر، ونرَى - والله أعلم - أَنَّه سمَّاها صلاة البَصَر لأنها إنما تُصَلّى عند إسفار الظّلام وإثبات البَصَرِ الأَشْخاصَ، ويقال في صلاة البَصَر أنه أراد بها صَلاة المغرب، والقولُ الأَولُ أشهر[٣]، والله أعلم وأحكم.

- فِي حَدِيثِ النبي أَنَّهُ قَالَ لِسَلَمَةَ بْنِ صَخْرٍ[٤] وَقَدْ ظَاهَرَ عَنِ امْرَأَتِهِ: "أَطْعِمْ وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ سِتِّينَ مِسْكِينًا"، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ بِتْنَا وَحْشَيْنِ

---

[١] أَبُو طريف الهذلي: سمع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يعد فِي أهل الحجاز. قيل: اسمه سِنَان بن سلمة.

[٢] رواه البيهقي في السنن، باب جماع أبواب المواقيت، بلفظ (صلاة المغرب) بدل (صلاة البصر).

[٣] عند البخاري ومسلم والبيهقي أنها صلاة المغرب.

[٤] سلمةَ بن صخرِ البياضيّ.

مَا لَنَا طَعَامٌ[١]، وفي رواية: فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَيْنَ طُنُبَيِ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ أَحْوَجُ مِنِّي[٢].

قوله: وَحْشَيْن، أي مُقفِرَين، يقال: رجل وحْشٌ، إذا لم يكن عنده طعام، من قومٍ أوحاش، قَالَ حُمَيد بن ثور[٣]:

وإنْ بات وَحْشًا[٤] لَيْلَةً لم يَضِقْ بها ذِراعًا ولم يُصْبِحْ لها وهو خاشِعُ

وقال أبو زيد: يقال رجلٌ وحْشٌ، وهو الجائع، من قوم أَوحَاشٍ، وهو الْمُوحِشُ أيضًا.

ويقال: توحَّشَ الرجلُ، إذا استجاع واحْتَمَى.

قَالَ الأَحْمَرُ: يقال للجائع: الشَّحْذان.

قال الأصمعي: المسحوت: الجائع، والمجؤوف مثلُه.

---

[١] أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد، في حديث طويل، وحسنه الألباني.

[٢] رواه البخاري ومسلم.

[٣] في ديوانه من قصيدته في وصف الذئب، ومطلعها: (طوِي البطنِ إلاّ من مصير يبلّه ... دم الجوف أو سؤر من الحوض ناقعُ).

[٤] وحشًا: جائعًا.

وقد جُئِفَ الرجلُ، ومن أسماء الجوع: الجُودُ والجُوسُ، وقال أبو خِراش الهُذَلِيّ[١]:

تَكادُ يداهُ تُسلِمانِ رداءَهُ مِنَ الجُودِ لَمّا استقبلتْهُ الشَّمائلُ[٢]

والدَّيْقُوع من الجوع: أشدُّه؛ يقال: جوعٌ دَيقوعٌ، وقال بعضُ الأعراب[٣]:

أقول بالْمِصْرِ لَمَّا ساءَني شِبَعِي أَلا سَبِيلَ إلى أرضٍ بها الجُوعُ

أَلا سَبِيلَ إلى أرضٍ بها غَرَثٌ جوعٌ يُصَدَّعُ منه الرأسُ ديقوعُ

---

[١] أبو خِراش خُوَيلِد بنُ مُرَّة من بني هذيل، من مضر. شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور. أدرك الجاهلية والإسلام. واشتهر بالعدو، فكان يسبق الخيل. أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن عمر رضي الله عنه، وله معه أخبار. نهشته أفعى فقتلته. وهو صحابيّ.

[٢] في ديوانه في شعر الهذليين، من قصيدته التي يهجو فيها جَميل بن مَعمَرٍ، ومطلعها: (فَجَّعَ أضيافي جَميلُ بنُ مَعمَرٍ ... بذي فَجَرٍ تأوِي إليه الأَرامِلُ). وجميل بن معمر هذا ليس جميل بثينة المعروف، بل هو قاتل زهير بن العَجْوة أخي بنى عمرو بنِ الحارث، وكان قتلَه جميلُ بنُ مَعمَر بنِ حبيب بنِ حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص يوم حُنين، وجده مربوطاً فى أُناس أخذهم أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فضرب عنقه، وكان زهير خرج يطلب الغنائم، فقال أبو خراش يرثيه.. الأبيات.

[٣] أعرابيٌّ دَخَلَ بَعْضَ الأمصارِ فَأَصابَتْهُ تُخَمَةٌ مِنَ الطَّعام، فقاله.

وقولُه: بين طُنُبَي المدينة: أي بين طرفي المدينة، والطُّنُبُ من أَطْناب الفُسطاط[١] شبَّه حَوْزَةَ المدينة بالفُسطاط، قَالَ ذو الرُّمّة[٢] وذكر ثَورًا أَوَى إلى شجرة:

إذا أراد انكِنَاسًا فيه عَنَّ لهُ دونَ الأَرومةِ منَ أَطْنابِها طُنُبُ

جعل أصولَ الشَّجر وعُروقَها أطنابًا لها، وقال ابنُ هرمة[٣]:

إن امرأً جَعَل الطريقَ لبَيْتِهِ طُنُبًا وأنكرَ حقَّهُ لَلَئِيمُ

والأصل في هذا أن العربَ نازلةٌ العَمَد، وإنما كانوا يضربون بيوتَهم بأطناب ويثبّتونها بأوتاد، ومن هذا قوله تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} البِناء الْمُحكَم، ومنه قولهم: مُلكٌ ثابتُ الأوتاد، قَالَ الأسودُ بنُ يَعفُر[٤]:

---

[١] الفسطاط: الخيمة.

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنسَكِبُ كَأَنَّهُ مِن كُلى مَفرِيَّة سَرِبُ).

[٣] في ديوانه، وهو أحد بيتين يصف فيهما شهرته بالكرم ومعرفته بحقوقه: (أغشى الطريق بقبتي ورواقها ... وأحل في نشز الربي فأقيمُ) أي أضرب قبتي علي الطريق، لئلا يخفى على القاصدين مكاني. (إن أمرأ جعل الطريق لبيته ... طنبًا وأنكر حقه للئيمُ) فمن جعل الطريق لبيته بمنزلة الطنب وأنكر حق الطريق للئيم قد جمع المخازي.

[٤] الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي: شاعر جاهلي، من سادات تميم. من أهل العراق، كان فصيحاً جواداً. نادم النعمان بن المنذر. ولما أسنَّ كُفَّ بصره. ويقال له (أعشى بني نهشل).

ولقد غَنَوا فيه بأنْعَمِ عِيشةٍ في ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوتادِ[١]

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَالْجُمُعَةُ حَقٌّ عَلَيْهِ، إِلا عَبْدٌ أَوْ صَبِيٌّ أَوْ مَرِيضٌ، فَمَنِ اسْتَغْنَى بِلَهْوٍ أَوْ تِجَارَةٍ اسْتَغْنَى اللَّهُ عَنْهُ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ"[٢].

أخبرني بعضُ أصحابِنا عن ابن الأَنْبارِي قَالَ: قوله: استَغْنَى الله عنه، يريد طَرَحَه الله ورمى به من عَيْنه؛ لأن المستَغْنِي عن الشيء تاركٌ له، قَالَ الله تعالى: {فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ}، يريد هذا المعنى، وقال غيرُه: جازاهم جزاءَ استِغْنائِهم، كقوله: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ رَضِيَ لَكُمْ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ، وَكَرِهَ لَكُمْ سَفْسافَها"[٣].

الأصل في السَّفْسافِ ما تَهَبَّأَ من غُبارِ الدَّقيق إذا نُخِل، يقال: سَفْسَفْتُ الدَّقيقَ، إذا تَنَخَّلتَه، ثُمَّ شُبِّه به الوَتَّح[٤] الرديء من كل شيء، يقال: رجل

---

[١] في ديوانه من قصيدته الدالية الشهيرة التي مطلعها: (نامَ الخليُّ وما أُحسَّ رُقادي والهمُّ مُحتَضَرٌ لَدَيَّ وِبادي).

[٢] رواه الدارقطني.

[٣] ذكره الألباني في صحيح الجامع.

[٤] الوَتَّح: القليلُ التافهُ من الشيء.

سَفْسَافٌ ومُسفسِف، إذا وصفْتَه برِقَّة الْمُروءةِ، وكذلك هُوَ إذا وصفتَه بفُسُولة الرَّأي وضَعف العَقْل، وكلامٌ سَفْسافٌ وثوبٌ سَفسافٌ، إذا كان هَلْهَلَ النَّسْج، وهو نَعْت مُطَّرِد في كل شيء لم يُحْكَم صُنعُهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "رأيتُ عيسى ابنَ مَرْيَمَ فَإِذَا رَجُلٌ أَبْيَضُ مُبَطَّنٌ مِثْلَ السَّيْفِ"[١].

الْمُبَطَّنُ: الضامِرِ البَطْن الَّذِي كأنه قد لَصِقَ بطنُه بظَهره، قَالَ الأصمعيّ: رجل مُبَطَّن، إذا كان خَمِيصًا، قَالَ: فإذا كان لا يزال ضَخْم البَطْن لا يَنْهِشم بطنُه لجوعٍ أو غيره قِيل له: مِبْطان، قَالَ متّمم بن نُوَيْرة[٢]:

لقد غَيَّبَ الْمِنْهالُ تحت ردائِهِ فَتًى غيرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أروعَا

ويقال إنَّ مالكَ بنَ نُوَيْرة كان ذا بطن، وإنما أراد أنه كان لا يأكل آخرَ نهاره انتظارًا للأضياف، وقال بعضُهم: الْمِبْطَانُ هُوَ الَّذِي يَغيب بالعَشِيَّات عن الناس في الشُّرب ويَتْبَع الرِّيَب.

---

[١] رواه أحمد.

[٢] فيديوانه من قصيدته التي يرثي فيها أخاه مالكاً، ومطلعها: (لعمري وما دهري بتأبين هالكٍ ولا جَزِعٍ مما أصابَ فأَوجعا).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن أَبَا رُهْمٍ الْغِفَارِيَّ[١] قَالَ: كُنْتُ مَعَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ، فَسِرْتُ مَعَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَرُبْتُ مِنْهُ، فجعل يسألني عن مَن تخلفَ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، فَقَالَ وَهُوَ يَسْأَلُنِي: "مَا فَعَلَ النَّفَرُ الْحُمْرُ الطِّوَالُ النَّطَانِطُ"؟ فَحَدَّثْتُهُ بِتَخَلُّفِهِمْ، فَقَالَ: "مَا فَعَلَ النَّفَرُ السُّودُ الْجِعَادُ الْقِصَارُ"؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ هَؤُلاءِ فِينَا[٢].

النَّطَانِطُ: الطِّوَالُ، وَاحِدُهُمْ نَطْنَاطٌ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُم: مَا فَعَلَ النَّفَرُ الطوال التِّطاط، والمحفوظ هو الأَوَّلُ.

والتِّطاط: جمع تَطّ، وهو الكَوسَج، والعامة تقول: أَتَطّ، بالألف، وهو السِّناط والسَّنوط أيضًا.

والجِعاد: القِصار، رجل جَعد، أي قصير.

- فِي حَدِيثِ النبي صلى الله علي وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَنَتَ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ فَقَالَ: "اللَهُمَّ قَاتِلْ كَفَرَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَاجْعَلْ قُلُوبَهُمْ كَقُلُوبِ نِسَاءٍ كَوَافِرَ"[٣].

---

[١] أَبو رُهْمٍ كُلْثُوم بْن الْحُصَيْنِ

[٢] رواه الطبراني في المعجم الكبير، مسند أبي رهم. في حديث طويل.

[٣] رواه ابن أبي شيبة في (المصنف) ١٠/ ٤٤٣.

قولُه: كقُلُوب نِساءٍ كوافِر، معناه – والله أعلم – كقلوبهن في الاختلاف وقلة الائْتِلاف، وأُراه عَنَى الضَّرائرَ منهن؛ لأَنَّ ذَلِكَ أشدُّ لاختلافهن ومُنافسةِ بعضِهِنّ بعضًا.

وأخبرني بعضُ أصحابنا أخبرني ابن الأنباري عن أبي العباس ثَعْلَب قَالَ: مِن دُعاءِ الأَعراب: اللهم حَبِّبْ بين نِسائِنا وبغِّض بين رِعائنا، قال: وذلك أَنَّ الحُبّ يدعوهن إلى التَّعاون في العمل والاجتماع عَلَى السّمَر والغزل، والرعاء إذا تباغَضَتْ تفرَّقَتْ في الْمَراعِي فكان أسمَنَ للغنم.

ومن دعائهم: اللهم أقِلِلْ صِبْيَانَنا وأكثِرْ جرذانَنا.

ومن دعائهم: اللهمَّ ضَبُعًا وذِئبًا؛ وذلك أنهما إذا اجتمعا في غَنَم منع كلُّ واحد منهما صاحبَه، ومنه قول الشاعر[١]:

وكان لها جَارَان لا يُخْفِرانها أَبو جَعْدَةَ العادِي وعَرفاءُ جَيْأَلُ[٢]

أبو جَعْدَةَ: الذِّئب، وعَرفاءُ: الضَّبُع، وجيألُ: اسم للضبع، قال الشاعر[٣]:

---

[١] هو الكميت بن زيد الاسدي: شاعر الهاشميين. من أهل الكوفة. اشتهر في العصر الأموي. وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها وأنسابها، ثقة في عمله، منحازاً إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، متعصباً للمضرية على القحطانية. وهو من أصحاب الملحمات. أشهر شعره (الهاشميات).

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ألا هَل عَمّ في رَأيه مُتَأمِّلُ وَهَل مُدبِرٌ بَعدَ الإِسَاءَةِ مُقبِلُ).

[٣] هو المثقب العبدي: العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس، من ربيعة. شاعر جاهلي، من أهل البحرين. اتصل بالملك عمرو بن هند، وله فيه مدائح. ومدح النعمان بن المنذر. وشعره

وجاءت جَيْأَلٌ وأبو بَنِيها أَحَمّ المأقِيَيْنِ به خُماعُ[١]

وفي الكوافر قَوْلان: أَحدهما الكُفْر بالله؛ وذلك أَشَدُّ لاخْتِلافِهِنّ، قَالَ الله تعالى: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}.

والقَولُ الآخر: أن يكون من كُفران النِّعَم، وهُنَّ مِنْ أقلِّ الناس شُكْرًا للعوارف، ولذلك قَالَ لَهُنَّ: "إنّكُنَّ تُكْثِرنَ اللَّعنَ وتَكْفُرن العَشِير"[٢].

وفيه وجه آخر وهو أن الكوافر يُرَعْنَ أَبدًا بالصَّباح والبَيَاتِ في عُقْر دارهنَّ، فقُلُوبُهن تَجِب أبدًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَبَايَعُونَ الثِّمَارَ قَبْلَ أَنْ يَبْدُوَ صَلاحُهَا، فَإِذَا جَدَّ النَّاسُ وَحَضَرَ تَقَاضِيهِمْ قَالَ الْمُبْتَاعُ: "قَدْ أَصَابَ الثَّمَرَ الدُّمَانُ وأصاب قُشَامٌ"[٣] فَلَمَّا كَثُرَتْ خُصُومَتُهُمْ عِنْدَ النبي قَالَ: "لا

جيد فيه حكمة ورقة، وهو صاحب الأبيات التي منها: (فإما أن تكون أخي بحق = فأعرف منك غثي من سميني) ولد عام ٧١ ق.هـ وتوفي عام ٣٦ ق.هـ.

[١] في ديوانه، قسم المنسوب. أبو بنيها: الذَّكر. أحمّ: أسود. المأقيان: طرفا العين مما يلي الأنف، والمفرد مأقى، والجمع مآقي.

[٢] رواه البخاري ومسلم، في حديث طويل.

[٣] يعني كانوا يَتَبايَعونَ الثِّمارَ وهي على رُؤوسِ الشَّجرِ، وهي لم تَطِبْ للأكلِ بَعدُ، فإذا حانَ وَقتُ قَطْعِ الثَّمرِ، قال المشتري: أصابَها بَعضُ العَاهاتِ والآفاتِ كالدُّمَانِ، وهو فَسادُ الطَّلْعِ وتَعفُّنُهُ وسَوادُهُ، والقُشَامُ، وهو شَيءٌ يُصيبُ النَّخْلَ حتَّى لا يُرطِّبَ، فَيَقعُ بيْنهم خُصوماتٌ.

تَتَبَايَعُوا الثَّمَرَةَ حَتَّى يَبْدُوَ صَلاحُهَا"[١]، كَالْمَشُورَةِ يُشِيرُ بِهَا، لِكَثْرَةِ خُصُومَتِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ[٢].

وَحَدَّثَنَاهُ ابْنُ دَاسَةَ بِإِسْنَادِهِ فَقَالَ: الذُّمَارُ مَكَانُ الدُّمَانِ، قَالَ الأصمعي: إذا أَنْسغَتِ النخلَةُ عن عَفَنٍ وسوادٍ قيل: قد أصابه الدُّمان، قَالَ: وقال: ابنُ أبي الزِّناد: هُوَ الأُدْمانُ، قَالَ الأصمعيّ: إذا انْتَفَض ثَمرُ النَّخل قبل أن يصير بَلَحًا قيل قد أصابه القُشَامُ، وإذا كثر نَفْضُ النَّخلة وعَظُم ما بَقِيَ من بُسْرها قيل خَرْدَلَت، فهي مُخَرْدِلٌ، قَالَ الأصمعي: والدَّمَالُ: التَّمرُ العَفِن، قَالَ غيرُه: القُشَامُ: أُكالٌ يَقَع في التَّمر، من القَشْم، وهو الأَكْلُ، فأمّا الذُّمَارُ في رواية ابنِ داسة فلا مَعْنَى لَهُ، ويقال: أَنْسغَتِ النَّخلةُ، إذا أخرجتْ قُلْبَها.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مُنشِدًا أَنْشَده:

لا تأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ ... حَتَّى تُلاقِيَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنٍ ... بِكُلِّ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ

قال يَزِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُسْلِمٍ الْخُزَاعِيُّ ثُمَّ الْمُصْطَلِقِيُّ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ وَمُنْشِدٌ يُنْشِدُ هَذَا الشِّعْرَ، فقال النبي: "لو أدرك

---

[١] رواه البخاري ومسلم.

[٢] وقولُه: «كالمَشُورةِ يُشيرُ بِها» يَقصِدُ بهذه المشورةِ ألَّا يَشترُوا شَيئًا حتَّى يَتكامَلَ صَلاحُ جَميعِ هذه الثَّمَرة؛ لئلَّا تَقَعَ المنازَعةُ. قيل: هذا تَأويلٌ مِن بَعضِ نَقَلَةِ الحَديثِ.

هذا الإسلام"[١] فَبَكَى أَبِي، فَقُلْتُ: أَتَبْكِي لِمُشْرِكٍ مَاتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ أَبِي: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مُشْرِكَةً تَلَقَّفَتْ مِنْ مُشْرِكٍ خَيْرًا مِنْ سُوَيْدِ بن عامر[٢].

قوله: يَمْنِي لَكَ الْمَانِي، معناه يَقضِي لك القَاضي ويُقدِّرُ لك الْمُقدِّر.

أخبرني أبو عُمَر عن أبي العبَّاس ثَعلَب عن ابن الأعرابي قَالَ: يقال: مَنَى اللهُ عليك الخيرَ، يَمْنِي مَنْيًا، أي قَضَاه، قَالَ: وسُمِّيَتْ مِنًى؛ لأَنَّ الأَقدارَ وقعتْ عَلَى الضَّحايا بها فذُبِحَت، ومنه أُخِذت الْمَنِيَّةُ، وقال هدبة بن خَشْرم العُذرِيّ[٣]:

رُمِينا فَرامَيْنَا فوافَق رَمْيُنَا مَنِيَّةَ نَفْسٍ في كِتابٍ وفي قَدْرِ[٤]

---

[١] يعني صاحب هذا الشِّعر، وهو سويد بن عامر.

[٢] رواه ابن الأعرابي في معجمه، بَابُ الْعَيْنِ، حَدِيثُ الثَّرْقُفِيِّ: ١٨٥١. والشعر هو لسويد بن عامر المصطلقي: من الحنفاء، كان على دين الحنيفية وملة إبراهيم، وقد جاء في شعره ذكر المنايا وحتمها، وأن الخير والشر مكتوبان على النواصي، وأنه ليس للمرء يد فيما يصيبه من القدر، فكل شيء محتوم مقدور.

[٣] هدبة بن خشرم العذري: من شعراء بادية الحجاز، شاعر فصيح مقدم، كان راوية الحطيئة، وأكثر شعره ما قاله في أواخر حياته حين سجن وقبيل قتله، وكان هدبة قد قتل زيادة بن زيد العذري في خلاف نشب بينهما فقتل به قَوَدًا، وشعر هدبة في رويته وبديهته سواء عند الأمن والخوف، لقدرته وسكون جأشه وقوة غريزته، عاش حتى زمن معاوية بن أبي سفيان وتوفي نحو سنة ٥٠هـ.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلا يا لَقَومي لِلنَّوائِبِ والدَّهرِ وِلِلمَرءِ يُردي نَفسَهُ وَهوَ لا يَدري).

وقال لَبِيد[١]:

وعَلِمتُ أَنَّ النَّفسَ تلقى حَتْفَهَا ما كان خالِقُهَا الْمَليكُ مَنَى لَهَا

أي: قَضَى لها، ومن هذا قوله تعالى: {مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى} أي: تُقَدَّر وتُخْلَقُ، ويقال: إنَّما سُمِّيت مِنًى لأنَّ الدِّماءَ تُمنَى بها أي تُسالُ، ومنه سُمِّي الْمَنِيُّ وهو الْمَاءُ الدَّافِقِ، والجَدِيدان اللَّيلُ والنهار، وهما الفَتَيان أيضًا، ويقال لهما الْمَلَوَان.

قَالَ ابنُ مُقبِل[٢]:

ألا يا دِيارَ الحَيِّ بالسَّبُعانِ أملَّ عليها بالبِلَى الْمَلَوانِ[٣]

وقوله: تلَقَّفتْ مِن مُشرِك، أي حَمَلتْ ولدًا منه، والتَّلَقُّفُ سُرعةُ التناولِ لما يُلْقَى إليك من شيء.

---

[١] بل هو الأعشى، في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها قيس بن معديكرب، ومطلعها: (رَحَلَت سُمَيَّةُ غُدوَةً أَجمالَها غَضبى عَلَيكَ فَما تَقولُ بَدا لَها). والبيت برواية قضى لها بدل منى لها،

[٢] تميم بن أبي بن مقبل، من بني العجلان، من عامر بن صعصعة: شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأسلم، فكان يبكي أهل الجاهلية. عاش نيفاً ومئة سنة. وعدّ في المخضرمين. وكان يهاجي النجاشي الشاعر له ديوان شعر ورد فيه ذكر وقعة صفين سنة ٣٧ هـ.

[٣] في ديوانه وهو مطلع القصيدة، وبعده: (نَهَارٌ ولَيْلٌ دَائِمٌ مَلَوَاهُمَا عَلَى كُلِّ حَالِ الدَّهْرِ يَخْتَلِفَانِ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ غَوْرَثَ بْنَ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيَّ[١] أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَكَ بالنبيّ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ إِلا وَهُوَ قَائِمٌ[٢] عَلَى رَأْسِهِ وَمَعَهُ السَّيْفُ قَدْ سَلَّهُ مِنْ غِمْدِهِ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِ بِمَا شِئْتَ"، فَانْكَبَّ مِنْ وَجْهِهِ مِنْ زُلَّخَةٍ زُلِّخَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ[٣] وَنَدَرَ سَيْفُهُ[٤].

وفي رواية: فُدُلِجَ بين كتفيه، وهو غَلَط، والصوّاب زُلِّخ، قَالَ أبو زيد: يقال: رَمَى اللهُ فُلانًا بالزُّلَّخة، وهو وَجَع يأخذ في الظهْر لا يتحرك الإنسان من شِدَّته، وأنشد:

كأنما أَصابَ ظَهْرِي زُلَّخَة[٥]

---

[١] غورث بن الحارث المحاربي: أحد بني محارب، أراد ذات يوم أن يقتل النبي صلى الله عليه، وحفظ الله تعالى نبيه من شرّ ذلك العدوّ.

[٢] يعني غورث.

[٣] في القصة: ورجع غورث إلى أصحابه فقالوا يا غورث لقد رأيناك قائما على رأسه بالسيف فما منعك منه؟ قال: الله، أهويت له بالسيف لأضربه فما أدري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي و خر سيفي. (انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ١٥٧، والبداية والنهاية، ج٤، ص٨٤، والسيرةالنبوية، ج٢، ص٢٠٥).

[٤] أخرج البخاري ومسلم وأحمد وسعيد بن منصور في سننه هذه القصة بسياق آخر، عن جابر، وانظر السيرة النبوية لابن كثير.

[٥] اللسان "زلخ" برواية: "كأن ظهري أخذته زلخة" وبعده: "لما تمطى بالفريّ المفضَخَة".

وأنشدَ ابنُ الأعرابي:

دَاوِ بها ظَهرَكَ مِن تَوجاعِه مِن زُلَّخَاتٍ فيه وانقطاعِه[١]

وروى أبو الهيثم الرازي عن أم الهيثم الأعرابية أنها اعتلّت فزارها أبو عبيدة فقال لها: عم عِلَّتُكِ؟ فقالت: شهدتُ مأدبةً فأكلت جبجبةً من صفيف هِلّعة فاعترتني زُلَّخَةٌ، فَقَالَ لها: ما تقولين يا أمّ الهيثم؟ فقالت سبحان الله أَوَ للناس كلامان؟

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ أَجْذَمُ"[٢].

ذكره أبو عُبيد في كتابه وقال: الأجذم: المقطوع اليد: واحتّجَّ بقول الشاعر[٣]:

وهل كنتُ إلا مِثلَ قاطِعِ كفِّهِ بكَفٍّ له أُخرى فأصبحَ أجذمَا[٤]

---

[١] والشطر الثاني يروى: وخُزَراتٍ فيه وانْقطاعِه.

[٢] رواه أبو داود، وفي إسناده مقال.

[٣] هو المتلمس الضبعي، خال طرفة وصاحب الرسالة والقصة الشهيرة، سبقت ترجمته.

[٤] في ديوانه، من قصيدته التي يثبت فيها نسبه، ومطلعها: (يُعيّرُني أمّي رِجالٌ، لا أَرى أَخا كَرَمٍ إلاّ بِأَن يَتَكَرَّما).

واعترض عليه ابنُ قَتَيْبَةَ في كتابه الَّذِي سمَّاه "إِصلاحَ الغَلطِ"، وزعم أنه تدبَّر هذا التفسيرَ فرآه إنما أُتِيَ فيه من قِبَل البيت الَّذِي استشْهَده، قَالَ: وَلَيْسَ كلُّ أجذم أقطعَ اليد، قال: وإذا حَمَلْنا الحديث على ما ذهب إليه رأينا عقوبة الذَّنب لا تُشاكِل الذنب؛ لأنَّ اليدَ لا سببَ لها في نِسْيَانِ القرآن، والعُقوباتُ مِن الله عَزَّ وجَلَّ تكون بحَسب الذُّنُوب، كقوله: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} يُريد أَنَّ الرِّبا الَّذِي أكلوه رَبَا في بطونِهِم وأَثْقَلَهم، وَكَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي قَوْمًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ، كُلَّمَا قُرِضَتْ وَفَتْ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَؤُلاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ"[1]، لأَنهم قَالُوا بأفواههم فعوقبوا فيها، ومثل هذا كثير.

قال ابنُ قتيبة: والأجذم ههنا المجذُومُ، يقال: رجلٌ أَجذمُ وقومٌ جَذْمى، مثل أحْمَق وحَمْقَى، وأَنْوك ونَوْكى، وإنما سُمِّيَ مَنْ به هذا الدَّاء أَجذم لأنّه يَقْطَع أصابع يديه وينقُص خَلْقَه، وكل شيء قطعتَه فقد جذمتَه، لأنه يقطع أصابعَ يديه وينقُص خَلْقَه، وكلُّ شيءٍ قطعتَه فقد جَذَمْتَه، وهذا أشبه بالعقوبة؛ لأنَّ القرآن كان يدفع عن جسمه كُلِّه العاهةَ ويحفَظ له صحتَه، فلما نسِيه فارقَه ذَلِكَ فنالَتْه الآفةُ في جميعه، ولا داءَ أَشملَ للبدن من الجُذام ولا أَفسدَ للخِلْقَة.

---

[1] أخرجه أحمد، والبزار، وأبو يعلى، وابن أبي شيبة، وصحح الألباني إسناده.

قَالَ أبو سليمان: أمّا التَّفسير فعلى ما ذكره أبو عبَيْد، لم يُؤْتَ فيه من قِبَل البيت، إلا أنه أغفل بيانَ المعنى واقتصر عَلَى اللفظ، وسنذكر المعنى فيه إذا أتينا عَلَى الاحْتِجاج لقوله، وانفصلنا[١] له من ابن قتيبة إن شَاءَ الله، وقد سُبِق أبو عُبَيد إلى هذا التفسير، ورُوي معناه عن سويد بن جبلة الفزاريّ، قَالَ: ما أُبالي تَعَلّمتُ سورةً من القرآن ثُمَّ تركتُها أو مَشيتُ في الناس مقطوعةً يدي، فمعلوم أن سُوَيدًا إنّما تلقّاه من الخبر، وأَن الأَجذمَ عنده المقطوعُ اليدِ دُونَ الَّذِي أصابه الجذام، وكذلك تفسير الأَجْذَم إنما هُوَ الأقطع في عامّة ما ورد من الأخبار، مِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ أَجْذَمُ"[٢]، أي أَقْطَعُ، يَدُلُّ عَلَى هَذَا مَا رُوِيَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ: "كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا شهادةٌ كاليدِ الجذماء"[٣].

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ لِقَتَلَةِ عُثْمَانَ: إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَمْ تَزَلْ مُحِيطَةً بِمَدِينَتِكُمْ هَذِهِ مُنْذُ قَدِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى الْيَوْمَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَتَذْهَبَنَّ ثُمَّ لا تَعُودُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ لا يَقْتُلُهُ رَجُلٌ إِلا لَقِيَ اللَّهَ أَجْذَمَ لا يَدَ لَهُ. ومثلُه في الحديث كثيرٌ.

---

[١] هكذا في المطبوعة.

[٢] رواه أبو داود، وضعف الألباني إسناده.

[٣] أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد، وصحح الألباني إسناده.

وأما القول فيه عَلَى مذهب أهل اللغة فإن تقديرَ الأَجذَم عندهم من الجَذْمِ تِقْديرُ الأقطع من القَطْع، لا يكادون يقولون أقطع وهم يريدون مقطوعَ الأذن أو مجدوع الأنف، إنما يُنزِلُونه خصوصًا عَلَى المقطوعِ اليدِ، هذا هُوَ الظاهر في عُرْف اللغة، فأمّا مَنْ أُبينَ منه عُضْوٌ غير اليَدِ فإنما يَضاف القطعُ إليه باسمه، وكذلك الأَجذَم إذا أطلق فإنما يَلْقى[١] مَنْ جُذِمَت يده، أي قُطعت، وقلَّ ما يقال فيمن أصابه داءُ الجذام: أَجذم، إنما يقال: مَجْذوم، وبه جاء الخبر، وهو ما يروى أَنَّهُ قَالَ: "فِرَّ من المجذومِ فِرارك من الأسَدِ"[٢].

فأما قولُه: في مشاكلة العقوباتِ الذنوبَ واطّراد القياس فيها عَلَى ما تمثَّل به من آية الربا ففيه نظر، وقد جاء في الحديث: "مَنْ تحلمَّ كاذبًا فَقَالَ: رأيتُ ما لم يَرَ، كُلِّفَ عَقدَ شعيرةٍ في النار"[٣].

وكان الواجب عَلَى هذا القياس أن تناله العقوبةُ في عينه، إلا أنَّا لم نُكَلَّف القياسَ في أمر الآخرة، وإنما ننتهي من علمه إلى ما نطق به القرآن ووردتْ به الأخبارُ الصحيحة، ولو كان القياسُ الَّذِي اعتبره في مشاكلة العقوبات الذنوبَ معنى صحيحًا لكانت أحكامُ الدُّنيا بها أَوْلى؛ إذ كُنا متعبَّدِين بالقياس

---

[١] هكذا في المطبوعة، ولعلها (يعني).

[٢] رواه أحمد وابن أبي شيبة في المصنف، والبخاري في التاريخ.

[٣] أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي.

فيها، وقد وجدنا كثيرًا من الحدود والعقوبات الواجبة فيها معدولًا بها عن مواقعة الأَعْضاء التي باشرتْ تلك الذّنوب الْمُوجبة لتلك العقوبات، ألا تَرَى أنّ القاذفَ يقذِفُ بِلسانه فيُجلَدُ ظهرهُ، والزَّانِي يزني بفرْجه فيفرَّق الحدُّ عَلَى أعضائه، ويُجْتَنَب الفرجُ خاصةً مَعَ سائر الْمَقَاتِل، والله أعلم بالمصالح، وله أن يتَعَبَّدنا بما شَاءَ من حُكمه، وكل ذَلِكَ حِكمةٌ وصَوابٌ، وإن زَلّت عنه أفهامُنا ولم تُدركْه عقولُنا، مَعَ أن قَولَ ابن قتيبة إذ يقول: "ولا سبب لليد في نسيان القُرآن" ينقضُ كلامَه في الفصل الآخر حين يقول: لأَنَّ اليد لم تخرج عن رعاية القرآن ولم تخلُ من حفظه، والعجَبُ منه حين لم يَقْنَع من عقوبته بقطع اليد وإبانة الكَفّ ثُمَّ رَضِيَ بقَطْع الأصابع والنَّقص العارض لبعض الأعضاء، ومعلوم أن الجُذامَ داء يعالَجُ فيَزُول، وأن العُضْوَ المقطوع تالِفٌ لا يعود.

قَالَ أبو سليمان: ومعنى الخبر ما ذهب إليه ابنُ الأعرابي: هذا مَثَلٌ، والمعنى أنّ مَنْ نَسِيَ القرآن لَقِيَ الله خالِيَ اليَدِ من الخَيْرِ صَفِرها مِن الثواب، كَنَّى باليد عَمَّا تَحويه اليَدُ وتشتمل عليه من الخير، كقولهم إذا وصَفُوا الرجلَ بانقطاع القُدرَة: فُلانٌ لا يَدَ له، وإنه لقَصير اليَدِ، إذا كان بخيلًا، كما قَالُوا: جَعدُ البَنَان، وكَزُّ البَنانِ، وفلان طويل اليد، إذا وُصف بالجودِ وبسْط الْمَقْدِرة، وقد

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنِسَائِهِ: "أَسْرَعُكُنَّ لُحُوقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا"[١]، فَكَانَتْ سَوْدَةَ[٢]، وَكَانَتِ امْرَأَةً تُحِبُّ الصَّدَقَةَ.

ويدُلّ عَلَى صِحَّة ما ذهب إليه حَدِيثٌ حَدَّثَنِيه بُكَيْرُ بْنُ الْحَدَّادِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي حَمَلَةِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ: "لَا تَعَجَّلُوا ثَوَابَ الْقُرْآنِ فِي الدُّنْيَا فَتَلْقَوُا اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَيْدِيكُمْ مِمَّا حَمَلْتُمْ صِفْرٌ"[٣].

وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ مُجَاهِدٍ: الْقُرْآنُ يَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ جَعَلْتَنِي فِي جَوْفِهِ فَأَسْهَرْتُ لَيْلَهُ وَمَنَعْتُهُ كَثِيرًا مِنْ شَهَوَاتِهِ، وَلِكُلِّ عَامِلٍ عُمَالَةٌ، فَيَقُولُ: ابْسُطْ يَدَكَ أَوْ يمينَك، فيملؤها مِنْ رِضْوَانِهِ وَلا يَسْخَطُ عَلَيْهِ بَعْدَهَا[٤].

---

[١] متفق عليه.

[٢] أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة بن قيس العامرية القرشية، ثانية زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن السابقين الأولين في الإسلام، ولدت في مكة في عائلة قرشية، كانت زوجة للسكران بن عمرو، وأنجبت منه ابنها عبد الله، وهاجرت معه ومع أخيها مالك بن زمعة في الهجرة الثانية إلى بلاد الحبشة.

[٣] لم أجده.

[٤] رواه الدارمي في مسنده، وابن أبي شيبة في المصنف.

وفيه وجهٌ آخر وهو أن تكون اليدُ ههنا بمعنى الحُجَّةِ والبرهان، وإلى هذا أشار طَلْقُ بن حبيب قَالَ: مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ من غير عُذْر جاء يومَ القيامة مخصومًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لا يَمُوتُ لِمُؤْمِنٍ ثَلاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ"[1]. وهذا أيضًا مِمّا فَسَّره أبو عبيد في كتابه[2] فقال: نرى قوله: "تَحِلَّةَ القَسَمِ" يعني قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً} يقول: فلا يرِدُها إلا بِقَدْرِ ما يبرُّ اللهُ قَسَمَه فيه. وعارضه ابنُ قُتَيبة في كتابه المَوْسُوم بإصلاح الغَلَط، كما عارضه في الحديث الأول فَقَالَ: هذا مذهب الحسن من الاستخراج إن كان هذا قَسَمًا، قَالَ: وفيه مذهب آخر أشبهُ بكلام العرب ومعانيهم، وهم إذا أرادوا تَقليل مَكثِ الشيء وتقصيرَ مُدَّته، شَبَّهوه بتحليل القسم، وذلك أن يقول الرجلُ بعد إن شَاءَ الله، فيقولون ما يقيم فلانٌ عندنا إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ، وما ينام العليلُ إلا كتَحْليل الأَلِيَّةِ، وكَحَسْوِ الطير، وهو كثيرٌ مَشْهور في الكَلامِ

---

[1] رواه البخاري ومسلم. ومعنى تحلة القسم أنه يمُرُّ على النَّارِ فوقَ الصِّراطِ مُرورًا سَريعًا مِقْدارَ ما يَبَرُّ اللهُ تعالَى به قَسَمَه في قولِه: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}.

[2] غريب الحديث ٢/ ١٦.

والشِّعر، قَالَ: ومعناه عَلَى هذا التأويل أَنَّ النارَ لا تمسّه إلا قليلًا كتحليل اليمين، ثُمَّ يُنجيه اللهُ منها.

قَالَ أبو سليمان: ولا إشكال أنّ معنى الحديث ما ذهب إليه أبو عبيد، إلا أنه أغفل بيانَ موضع القَسَم، فتوَهَّم ابنُ قتيبة أنه ليس بقَسَم، وقد جاء ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ حَدَّثَنِيه الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى بْنِ صَالِحٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ حَرَسَ لَيْلَةً مِنْ وَرَاءِ عَوْرَةِ الْمُسْلِمِينَ مُتَطَوِّعًا لَمْ يَأْخُذْهُ السُّلْطَانُ لَمْ يَرَ النارَ تسمُه إلا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لا شَرِيكَ لَهُ". قَالَ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} وَفِي هَذَا مَا يَقْطَعُ بِصِحَّةِ قَوْلِ أَبِي عُبَيْدٍ.

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَالِكٍ عنْ سَلْمَان الْفَارِسِيّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لابْنِ الزُّبَيْرِ لِصَنِيعٍ كَانَ مِنْهُ: "لا تَمَسُّكَ النَّارُ إلا قَسَمَ الْيَمِينِ"، وهذا اللفظ خارجٌ عَن جملة ما حكاه ابن قُتَيْبَة من مذاهبهم فِي تحلَّة القَسَم؛ لأنهم لم يقولوا إذا أرادوا تَقليلَ مَكثِ الشيء وتقصيرَ مُدَّته: لم يكن ذَلِكَ إلا قسمَ اليَمِين، كما قَالُوا: لم يكن ذَلِكَ إلا تحِلَّة القَسَم، وإنما هُوَ عَلَى التَّفْسير الأول الَّذِي ذهب إليه أبو عُبَيد.

قَالَ أبو سليمان: فإن قيلَ: فأين موضعُ القَسَم من قوله: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً} قيل هُوَ مَردودٌ إلى قوله: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ}... الآية.

وفيه وجهٌ آخر وهو أن العرب تَحلِف وتُضْمِر الْمُقْسَم به كقوله: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ} معناه وإنّ منكم واللهِ لَمَنْ ليبطئن، فأضمر "والله"، وكذلك قَولُه: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} المعنى: وإن منكم واللهِ إلا وَارِدُهَا، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، قيل: هُوَ مَردودٌ إلى قوله: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ} الآية.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ لَمَّا انْتَهَى إِلَى أُحُدٍ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الصُّبْحَ، انْخَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ[١] مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ، فِي كَتِيبَةٍ كَأَنَّهُ هَيْقٌ يَقْدُمُهُمْ[٢].

الهَيْقُ: الظَّلِيمُ[٣]، قَالَ امرؤُ القَيس[٤]:

وخَدٌّ أسيلٌ كالْمِسَنِّ وبِرْكَةٌ كجُؤْجُؤِ هَيْقٍ زِفُّهُ قد تَمَوَّرا[٥]

---

[١] ابن سلول رأس المنافقين.

[٢] رواه ابن سعد في الطبقات.

[٣] الظليم: ذَكَر النَّعام.

[٤] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (صحا اليوم قلبي عن لميسَ وأقصرا ** وجُن بها ما جُن ثُمَّتَ أبصرا).

[٥] الجؤجؤ: الصدر. الزف: الريش. تمورا: سقط.

وقال آخَرُ[١] يصف فرسًا:

ولها بِرَكَةٌ كجُؤْجُؤِ هيقٍ ولَبانٌ مضرَّجٌ بالخِضابِ[٢]

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا خَرَجَتْ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ فَنَزَلُوا الأَبْوَاءَ، قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ لأَبِي سُفْيَانَ بن حرب: لو نبشتم قَبْرَ آمِنَةَ أُمِّ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ بالأَبْواء[٣].

قَوْلُهَا: نَجَثْتُمْ، أَيْ نَبَشْتُمْ، وَالنَّجْثُ اسْتِخْرَاجُ الدَّفِينِ، وَمِنْهُ النجيثة، وهو تُرابُ الْبِئْرِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَيُقَالُ: نَجَثْتُ مَا عِنْدَ فُلانٍ، إِذَا اسْتَنْبَطْتَ رَأْيَهُ، وَرَجُلٌ نَجِثٌ، إِذَا كَانَ يَسْتَخْرِجُ الأَخْبَارَ، قَالَ الأَصْمَعِيُّ فِي أُرْجُوزَتِهِ[٤]:

لَيْس بِقَسَّاسٍ وَلا قَمٍّ نَجِثْ وَلا بِجَوَّاظِ العشيّاتِ مَغِثْ

---

[١] هو عقبة بن مكدم التغلبي:

[٢] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ربّ خيل وزَّعتُها كالسعالي ... بذَنوبٍ طُوالةِ الأقرابِ).

[٣] انظر: أخبار مكة للأزرقي.

[٤] لم أجد أرجوزة الأصمعي، وقال ابن قتيبة في غريب الحديث: قال الأصمعي في رجز له يصف رجلاً:

لَيْسَ بقساس وَلَا قم نجثْ

وَلَا بجواظ العشيات مغثْ

بالجار يعلق حبله ضبس شبثْ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "خَيْرُ الْخَيْلِ الْحُوَّةُ"[١].

الحُوَّةُ: سواد ليس بالشَّديد، والنَّعتُ منه أحوى، وهو الكميت الَّذِي يعلوه سَوادٌ، قَالَ الطِّرِمَّاح[٢] يصف ثورًا:

أَحَمُّ بأطرافِهِ حُوَّةٌ وسائِرُ أجلادِه واضِحَهْ[٣]

وقال ذو الرُّمة يصف روضةً[٤]:

قَرحاءُ حَوّاءُ أَشراطِيَّةٌ وكَفَتْ فيها الذِّهابُ وحَفَّتْها البَراعِيمُ[٥]

---

[١] أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد، بلفظ: خيرُ الخيلِ الأدهَمُ. وصحح الألباني إسناده.

[٢] الطرماح بن حكيم الطائي: شاعر إسلامي فحل. ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة، فكان معلماً فيها. واعتقد مذهب الأزارقة. واتصل بخالد بن عبد الله القسري، فكان يكرمه ويستجيد شعره. وكان هجاءً، معاصراً للكميت صديقاً له، لا يكادان يفترقان. قال الجاحظ: وكان قحطانياً عصبياً.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (قِفا فَاِسأَلا الدِمنَةَ الماصِحَهْ وَهَل هِيَ إِن سُئِلَت بائِحَهْ). والأحمُّ: الأبيض. أجلاده: جسمه. واضحة: بيضاء.

[٤] في ديوانه من قصيدته في التشبيب بخرقاء، ومطلعها: (أأن ترسمتَ من خرقاءَ منزلةً ... ماءُ الصبابة من عينيك مسجومُ).

[٥] روضة قرحاء: في وسطها نوارة بيضاء وأزهار. حواء: تضرب إلى السواد لشدة ريها وخضرتها. أشراطية: مطرت بنوء الشرَطين. الذهاب: الأمطار الضعيفة اللينة الدائمة. البراعيم: واحدها برعومة، وهي الزهرة قبل أن تتفتق.

يريد أنها لريّها وخُضرتها تَضْرِب إلى السّواد.

قَالَ الأصمعي: يقال: حَوِي الفرسُ يَحْوَى حُوَّةً، وقال أبو حاتم: يقال: احْوَوَّى واحْوَاوَى.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ سَمِعَ صَوْتَ الأَشْعَرِيِّ[١] وَهُوَ يَقْرَأُ فَقَالَ: "لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ"[٢]. قَالَ بُرَيْدَةُ: فَحَدَّثْتُهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: لَوْ علمتُ أن نبيَّ الله اسْتَمَعَ لِقِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهَا.

قولُه: آل داود، أراد داودَ نَفسَه، لأنَّا لا نعلم أحدًا من آلِه أُعطِي مِن حُسْن الصّوت ما أُعطِيَه داودُ.

عن أبي عُبَيْدَةَ معمر بن المثنى وسأله رجلٌ عن رجل وصَّى لآل فلان: أَلِفُلان نَفسِه الْمُسَمَّى من هذا الشيء؟ قَالَ: نعم؛ قَالَ الله تعالى: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} ففرِعَوْن أولُهم، وأنشد[٣]:

---

[١] أبو مُوسى الأشعريُّ اليَمانيُّ رَضِيَ اللهُ عنه، واسمُه عبدُ اللهِ بنُ قَيسٍ، كان حَسَنَ الصَّوتِ بِالقرآنِ.

[٢] متفق عليه.

[٣] البيت للحطيئة: جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مُليكة. شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءً عنيفاً، لم يكد يسلم من لسانه أحد. وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمرو بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، فقال: إذاً تموت عيالي جوعاً.

ولا تَبكِ مَيْتًا بعدَ مَيْتٍ أَجَنَّهُ عَلِيٌّ وعبَّاسٌ وآلُ أَبي بكرِ[١]

يريد أبا بكر نفسَه.

وكَانَ الْحَسَنُ إِذَا صلى على النبي قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى آلِ أَحْمَدَ كَمَا جَعَلْتَهَا عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، يريد بآل أحمد نَفْسَه؛ لأن المفروضَ من الصلاة ما كان عليه، قَالَ الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}.

وقد يكون آلُ الرجل أهلَ بيته الأدْنَين؛ فعن يَزِيدَ قَالَ: قُلْتُ لِزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: آلُ عَبَّاسٍ وَآلُ عُقَيْلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَلِيٍّ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ} قال: مِن أهلِ دينه، قَالَ: وَلا يَجُوزُ ذَلِكَ إلا فِي الرَّئِيسِ الَّذِي الْبَاقُونَ لَهُ تَبَع، قال: وكذلك آلُ مُحَمَّدٍ إِنَّمَا هُمْ أُمَّتُهُ وَأَهْلُ دِينِهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاوَزْتَ هَذَا فَآلُ الرَّجُلِ أَهْلُ بَيْتِهِ خَاصَّةً.

وَقَوْلُهُ: لحبَّرتُها، يريد تحْسِينَ القِراءةِ وتَحْزِينَ الصَّوتِ بها، يقال: حَبَّرتُ الشيءَ إذا حَسَّنتَه، وكان طُفَيْلٌ الغنويّ في الجاهلية يُدعى المحبِّر؛ لتجويده الشِّعر وتحسينه إياه.

---

[١] في ديوانه ضمن بيتين الأول منهما: (تَأَمَّل فَإِن كانَ البُكا رَدَّ هالِكاً عَلى أَهلِهِ فَاجهَدْ بُكاءً عَلى عَمرِو).

وعن يَحْيَى بن أبي كَثِير في قوله تعالى: {فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} قال: الحَبْر السماع في الجَنَّة، وقال غَيرُه: يُحبَرون: يُسَرُّون. والحَبْرَةُ والحَبَرُ: السُّرور، وأَنشد[١]:

الحمدُ لله الذي أعطى الحَبَرْ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ وَالأَفْنُ وَالذَّامُ[٢].

قوله: السَّامُ، فسَّره أبو عُبَيد في كتابه وقال: هُوَ الموتُ، وتأوَّله قتادةُ عَلَى خلاف هذا؛ قَالَ سعيدُ بن أبي عَرُوبة: كان قتادةُ يُفسِّر "السَّام عليكم" تسأمون دينَكم، وهو مصدر سَئِمتُه سآمةً وسَآمًا، مثل رَضَاعةٍ ورضاع ولذاذة ولذاذ.

---

[١] الرجز للعجاج، في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (قد جبر الدينَ الإلهُ فجبرْ ... وعوّر الرحمن من ولّى العورْ).

[٢] متفق عليه.

والأَفْن: النَّقْصُ، ومنه قَولُهم: رجلٌ أَفِين، أي ناقِصُ العقل، وفي مَثَل للعرب: "إنَّ الرِّقِينَ تُذهِبُ أَفْنَ الأَفِين"[١]، قَالَ قَيسُ بن الخَطيم[٢]:

رددْنا الكتيبةَ مَفْلُولَةً بها أفنُها وبها ذامُها[٣]

ويقال: أُفِنَتِ الناقةُ، إذا استُوعِبَتْ حَلَبًا، قَالَ الشاعر[٤]:

إذا أُفِنَتْ أَروَى عِيالَكَ أَفْنُها وإنْ حُيِّنَتْ أَرْبَى عَلَى الوَطْبِ حينُها[٥]

وهذا راجع أيضًا إلى النَّقْص.

---

[١] الرقين: المال. أفن الأفين: ضعف رأيه. ومعنى المثل أنَّ المال يحلي المرء ويستر ما فيه من ذميم الخصال.

[٢] قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي: شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما وقال في ذلك شعراً. وله في وقعة (بعاث) التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة. أدرك الإسلام وتريث في قبوله فقتل قبل أن يدخل فيه. شعره جيد، وفي الأدباء من يفضله على شعر حسان.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أجدَّ بعمرةَ غُنيانُها فتهجرَ أم شأنُنا شأنُها).

[٤] هو المخبل السعدي: ربيع بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي، من بني أنف الناقة، من تميم. شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام. هاجر إلى البصرة، وعمّر طويلاً، ومات في خلافة عمر أو عثمان له شعر كثير جيد، هجا به الزبرقان وغيره، وكان يمدح بني قريع ويذكر أيام بني سعد (قبيلته).

[٥] في ديوانه وهو بيت مفرد.

والذَّامُ: العَيْب، وهو الذَّابُ والذَّانُ، ومنه قولُهم: "لا تَعْدِمُ الحسناءُ ذَامًا"[١].

قال لبيد[٢]:

وكثيرةٌ غرباؤها مجهولةٌ تُرجَى نَوافِلُها ويُخْشَى ذامُها

يقال: ذَامَه يذِيمُه، وذَمَاهُ يَذْمِيه، مَقلوبًا، وفيه لُغَة أخرى: ذَأَمَه يَذْأَمُه ذَأْمًا، مهموز، وَرُوِيَ أَنَّ رسول الله قَالَ لِعَائِشَةَ: "لا تَقُولِي ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلا التَّفَاحُشَ"[٣]، أراد بالفُحش عُدْوَانَ الجوابِ، لا الفُحْش الَّذِي هُوَ من قَذَع الكلام، والفُحشُ زيادة الشيء عَلَى مقداره، ومنه قول الفقهاء: يصلَّى في دم البَراغيث إذا لم يكن فاحِشًا، أي كثيرًا غالبًا، وقال النَّمِرُ بن تولَبٍ[٤]:

---

[١] جزء من بيت جاء في اللسان "ذيم" والبيت: (وكنت مسوَّدا فينا حميدًا ... وقد لا تعدم الحسناء ذامّا).

[٢] في معلقته الشهيرة: (عَفَتِ الدِيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها بِمِنىً تَأَبَّدَ غَولُها فَرِجامُها).

[٣] أخرجه أبو داود، واللفظ له مطولاً، والنسائي، وصحح الألباني إسناده.

[٤] النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي: شاعر مخضرم. عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر (الرباب) ولم يمدح أحداً ولا هجا. وكان من ذوي النعمة والوجاهة، جواداً وهَّاباً لماله. يشبه شعره بشعر حاتم الطائي. أدرك الإسلام وهو كبير السن، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فكتب عنه كتاباً لقومه.

وقد تَثَلَّمَ أنيابِي وأدرَكَني قِرْنٌ عليَّ شَدِيدٌ فاحِشُ الغلبةْ[١]

وقال امرؤُ القيس[٢]:

وجِيدٍ كجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفاحشٍ إذا هي نَصَّتْهُ ولا بُمعَطَّلِ

جعل زِيادَةَ الجِيدِ عَلَى مقداره الْمُسْتَحْسَن فُحشًا.

وَفِي خَبَرِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُ قَالَ لَهَا: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ" قَالَتْ: أَوَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالُوا: قَالُوا السامُ عليكَ! قَالَ: "قَدْ قُلْتُ: عَلَيْكُمْ"[٣].

وهذا أحسنُ من رِواية مَنْ قَالَ: وعليكم، بالواو؛ لأَنّ هذا مَعْناه رددتُ ما قلتموه عليكم، وإذا أدخلتَ الواوَ صار المعنى فعليَّ وعليكم، لأن الواو حرفُ الجمعِ والتشريك.

---

[١] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَودى الشَبابُ وَحُبُّ الخالَةِ الخَلَبَةْ وَقَد بَرِئتُ فَما بِالصَدرِ مِن قَلَبَةْ).

[٢] في معلقته الشهيرة.

[٣] أخرجه البخاري ومسلم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَيْدَةَ الْقُشَيْرِيَّ[١] قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آيَاتُ الإِسْلامِ؟ قَالَ: "أَنْ تَقُولَ: أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ إِلَى اللَّهِ وَتَخَلَّيْتُ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، كُلُّ مُسْلِمٍ عَنْ مُسْلِمٍ مُحْرِمٍ أَخَوَانِ نَصِيرَانِ"، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا دِينُنَا؟ قَالَ: "هَذَا دِينُكُمْ وَأَيْنَمَا تُحْسِنْ يَكْفِكَ"[٢].

قوله: تَخَلَّيتُ، معناه تَبَرَّأْتُ مِن الشِّركِ وانْقَطَعْتُ عنه، وفي هذا حُجَّةٌ لَمنْ ذَهَب إلى أن الْمُشرِكَ لا يكون مُسلِمًا حتى يتكَلَّم بالشَّهادةِ ويتبرَّأَ من دِينِهِ، لأن بعضَ أهلِ الشرك يُؤمِن بالله وهو يُنِدُّ معه[٣]، ويؤمن برسولِه وهو لا يراه خَاتِمِ الأَنْبياء.

وقولُه: كلُّ مُسلِم عن مسلم مُحرِم، فإن الْمُحرِمَ في أشياء: يقال أَحرَم الرجلُ إذا دخل في الحَرَم، وأَحرَم إذا دخل في الشهر الحَرَام، وأَحْرَم إذا اعْتَصَم بحُرْمَةٍ، وقال الشاعر[٤]:

---

[١] معاوية بْن حيدة بْن معاوية بْن قشير بْن كعب بْن ربيعة بْن عَامِر بْن صعصعة القشيري: من أهل البصرة، غزا خراسان ومات بِهَا، وهو جد بهز بْن حكيم بْن معاوية.

[٢] رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد.

[٣] يند معه: يتخذ معه أندادًا.

[٤] هو معبد ابْن علقمة المازني: شاعر، من الشجعان. يقال له (ابن أخضر) وأخضر زوج أمه، نسب إليه هو وأخ له اسمه (عباد) . له مواقف وأشعار في حرب الخوارج. وكان عبيد الله بن زياد،

فَيَعلُم حَيًّا مالكٍ ولَفِيفُها بأَنْ لَستُ عن قَتْلِ الحُتاتِ بمُحْرِمِ[١]

وقال آخر[٢]:

قَتَلُوا ابنَ عَفَّانَ الخَلِيفَةَ مُحْرِمًا ودَعَا فلم أَرَ مثلَهُ مَخذُولَا[٣]

يريد أنهم قتلوه في الشَّهر الحرام، وقال زُهَيْر[٤]:

جعلنَ القَنانَ عن يمينٍ وحَزْنَهُ وكَمْ بالقَنانِ مِن مُحِلٍّ ومُحرِمِ

والْمُحِلّ: المحارب ههنا، والْمُحرِم: الْمُسالِم.

ومعنى الحديث أَنَّ الْمُسلِمَ مُعتَصِم بالإسلام مُمتنِع بحُرْمته مِمَّن أراد دَمَه أو مالَه.

انتدب أخاه عبادًا لقتالهم، فحاربهم وقتلوه (نحو سنة ٦٠ هـ وأخذ معبد بثأره وقال: (سأحمي دماء الأخضريين إنه ... أبى الناس إلّا أن يقولوا: ابن أخضرا) وهو صاحب (الحماسية) التي يقول فيها: (وتجهل أيدينا، ويحلم رأينا، ونشتم بالأفعال، لا بالتكلم).

[١] في شروح الحماسة ضمن أبيات:

غُيِّبْتُ عَن قتل الحُتاتِ وليتني شهِدتُ حُتاتًا يَوْم ضُرِّجَ بِالدَّمِ

فَيَعْلَمُ حَيًّا مالكٍ ولَفِيفُها بأَنْ لستُ عَن قَتْل الحُتَاتِ بِمُحْرِمِ

[٢] هو الراعي النميري.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بالُ دفَّكِ بالفراشِ مذِيلا ... أقذًى بعينكَ أمْ أردتَ رحِيلا).

[٤] في معلقته الشهيرة: (أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ).

وقوله: "أَخوانِ نَصِيرانِ" معناه أنّ مِن حَقّ الْمُسلِمَيْنِ أن يَتعاونَا ولا يَتخاذَلا، وهذا كقوله: "وهم يدٌ على مَن سِواهم"[١].

وقوله: وأَينَما تُحْسِنْ يَكْفِكْ، يقول: لا تَعْجَز أن تَفْعَل خَيرًا وإن لم يكن عليكَ فرضًا.

- فِي حَدِيثِ النبيّ أَنَّهُ قَالَ: "لا يَكُونُ لِرَجُلٍ إِبِلٌ لا يُؤَدِّي حَقَّهَا إِلا بُطِحَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، ثُمَّ جَاءَتْ كَأَكْثَرِ مَا كَانَتْ وَأَغَذِّهِ وَأَبْشَرِهِ، فَوَطِئَتْهُ بِأَخْفَافِهَا"[٢].

قولُه: وأبشرِه، يريد وأَحسَنِه وأَسْمَنِه، والبَشارةُ: الجَمالُ، قَالَ الأَعْشَى[٣]:

ورأَت بأَنَّ الشيبَ جا نَبَهُ البَشَاشَةُ والبَشَارَهْ

ويقال: رجل بَشِير، أي جميل، وامرأةٌ بَشِيرَةٌ من نِساءٍ بَشائِر، وقال جَرير[٤]:

يا بِشْرُ حُقَّ لوجهِكَ التَّبشِيرُ هلَّا غَضِبتَ لَنَا وأَنتَ أميرُ

---

[١] أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد. وصحح الألباني إسناده.

[٢] متفق عليه.

[٣] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (يا جارَتي ما كُنت جارَه بانَت لِتَحزُنَنا عُفارَه).

[٤] في ديوانه من قصيدته التي يهجو فيها سراقة بن مرداس، ومطلعها: (يا صاحِبَيَّ هَلِ الصَباحُ مُنيرُ أَم هَل لِلَومِ عَواذِلي تَفتيرُ). وبعده: (يا بِشرُ إِنَّكَ لَم تَزَل في نِعمَةٍ يَأتيكَ مِن قِبَلِ الإِلَهِ بَشيرُ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أُمَّ حَكِيمَ بِنْتَ الزُّبَيْرِ[١] أَتَتْهُ بِكَتِفٍ، فَجَعَلَتْ تَسْحَلُهَا لَهُ، فَأَكَلَ مِنْهَا ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يتوضأ[٢].

قولُه: تَسحَلُها أي: تَكْشِط ما عليها من اللّحم، ومنه أُخِذَ الْمِسْحَل، وهو الْمِبردُ، ومن هذا ساحِلُ البحر، وذلك أن الماء قد سَحَله، جاء بلفظ فاعل ومعناه مَسحولُ، ويُروَى: فجعلتْ تَسْحَاها، أي تَقشِرها، يقال: سَحوتُ الشيءَ أسحُوه وأسحاه، ومِن هذا سُمِّيتْ سِحاءَةُ القِرطاس، وكذلك الْمِسحاةُ التي يُعمَل بها الطِّين.

قَالَ الأَصْمَعِيُّ: قول العامة: ليس لِمِسْحاتِك عندي طين، خَطَأ، إنما هُوَ ليس لسحاتك عندي طين.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا لِلْمُضَمِّرِ الْمُجِيدِ"[٣].

الْمُضَمِّر: هُوَ الَّذِي ضَمَّر خيلَه إذا أعدَّها لِغزْوٍ أو سِبَاق، وهو أن يُظاهِر عليها بالعَلَفِ حتى تسمنَ وتَقوَى، ثُمَّ لا تُعلَفُ إلا قُوتًا؛ ليكون أَنْجَى لها

---

[١] صحابية، وبنت عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمّها عَاتِكة بنت أبي وهب بن عَمْرو، أسلمَتْ وهاجَرت، وأطعمها رسولُ الله من خيبر ثلاثين وسقًا.

[٢] أخرجه الحميدي في (مسنده)، وابن حبان باختلاف يسير.

[٣] رواه البخاري ومسلم: من غير الجملة الأخيرة "لِلْمُضَمِّرِ الْمُجِيدِ".

وأَخفَّ، والْمُجِيدُ: صاحبُ الجِياد من الخَيْل، يقال: رجل مُجِيد، كما يقال: مُقْوٍ، إذا كانت دوابُّه أَقْوياء، ومُضعِفٌ، إذا كانت ضِعافًا. وفي بعض الحديث: الْمُضعِف أَمِيرُ القوم[١]. وقال الفرزدقُ[٢] لجرير:

ولقد شَدَدتَ عَلَى الْمَراغَةِ سَرْجَها ولقد نزلْتَ وأنتَ غيرُ مُجِيدِ[٣]

أي غَير مُنجِب، وقال آخر:

إنَّ النّجابةَ والإجادةَ فاعْلَمي عند العَقائلِ من بَنِي أَنمارِ

ومعنى الحديث أَنَّ الصائمَ يُباعِدُه اللهُ من النّار مسافةَ سَبْعين سَنَةً رَكْضَ المضامِيرِ من الخيل.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، فَالْمُهَجِّرُ

---

[١] لا أصل له من قول النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما يحكى في كتب الأدب من قول عمر رضي الله عنه بلفظ: (المضْعِفُ أميرٌ عَلَى أصحابه).

[٢] بل القائل الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو، من بني تغلب: شاعر، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل. نشأ على المسيحية، في أطراف الحيرة (بالعراق) واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره.

[٣] من قصيدته التي مطلعها: (أَذَكَرتَ عَهدَكَ فَاعتَرَتكَ صَبابَةٌ وَذَكَرتَ مَنزِلَةً لِآلِ كَنودِ).

إِلَى الصّلاةِ كَالْمُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ كَالْمُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ كَالْمُهْدِي الْكَبْشَ، ثُمَّ الَّذِي عَلَى أَثَرِهِ كَالَّذِي يُهْدِي الدَّجَاجَةَ، ثُمَّ الَّذِي عَلَى أَثَرِهِ كَالَّذِي يُهْدِي الْبَيْضَةَ"[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم: "مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمْعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً"[٢].

قد يعرض الإشكالُ من هذا الحديث في مَوْضِعَين: أحدهما قوله: مَنْ راح في الساعةِ الرابعة والخامسة، لأَنَّه يوهّم جواز تأخير صَلاة الجمعة عن أول وقتِها إلى الساعة الرابعة أو الخامسة، وهذا فاسِدٌ.

والموضِعُ الآخر أنه لَمّا فاضل بين الساعات جعل الرائحَ في الساعة الرابعة كَمَن أَهدى دجاجةً وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ كمن أَهْدَى بَيْضَة، واسمُ الهَدْي لا يقع عَلَى الدَّجاجة والبيضة غالبًا.

---

[١] أخرجه أحمد والنسائي، والطبراني في (المعجم الأوسط) باختلاف يسير، بإسناد صحيح.

[٢] متفق عليه.

وأما الغَنَم فقد اختلف الفقهاءُ فيها فَقَالَ بعضُهم: ليست بهَدْي، والأكثرون منهم يجعلونها هَدْيًا، وثمرة هذا الخلاف أن يوجب الرجلُ عَلَى نفسِه هَديًا فإذا ذبح شاةً أجزاه عن نَذْره، في قولِ مَنْ رآها هَدْيًا، ولا يُجزِيه في قول الآخرين إلا بَدَنةٌ أو بقرةٌ.

أما قولُه: راح في الساعةِ الرابعة والخَامِسَة ففيه وجْهَان: أحدهما ما ذَهَب إليه مالكُ بنُ أنس في هذا الحديث: لا يكون الرواحُ إلا بعد الزَّوال، قَالَ: وهذه الساعات كلُّها في ساعةٍ واحدةٍ من يوم الجمعة، يذهَبُ إلى قولِ القائل: جِئتُ منذ ساعةٍ وقَعدتُ عند فلانٍ ساعةً وتحدَّثتُ معه ساعةً وما أشبَه ذَلِكَ، يريدُ به جُزءًا من الزمان غَيَر مَعلُوم، دُونَ الساعاتِ التي هي أورادُ الليل والنهار وأقسامُهما.

والوَجْهُ الآخرُ ما ذهب إليه محمدُ بن إبراهيم بن سعيد البُوشَنْجِيّ[1] قَالَ: قولُه: راحَ إلى الجُمُعة وهَجَّر إلى الجُمُعة في هذا الحديث إنما هُوَ بعدَ طلوعِ الشّمس كأنه يذهبُ إلى معنى القَصْد منه دُونَ الفِعْل، وذلك أَنَّه إنما تُصلَّى الجُمُعة بعد الرَّواح، فسُمِّي رائحًا بالقَصْد، وهذا كما قيل للمتساوِمَيْن مُتَبايَعَان؛ لِقَصْدِهما البَيْعَ، وللمُقْبِلِينَ إلى مكَّةَ حُجَّاج ولَمّا يَحُجُّوا بَعْد، وَقَدْ قَالَ صَلَّى

[1] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن بن موسى البوشنجي العبدي (٢٠٤-٢٩١هـ) فقيه مجتهد شافعي، وشيخ أهل الحديث في زمانه بنيسابور، وكان إماماً في اللغة وكلام العرب، قوي النفس.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ"[١]، يُرِيد مَنْ أشرفَ عَلَى الْمَوْت، ومثلُه كَثِير، وزعم بعضُهم أَنَّ الرّائح هُوَ الخارِجُ عن أَهلِه، وكلُّ مَنْ خرج في وقتٍ من الأوقات فقد رَاحَ، قَالَ: وعلى هذا مَذْهَب العَرَب إذا أرادوا الرَّحِيلَ أيَّ وقتٍ كان من ليلٍ أو نهارٍ قَالُوا: الرَّواح.

والأَمرُ في هذا واضح غيرُ مُشكِلٍ، والفَرقُ بين الأمْرين موجودٌ في مُسْتَفِيض كَلامِ النَّاس، أَلا تراهم يَقُولُون: غَدوْنا ورُحْنا إلى بَاب فُلان، وغَدوتُ إلى السُّوق ورُحتُ إلى أهلي، قَالَ الله تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ}. وقال النابِغَةُ[٢]:

أمِنَ آلِ ميّةَ رائحٌ أو مُغتدي عَجلانَ ذا زادٍ وَغَيرَ مُزَوَّدِ

وقال عمرُ بنُ أبي ربيعة[٣]:

أمنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمبْكِرُ غداةَ غدٍ أم رائحٌ فُمهَجِّرُ

وكان أبو الدرْداء إذا رَأَى جَنَازةً قَالَ: رُوحِي فإنّا غادون. وهذا أبْيَنُ من أن يُستَشْهد له.

---

[١] أخرجه مسلم وابن ماجه، وابن حبان.

[٢] في ديوانه، وهو مطلع القصيدة، وبعده: (أَفِدَ التَرَجُّلُ غَيرَ أَنَّ رِكابَنا لَمّا تَزُل بِرِحالِنا وَكَأَنْ قَدِ).

[٣] في ديوانه، وهومطلع القصيدة، وبعده: (لِحاجَةِ نَفسٍ لَم تَقُل في جَوابِها فَتُبلِغَ عُذراً وَالمقالَةُ تُعذِرُ).

فأما قَولُهم عند الرَّحِيل "الرَّواح" فإنَّما يقال ذَلِكَ لأَنَّ رِحيلَ المسافر إنّما يكون في الغالب وَقتَ الرَّواحِ والإِبْراد، ثُمَّ كثرُ ذَلِكَ حتى استَجازوا أن يقولوه في غير حِينِه، وهذا كقولهم في الاستغاثَةِ عند مُفاجَأة العَدُوّ أيّ وَقْتٍ كانت: "واصَبَاحَاه" لأن الغالِبَ أن العدوَّ إنما يُصبّحُ القومَ ويأْتِيهم حالَ الغِرَّة والأمن.

وأما قول ابن أَبِي رَبِيعة[1]:

أيّها الرائحُ الْمُجِدُّ ابتكَارَا قد قضى مِن تِهامَةَ الأَوْطارَا

ليتَ ذا الحجَّ كان فرضًا علينا كُلَّ يومَيْنِ حِجَّةً واعْتِمارَا

فإنّه أراد الرّائحَ إلى منزله الْمُزْمِعَ الرَّحيلَ بُكْرَةَ غَدِه.

وأما قَولُه: أَهْدَى دجاجةً وأَهدَى بيْضةً، فمن المحمول عَلَى حُكْم ما تَقدَّمه من الكلام، كقولكَ: أكَلْتُ طعامًا وشَرابًا، والأكلُ إنما ينصرف إلى الطعام دون الشَّراب، إلا أَنّه لَمَّا عُطِف به عَلَى المذكور قبلَه حُمِل عَلَى حُكْمِهِ، كقول الشاعر[2]:

ورأيْتُ بَعْلَكِ في الوغَى مُتقلّدًا سَيْفًا ورُمْحَا

---

[1] في ديوانه، وهما مطلع القصيدة.

[2] هو أبو دواد الإيادي، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (برحت علي بها الظبا ء ومرت الغربان سنحا).

والرمحُ لا يُتقلد لكن يُحْملُ، وقال الآخر[١]:

إذا مَا الغانِياتُ بَرزْنَ يَوْمًا وزَجَّجْنَ الحَواجِبَ والعُيونَا

أي كَحَّلْن العُيونَ، ومثلُ هذا كَثِيرٌ.

فأما حَدِيثُه الآخر في الجُمُعة أنه قَالَ: "مَن بَكَر وابْتَكَر وغَسَل واغْتسل"[٢]. فقد قيل: إنه أراد به بكور الوقت، وقيل: أراد إدْراكَ باكورة الخُطْبة وهي أوّلها.

وأخبرني بعض أصحابنا عن ابن الأنباري أنه قَالَ: أَرادَ تقدِيمَ الصَّدقة من قوله: "باكِرُوا بالصَّدَقة فإنّ البَلاءَ لا يتخَطَّاها"[٣].

وقوله: "غَسَل" فقد قيل: أراد غَسْل أَعضاءِ الطَّهارة، وقيل: أراد غَسْلَ الرأسِ لِمَا في رؤوس العرب من الشَّعَر، وقِيل: معناه جامَعَ أهلَه، من قولهم: فَحْلٌ غُسَلَة، إذا كان كثير الضِّراب.

---

[١] هو الراعي النميري. في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَبَت آياتُ حُبَّى أَن تَبينا لَنا خَبَراً فَأَبكَينَ الحَزينا).

[٢] رواه أبو داود وصحح الألباني إسناده.

[٣] ذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

وقوله: "اغْتَسَل"، أراد غَسْلَ سائرِ البَدَن. وقال الأثرَمُ: هما لفظان بمعنى واحدٍ كُرِّرَا للتَّأكيد، أَلا تراه يقول في هذا الحديث: "ومَشَى ولم يَرْكب" وفي خبر آخر: "واسْتَمَع وأَنْصَت"، وهذا كُلّه واحِد.

وأما قولُه: "فالْمُهَجِّر إلى الصلاة" فإنّ أكثر الناس يذهبون في معناه إلى أنّه من الهَاجِرَة وقت الزوال.

وقد روى أبو داود الْمَصاحِفِيّ عن النَّضْرِ بن شُمَيْل قَالَ: التَّهجِيرُ إلى الجُمُعة وغيرِها التَّبْكِيرُ، قَالَ: سمعتُ الخَلِيلَ يقول ذَلِكَ في تفسير هذا الحديث.

انتهى الجزء الأول من غريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويليه الجزء الثاني في تكملة غريب حديثه صلى الله عليه وسلم

وأوله حديث: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ سَرِيَّةً، فَلَقَوُا الْعَدُوَّ، فَجَاضَ الْمُسْلِمُونَ جَيْضَةَ

المراجع

وهي منثورة في الهوامش

من هذا الكتاب

للمراسلة والتواصل:

محمد علي حسين

mali_١١١@hotmail.com

الكويت تليفون ٩٨٨٦٦٩٠٣

مصر تليفون ٠١٠٩٩٦٩٤١٤٠

تعريف

- محمد علي حسين (أبو زهرة)

- لُغوي وباحث في التراث الإسلامي

- موجِّه في مادة اللغة العربية - مواليد نبروه — مصر ١٩٦٢م

- مهتم بنشر التراث في سلسلة صدر منها ستة وعشرون عملاً، جمعاً ودراسة واختصاراً وتحقيقاً، هي: (مختصر كتاب العزلة للخطّابي - هذا نبينا كأننا نراه - دولة بني العباس - دولة بني أمية - الثائران: الحسين وابن الزبير - معاويةُ كِسْرى العرب — خلافة علي بن أبي طالب - خلافة ذي النورين عثمان بن عفان - خلافة الصِّدِّيق والفاروق - محمد رسول رب العالمين - - عليٌّ ومعاويةُ يومَ صِفِّين - الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر - التعازي والمراثي للمبرِّد - محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني - الداء والدواء لابن القيم - أخبار الحمقى والمغفَّلين لابن الجوزي - النساء لابن قتيبة - بهجة المجالس لابن عبد البر - تهذيب تاريخ ابن خياط - مختصر زاد المعاد — قصة الإيمان منذ آدم حتى محمد — العواصم من القواصم لابن العربي — حقوق آل البيت

في مفهوم ابن تيمية – الشواهد الشعرية في معجم البلدان لياقوت الحموي – مختصر فضائل القرآن لأبي عبيد) إضافة إلى كتابين آخرين خارج السلسلة هما: "علماء معاصرون نصروا الإسلام"، وكتاب "غرباء".

وكلها كتب منشورة على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع: نور، وموقع فولة بوك (في صفحة: محمد علي أبو زهرة).